p-ISSN: 2307-1583
e-ISSN: 2789-326X

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

العدد 63 - المجلد 11 - تموز/ يوليو 2023
Issue 63 - Volume 11 - July 2023

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

حسن احجيج
تحديات الشبكات الاجتماعية الرقمية لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية

مروة فكري | عمرو عثمان
شبكة الإنترنت والثقافة السياسية ومفارقة الذاكرة الجمعيّة: حالة ثورة 25 يناير 2011 المصرية

عمـاد قــدورة
موقع دول الخليج العربية في مبادرة الحزام والطريق الصينية

رئيس التحرير
Editor-in-Chief
حيدر سعيد
Haider Saeed

مدير التحرير
Managing Editor
أحمد قاسم حسين
Ahmed Qasem Hussein

سكرتير التحرير
Editorial Secretary
إيهاب محارمة
Ihab Maharmeh

هيئة التحرير
Editorial Board
أدهم صولي — Adham Saouli
حارث حسن — Harith Hasan
حسن الحاج علي — Hassan El Haj Ali
سحيم آل ثاني — Suhaim Al Thani
عبد الرحيم العلّام — Abderrahim Elaallam
عمر عاشور — Omar Ashour
فيصل أبو صليب — Faisal Abu Salib
لولوة راشد الخاطر — Lolwah Rashid Al-Khater
محمد حمشي — Mohammed Hemchi
محمد المسفر — Mohammed Al-Misfer
مروان قبلان — Marwan Kabalan
مروة فكري — Marwa Fekry
نادية نصر- نجّاب — Nadia Naser-Najjab

تصميم وإخراج
Design and Layout
أحمد حلمي — Ahmad Helmy
مصطفى أبوالناس — Moustafa Abuelnass

الهيئة الاستشارية
Academic Advisory Committee

إبراهيم فريحات — Ibrahim Fraihat
برهان غليون — Burhan Ghalioun
ثناء فؤاد عبد الله — Than'a Fouad Abdulla
جلبير الأشقر — Gilbert Ashcar
حمادي الرديسي — Hamadi Redissi
حيدر إبراهيم علي — Hayder Ibrahim Ali
سلطان بركات — Sultan Barakat
سيف الدين عبد الفتاح — Seif Al-Din Abdul Fattah
طارق إسماعيل — Tareq Ismael
طارق متري — Tarek Mitri
عبد الله باعبود — Abdullah Baabood
عبد الوهاب الأفندي — Abdelwahab El-Affendi
العربي صدّيقي — Larbi Sidiki
غانم النجار — Ghanim Al-Najjar
غسان العزي — Ghassan Elezzi
كاظم هاشم نعمة — Kadhim Hashim Niama
محمد علوان — Mohamed Olwan
محمد مدني — Mohammed Madani
محمود محارب — Mahmoud Muhareb
مصطفى الحمارنة — Mustafa Hamarneh
مصطفى كامل السيد — Mustafa Kamel Al Sayyed
نظام عسّاف — Nizam Assaf

صاحب الامتياز
المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

The Designated Licensee
The General Director of the Arab Center for Research and Policy Studies

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
صندوق بريد: 10277
منطقة 70 شارع الطرفة، الدوحة، قطر
هاتف 00974 4035 6888

Arab Center For Research & Policy Studies
PO Box: 10277
Al Tarfa Street, Doha, Qatar
Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.org

صورة الغلاف

حسين فالح رحيم (العراق)

مصور، يحترف التصوير الصحفي لصالح وكالة الصحافة الفرنسية. يقيم في مدينة البصرة، وقد نُشرت له عدة صور للمدينة في صحف ومجلات عالمية، من بينها "الغارديان" و"تلغراف" و"التايم". التقطت هذه الصورة في مدينة البصرة لفتاة عراقية خلال حفل نُظّم في استاد البصرة الدولي (وكالة الصحافة الفرنسية عبر صور غيتي Getty Images).

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

العدد 63 - المجلد 11 - تموز/ يوليو 2023
Issue 63 - Volume 11 - July 2023

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية
A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA
العدد 63 - المجلد 11 - تموز/ يوليو 2023
Issue 63 - Volume 11 - July 2023

Articles	5	دراسات
Hassane Hjij Digital Social Networks Challenges to Classical Political Culture Theory	7	حسن احجيج تحديات الشبكات الاجتماعية الرقمية لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية
Marwa Fekry Amr Osman The Internet, Political Culture, and the Paradox of Collective Memory: The Case of the Egyptian January 25, 2011 Revolution	22	مروة فكري عمرو عثمان شبكة الإنترنت والثقافة السياسية ومفارقة الذاكرة الجمعيّة: حالة ثورة 25 يناير 2011 المصرية
Hani Mousa Tribalism, Regionalism, and the Stumbled Building of the Modern State in Libya	42	هاني موسى القبلية والجهوية وتعثّر بناء الدولة الحديثة في ليبيا
Wadee Alarabeed The Approach of Gulf Donor Countries Through the HDP Triple Nexus in Fragile and Conflict-affected Contexts: Reality, Challenges, and Prospects	60	وديع العرابيد نهج دول الخليج المانحة عبر الرابطة الثلاثية في السياقات الهشة والمتضررة من الصراع: الواقع والتحديات والآفاق
Emad Y. Kaddorah The Position of the Gulf States in the Belt and Road Initiative	76	عماد قدورة موقع دول الخليج العربية في مبادرة الحزام والطريق الصينية

Documentation 97

Milestones in Democratic Transition in the Arab World 1/5 - 30/6/2023 99

Documents of Democratic Transition in the Arab World 1/5 - 30/6/2023 103

Palestine Over Two Months 1/5 - 30/6/2023 109

Book Reviews 115

Basma Ahmad Sedki Dajan

"Genesis: Truman, American Jews, and the Origins of the Arab/Israeli Conflict" by John B. Judis 117

Asma Benmechirah

"The Struggle between Great Power in the Indo-Pacific: Reimagining the Strategic Map of Asia" by Abdelkader Dendenne 132

التوثيق

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 5/1 – 2023/6/30

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 5/1 – 2023/6/30

الوقائع الفلسطينية في المدة 5/1 – 2023/6/30

مراجعات الكتب

بسمة أحمد صدقي الدجاني

"التكوين: ترومان واليهود الأميركيون وأصول الصراع العربي – الإسرائيلي" لجون ب. جوديس

أسماء بن مشيرح

"صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك: إعادة تخيل الخريطة الاستراتيجية لآسيا" لعبد القادر دندن

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطوّرها، انطلاقًا من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثّرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثًا ودراسات وتقارير، ويصدر كتبًا محكّمةً ودوريات علميةً، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجّهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضًا، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسة التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسّس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسِّس.

أسّس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسّس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرّغ العلمي، ويكلّف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

دراسات

Articles

التسلم Received 2023-2-1
التعديل Revised 2023-4-10
القبول Accepted 2023-7-1
المعرّف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430/XNVH9747

حسن احجيج | Hassane Hjij*

تحديات الشبكات الاجتماعية الرقمية لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية

Digital Social Networks Challenges to Classical Political Culture Theory

تؤدي تكنولوجيا الاتصال الرقمية دورًا مركزيًا في توسيع نطاق المشاركة السياسية، من خلال السماح لمعظم الفئات الاجتماعية بالتعبير عن آرائه ومواقفه من القضايا، ومن ثم المساهمة في تشكيل الثقافة السياسية المحلية أو الوطنية. ويبدو أن العناصر السياسية كلها ذات الصلة بالثقافة السياسية (التمثيل، والوساطة، والإعلام، والأحزاب، وغيرها)، تأثرت كثيرًا بانبثاق الشبكات الاجتماعية الرقمية وعرفت تغييرات عميقة أضحت تمثل تحديات حقيقية لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف خصائص الثقافة السياسية في العصر الرقمي ومناقشة تحديات الشبكات الاجتماعية الرقمية لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية.

كلمات مفتاحية: الثقافة السياسية، وسائط التواصل الاجتماعي، الحزب الرقمي، خوارزمية التفضيل السياسي، الفجوة الرقمية.

Digital communication technology plays a central role in broadening the scope of political participation by allowing most social groups to express their views and positions on issues, thus contributing to shaping the local or national political culture. It seems that all the political elements related to political culture (representation and mediation, media, parties, etc.) were greatly influenced by the emergence of digital social networks and experienced profound changes that became real challenges to classical political culture theory. This paper aims to explore the characteristics of political culture in the digital age and discuss its challenges to orthodox political culture theory.

Keywords: Political Culture, Social Media, Digital Party, Political Preference Algorithm, Digital Divide.

* أستاذ السوسيولوجيا، رئيس المركز الأكاديمي للدراسات الاجتماعية، مراكش، المغرب.
Professor of Sociology, Head of Academic Center of Social Studies, Marrakesh, Morocco.
Email: hassane.hjij@gmail.com

مقدمة

يشهد تطور عدد مستخدمي الشبكات الاجتماعية الرقمية[1] في العالم على تأثيراتها في مناحي حياتنا الاجتماعية كلها[2]. فقد غيّرت الحواسيب وشبكة الإنترنت الطريقة التي نتصرف بها في العديد من المجالات. فكثيرون من الناس الراشدين يستخدمون الشبكات الاجتماعية للتسوّق وتداول الأسهم والحصول على الأخبار وبناء صداقات والتعبير عن المواقف السياسية، والعمل على تحقيق التغيير السياسي والاجتماعي. في كانون الثاني/ يناير 2022، تجاوز عدد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعية 4 مليارات و900 مليون مستخدم، وبلغت نسبة الولوج بالنسبة إلى مجموع سكان العالم 58.4 في المئة. يشير الجدول إلى الارتفاع المذهل في عدد مستخدمي وسائط التواصل الاجتماعي عبر العالم.

جدول يبيّن توزيع المستخدمين على وسائط التواصل الاجتماعي عبر العالم (2010-2022) (بالمليون)

عام وساطة	2010	2013	2018	2022
فيسبوك	517.75	1170	2260	2936
تويتر	43.25	223.68	329.50	396.2
إنستغرام	-	117.50	1000	2000
يوتيوب	480.55	1007	1900	2600

المصدر: من إعداد الباحث.

سمح هذا الاختراق العميق لتكنولوجيات الإعلام والاتصال في الحياة المعاصرة، لهذا العدد الهائل من مستخدمي الشبكات الاجتماعية الرقمية، بتجاوز دورهم التقليدي بوصفهم متلقين، وحوّلهم إلى مشاركين ناشطين في إنتاج الأخبار ونشرها. وكان من نتائج ذلك أن أصبحت هذه الشبكات أداة للعمل السياسي، تساهم في تطوير حقبة جديدة من الديمقراطية التشاركية، بما أنها تتيح للمواطنين التعبير عن آرائهم في القضايا ذات الاهتمام العام، ومن ثم المساهمة في وضع أجندات للمجتمع بأسره[3].

على الرغم من الفجوة الرقمية القائمة بين الدول عبر العالم، وداخل كل دولة، فإن الانتشار الواسع للحواسيب الشخصية والهواتف الذكية والألواح الإلكترونية، وتمكين طبقات اجتماعية مختلفة من صبيب الإنترنت، وظهور الشبكات الاجتماعية الرقمية، عوامل ساهمت في خلق فضاء جديد لتشكل الثقافة السياسية وإعادة تشكيلها. ويُلاحَظ أن هناك اهتمامًا متزايدًا بين السياسيين والمنتخبين بحضورهم في شبكات التواصل الاجتماعي[4]. ويبدو أن هذه الأخيرة زاد استخدامها لأغراض سياسية في العالم أجمع، بما في ذلك البلدان العربية.

أحدثت الشبكات الاجتماعية الرقمية تحوّلات عميقة في مشاركة المواطنين في النشاط السياسي المحلّي والوطني؛ ما يعني أن الثقافة السياسية عرفت تغيرات كبيرة، ما دامت المشاركة السياسية تشكل أحد عناصرها الرئيسة. وكما يشير غابرييل ألموند وسيدني فيربا: "ينتشر في الأمم الجديدة في العالم الاعتقاد أن الإنسان العادي وثيق الصلة بالسياسة، أي ينبغي له أن يكون مشاركًا منخرطًا في النظام السياسي"[5]. فالناس يطالبون بأن تكون أصواتهم مسموعة، وأن تؤخذ على محمل الجدّ. باتت وسائط التواصل الاجتماعي في عصر "ما بعد الحقيقة" والتضخم المعلوماتي، تساهم في إحداث تغييرات حقيقية في طرائق مشاركة الناس السياسية وتصوراتهم للسياسة. لذلك، فنحن نشهد كيف تتغيّر الثقافة السياسية التقليدية وكيف يُعاد تشكيلها من خلال التأثير القوي لوسائط التواصل الاجتماعي في طرائق اتصال بعضنا ببعض، ومع المؤسسات السياسية والإعلامية التقليدية.

مرّ زُهاء أربعين عامًا منذ أن بدأ استخدام مفهوم الثقافة السياسية بانتظام في الدراسات التي تركز على فهم كيفية بناء المواطنين علاقتهم

1 نستخدم في هذه الدراسة مصطلحات الشبكات الاجتماعية الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعية ووسائط التواصل الاجتماعي على نحو مترادف.

2 R. Reiffel, *Révolution numérique, révolution culturelle* (Paris: Gallimard, 2014), p. 11; Esteban Ortiz-Ospina, "The Rise of Social Media: Social Media Sites are Used by more than Two-Thirds of Internet Users. How has Social Media Grown Over Time?" *Our World in Data*, 18/9/2019, accessed on 9/5/2023, at: https://bit.ly/4bgn7Pw

3 R. Bond & S. Messing, "Quantifying Social Media's Political Space: Estimating Ideology from Publicly Revealed Preferences on Facebook," *American Political Science Review*, vol. 109, no. 1 (2015), pp. 62-78; J.E. Carlisle & R.C. Patton, "Is Social Media Changing How We Understand Political Engagement? An Analysis of Facebook and the 2008 Presidential Election," *Political Research Quarterly*, vol. 66, no. 4 (2013), pp. 883-895.

4 K. Daesik, J.C. Chung& E. Kihong, "Measuring Online Public Opinion for Decision Making: Application of Deep Learning on Political Context," *Sustainability*, vol. 14, no. 7 (2022).

5 G.A. Almond & S. Verba, *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Fire Nations* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1963), p. 4.

بالسياسة. يقسم نوربيرت ليتشنر[6] المسار الذي اتّبعته دراسات الثقافة السياسية خلال هذه العقود الأربعة والمسائل المحورية المختلفة التي عالجتها تدريجيًا إلى ثلاث مراحل. خلال المرحلة الأولى، ركزت دراسات الثقافة السياسية على اتجاهات المواطنين وقيمهم ومعتقداتهم؛ وركزت في المرحلة الثانية على تحليل التأثير المنسوب إلى عولمة الثقافة والتواصل في تشكيل الثقافة السياسية؛ أما المرحلة الثالثة التي نعيشها اليوم، فتتّسم بتعقيد خاص من حيث تزامن ظاهرتين: الأزمة العميقة للأنظمة الديمقراطية التمثيلية، والسيطرة العامة لنمط التواصل بوساطة الأدوات التكنولوجية الرقمية المُتاحة، ولا سيما الإنترنت.

ترتبط الثقافة السياسية بمخرجات العملية السياسية نفسها، من خلال قنوات التنمية السياسية التعددية؛ ومع انبثاق ثورة الاتصال والإعلام، واجه الباحثون تحدي دراسة إحدى هذه القنوات الحديثة المُتاحة للجميع؛ أي الإنترنت، التي قوّضت الحدود السياسية الوطنية التي كانت في السابق تُحد من تدفّق المعلومات. تمثل شبكة الإنترنت إحدى الوسائل التكنولوجية في ثورة المعرفة، فقد أضفت على الثقافة السياسية معانيَ متعدّدة وأحدثت حركة نوعية في حقول البحث والآراء والاتجاهات والأخبار السياسية، إلى أن أصبحت أهم قنوات الاتصال التي تؤدي دورًا بارزًا في تغيير منظومة القيم ومراجعة مواقف الأفراد والمجتمعات ثقافيًا وسياسيًا واجتماعيًا.

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف خصائص هذه الممارسة السياسية في عصر وسائط التواصل الاجتماعي، وما رافقها من تحوّلات على مستوى معظم العناصر التي تشكل الثقافة السياسية، من التمثيل السياسي وأساليب تدبير الديمقراطية لدى الأحـزاب السياسية، والتفاوت من حيث امتلاك موارد المشاركة السياسية الرقمية، فضلًا عن الإعلام بوصفه عاملًا أساسيًا في تشكيل الثقافة السياسية. كما تهدف إلى إظهار دور الثورة الرقمية في تسريع التساؤل بشأن الطرائق التقليدية لفهم السياسة وممارستها.

للقيام بذلك، سنسعى للإجابة عن سؤالين رئيسين؛ الأول: أيوفّر السلوك السياسي الرقمي مؤشرًا مفيدًا لدراسة الثقافة السياسية لجماعة اجتماعية معيّنة، أم أن هذا السلوك أضاف المزيد من الضوضاء إلى عملية صنع السياسة؟ من وجهة نظر القياس، يوفّر السلوك السياسي الذي يتمظهر في الآراء غير المصفاة، لعلماء الرأي العام فرصة فريدة وإمدادًا غير محدود تقريبًا من التعليقات العامة حول القضايا المهمة سياسيًا واجتماعيًا. لكن، هل تلقي مثل هذه التعليقات الضوء على المناقشات، أم تُشوّه جهود قياس مشاعر الجمهور بدقة؟ إذا أخذنا تعريف فلاديمير أولاندو كي للرأي العام: "الآراء التي يتبنّاها الأشخاص العاديون، والتي تجد الحكومات أن من الحكمة الالتفات إليها"[7]، يحق لنا أن نتساءل عما إذا كانت دراسة السلوك السياسي عبر الإنترنت تحظى بأهمية سياسية واجتماعية تعادل أهمية دراسة الثقافة السياسية التقليدية أو تتجاوزها. والسؤال الثاني هو: هل أدّى التعبير عن الآراء السياسية عبر الإنترنت إلى تغيير بنية الثقافة السياسية تغييرًا جذريًا؟ بمعنى آخر، هل غيّر التعبير السياسي عبر الإنترنت طبيعة ما نحاول قياسه؟

أولًا: مفاهيم الدراسة

1. الثقافة السياسية

على الرغم من أن الثقافة السياسية تُعدّ أحد أكثر المفاهيم شعبية وجاذبية، فإنها تبقى أحد أكثر المواضيع إثارة للجدل والارتباك في العلوم السياسية[8]. فكثيرًا ما كان يُعتقد أن الثقافة والسياسة متشابكتان؛ إذ يمكن العثور على الثقافة أو القيمة بوصفهما تفسيرًا في دراسة الظواهر السياسية في أعمال فريدريش هيغل Friedrich Hegel (1770-1831) وإيمانويل كانط Emanuel Kant (1724-1804) وماكس فيبر Weber Max (1864-1920). إن البشر نتاج بيئتهم الثقافية، وغالبًا ما تكون أفعالهم موجّهة ومتأثرة بتوجّهاتهم الثقافية الذاتية. لكن مصطلح "الثقافة السياسية" لم يجرِ تداوله في العلوم السياسية إلّا في أوائل ستينيات القرن العشرين، حين نشر غابرييل ألموند وسيدني فيربا عملهما المرجعي **الثقافة المدنية: الاتجاهات السياسية والديمقراطية في خمس دول**[9]. ومنذ ذلك الحين، حظيت نظرية الثقافة السياسية بنجاح وتطور كبيرين في العلوم السياسية والاجتماعية[10]، بسبب القوة التفسيرية لحججها في ما يتعلق بالدور

6 N. Lechner, "Por qué la política ya no es lo que fue?" *Leviatán: Revista de hechos e ideas*, no. 63 (May 1996), pp. 63-74.

نقلًا عن:

X. Barandiarán, A. Unceta & S. Peña, "Political Communication in Times of a New Political Culture," *Icono14*, vol. 18, no. 1 (June 2019), pp. 256-281.

7 V.O. Key, Jr., *Public Opinion and American Democracy* (New York: Knopf, 1961), p. 14.

8 D.J. Elkins & R.E.B. Simeon, "A Cause in Search of its Effects, or What Does Political Culture Explain?" *Comparative Politics*, vol. 11, no. 2 (1979), p. 127.

9 Almond & Verba.

10 M.A. Seligson, "The Renaissance of Political Culture or the Renaissance of the Ecological Fallacy?" *Comparative Politics*, vol. 34, no. 3 (2002), pp. 273-292.

الوسيط الذي تقوم به الثقافة في العلاقة بين المواطنين وديناميات بنية الدولة وتنظيمها وعملها[11].

ثم توزّعت دراسات الثقافة السياسية على مقاربتين أساسيتين: المقاربة الذاتوية Subjectivist Approach والمقاربة الجماعوية Collectivist Approach. يمثل المقاربة الأولى سيدني فيربا الذي يركز على التوجّهات السياسية، مع استبعاد السلوك في تعريفه ثقافة المجتمع السياسية، فهي "نظام المعتقدات الإمبريقية والرموز التعبيرية والقيم التي تُحدّد الوضعية التي يحدث فيها الفعل السياسي. إنها توفر التوجه الذاتي للسياسة"[12]. وتجمع نظرية فيربا وزميله ألموند الكلاسيكية للثقافة السياسية بين السلوك السياسي والثقافة على المستوى الذاتي للمواطن الفرد، مُفتِّتَةً المستوى الذي تُقاس به الاتجاهات. بعد ذلك يجري تجميع هذه القياسات الفردية، حيث توفّر تعميمات على اتجاهات الجمهور. وفي مقابل ذلك، تعتبر الثقافة وفق المنظور الجمعي ظاهرة جماعية منبثقة[13]، ومن ثم لا يمكن تفسيرها بمجرد عدّ الإسقاطات الفردية أو تلخيصها. يقدم أنتوني كون مثلًا للثقافة السياسية تصورًا تتشابك فيه المعتقدات والسلوك الفردي في عملية تفاعل تكرارية، تصبح روتينية بمرور الوقت. بحسب كون، "الإطار التأويلي الواسع الذي تتبنّاه الجماعة أو الفرد هو الذي يسند معنى إلى السلوك السياسي. إنه المعنى الذي يتم إدراكه في أحداث وسلوك معينين، يجري التوسط لهما بتفاعل الأنماط التاريخية للمجتمع والممارسات التقليدية وعادات الارتباط البشري. إن الثقافة السياسية التي توجد في المعتقدات السياسية ويعبَّر عنها من خلال السلوك السياسي، يجري إنشاؤها وإعادة إنشائها باستمرار من خلال التفاعل الاجتماعي. إنها تتمظهر في القدرة التي تمنحها للناس على تحديد المعنى في السلوك السياسي وإدراكه"[14]. إن مستوى التحليل هنا هو الجماعة. وتشمل الثقافة السياسية المحلية أيديولوجيا النخب السياسية والأمة عمومًا، لكنها تختلف عن الثقافات السياسية للجماعات الأهلية الأخرى بالتأثيرات البيئية الفريدة (أي الخصائص الديموغرافية).

يقدم الجمع بين المقاربتين تصوّرًا أشمل للثقافة السياسية، يدمج السلوك والتوجهات الشخصية في بناء مفاهيمي، يؤكد الطابع التحفيزي للثقافة من خلال التفاعل بين الوضعيات والسلوك. الثقافة السياسية هي البعد السياسي للثقافة، ومن ثم، تشكل جزءًا من الثقافة المنتشرة في المجتمع؛ وبما أنها جزء من الثقافة العامة للمجتمع، فإنها تصبح انعكاسًا لهذا الأخير. ولما كانت سياسة دولة معيّنة تعكس رؤيتها الثقافية، فإن الثقافة السياسية تعتبر مؤشرًا على تقدم الحياة السياسية والديمقراطية وانعكاسًا للنضج السياسي والمشاركة في العملية السياسية.

إن لكل مجتمع مقاربات متباينة لمواضيع وقضايا مختلفة، وتعتمد تلك المقاربات على الكثير من العوامل التي تشكل الثقافة السياسية. وتركز الثقافة السياسية لمجتمع معين على سلوك وأحداث ومؤسسات مخصوصة، وتُحدّد مجال الممكنات والمشكلات الوجيهة ونطاق البدائل التي يتّخذ فيها الأفراد قراراتهم[15]. وتشكل هذه العناصر المسلّمات التي يخصص لها كل مجتمع سياسي مقاربة مخصوصة من أجل المشكلات ذات الصلة، من خلال وجهات نظر وحجج واستدلالات مختلفة. وكما يلاحظ سويدلو، "تمثل الثقافة السياسية؛ أي القيم والمعتقدات المشتركة لجماعة أو مجتمع في ما يتعلق بالعلاقات السياسية والسياسة العامة، في جوهرها جوابًا عن سؤال كيف يعيش البشر معًا؟"[16].

2. وسائط التواصل الاجتماعي

يشير مصطلح وسائط التواصل الاجتماعي، الشائع جدًا، إلى التقنيات المستندة إلى الويب 2.0 للاتصال والمشاركة عبر الإنترنت. ليس ثمة اتفاق بين الباحثين على تعريف موحد لوسائط التواصل الاجتماعي؛ فهناك مئات التعريفات، وغالبًا ما تُضاف تعريفات جديدة، مع استمرار تغير المفاهيم وتطوّرها مع مرور الوقت. لكننا نقترح، لغرض هذه الدراسة، تعريفًا عمليًا محدّدًا لوسائط التواصل الاجتماعي: إنها مجموعة من مواقع الويب والأنظمة المستندة إلى الويب التي تسمح بالتفاعل الجماعي والمحادثة والمشاركة بين أعضاء الشبكة[17]. تتميز وسائط التواصل الاجتماعي في هذا التعريف بأربع خصائص محددة: المحتوى الذي ينشئه المستخدم والجماعة والانتشار السريع والحوار المفتوح ثنائي الاتجاه.

تتماشى هذه المفهمة لوسائط التواصل الاجتماعي مع تعريفها الذي اقترحه كابلان وهاينلاين، بوصفها "مجموعة من التطبيقات القائمة

11 C.F. Voinea & M. Neumann, "Political Culture: A Theory in Search for Methodology: An Editorial," *Quality & Quantity*, vol. 54 (2020), pp. 335-360.

12 S. Verba, "Comparative Political Culture," in: L. Pye & S.Verba (eds.), *Political Culture and Political Development* (Princeton N.J.: Princeton, 1965), p. 513.

13 Elkins & Simeon.

14 A. Cohen, *The Symbolic Construction of Community* (New York: Ellis Horwood Limited, 1985), p. 18.

15 Elkins & Simeon, p. 124.

16 B. Swedlow, "Political Culture," in: G. Claeys (ed.), *Encyclopedia of Modern Political Thought*, (Thousand Oaks, CA: Sage, 2013), p. 624.

17 J. Murphy, C.A. Hill & E. Dean, "Social Media, Sociality and Survey Research," in: C.A. Hill, E. Dean & J. Murphy (eds.), *Social Media: Sociality and Survey Research* (Hoboken, New Jersey: Wiley, 2013), p. 3.

على الإنترنت، التي تستند إلى الأسس الأيديولوجية والتكنولوجية للويب 2.0، والتي تسمح بإنشاء المحتوى الذي ينشئه المستخدِم وبتبادله"[18]، إن الخاصية التي تهمّنا في هذا التعريف، والتي تبدو لنا وجيهة في ما يتعلق بأهداف بحثنا، هي تمكين مستخدمي الشبكات الاجتماعية الرقمية، بفضل إضفائها الطابع الديمقراطي على المحتوى؛ ما يمنح هؤلاء المستخدمين القدرة على الخروج من وضعية مستهلكي المحتوى إلى منتجيه وناشريه. وتشمل وسائط التواصل الاجتماعي أنواع الوسائط الاجتماعية الشائعة المعترف بها على نطاق واسع، مثل المدوّنات (بلوغر Blogger وورد برس Word Press)، والمدونات الصغيرة (منصة أكس X – تويتر Twitter سابقًا)، وخدمات الشبكات الاجتماعية (فيسبوك Facebook)، ومواقع مشاركة المحتوى والمناقشة (يوتيوب YouTube)، والعوالم الافتراضية (سكند لايف Second Life)[19].

ثانيًا: خصائص الثقافة السياسية الرقمية

1. المواطنة الرقمية

ماذا تعني ممارسة السياسة اليوم؟ وماذا يعني أن يكون المرء مواطنًا؟ يتحدّى التحوّل في كيفية ممارساتنا السياسية في العصر الرقمي المعنى التقليدي للمشاركة المدنية والمواطنة. تقليديًا، كانت العلوم السياسية تتعامل مع "مواطن الأمة" الذي كان يتحدد بانتمائه إلى رقعة ترابية محددة، يسود فيها حكم معيّن. لكن بدأ هذا النوع من المواطنين، منذ بضعة عقود، يترك مكانه لنوع آخر يمكن تسميته "المواطن الرقمي" أو مواطن الإنترنت Netizen، وهي التسمية التي أُطلقت على الذات السياسية التي تكوّنت في الفضاءات الافتراضية، والتي قطعت شوطًا طويلًا في تكوين صنف جديد من العلاقة السياسية، علاقة تنشأ بفضل شبكة الإنترنت التي تشجّع على عمليات التبادل العابرة الحدود الوطنية، وتجمع بين الولاء للأمة والولاء للشبكة الرقمية وللفضاءات السياسية العالمية.

مواطن الإنترنت هو فرد طوّر هوية سياسية – اجتماعية - ثقافية جديدة من خلال "شبكة الإنترنت التي منحته القدرة على التأثير في السياسة والصحافة والثقافة، وفي مختلف أبعاد المجتمع الأخرى"[20]. وقد أدّى الابتكار التكنولوجي الرقمي إلى خفض تكلفة الوصول إلى المعلومات؛ ما أدى إلى تعزيز المواطنة الديمقراطية. وفقًا لنظريات التعبئة التي يمثلها باحثون، أمثال هوارد راينغولد Howard Rheingold وبيبا نوريس Pippa Norris، تتمتع شبكة الإنترنت بالقدرة على التعبئة من خلال تسهيل نشر المعلومات. تُميّز هذه المقاربة الإنترنت من الوسائط الإعلامية التقليدية، بناء على كمية المعلومات المتداولة في الحقل السياسي وتكلفة إنتاجها أو بلوغها، وتقيم علاقة ارتباط إيجابية بين الغنى الكمي للمعلومات ومستوى الانخراط في الممارسة السياسية.

عندما أصبحت الشبكات الرقمية مجالًا لإنتاج معظم أشكال التعبير الثقافي وتوزيعها وتبادلها، أدّى ذلك إلى إضعاف القوة السياسية للمرسلين التقليديين، مثل رجال السياسة والإعلام الجماهيري والحكومات. ويتمظهر ذلك جليًّا في الدور الذي تقوم به الممارسة السياسية الموصولة بالإنترنت في تمكين مواطني الحكومات الاستبدادية من ممارسة تأثيرات ديمقراطية ضخمة، ومن خلق تعددية ثقافية سياسية، وهذا ما اعترف به يورغن هابرماس الذي عُرِف بتشكيكه في المزايا الديمقراطية للإنترنت ومشتقاته الاجتماعية، حيث أكد أن الشبكات الاجتماعية الرقمية قادرة على مقاومة محاولات الأنظمة الاستبدادية السيطرة على الرأي العام وقمعه[21].

2. غياب الوساطة

في مجتمع التواصل الجماهيري، مثّلت الأحزاب السياسية والمنظمات المدنية والحركات الاجتماعية ووسائل الإعلام، الفاعل الرئيس في الفضاء العام، حيث كانت تنتج الرأي العام وتُحدّد الأجندات السياسية للمجتمع. كان رأي الأفراد في الحكومات وأدائها، وفي المشاريع المجتمعية المستقبلية، يمرّ عبر مصفاة الأحزاب السياسية من خلال قادتها وممثليها. وكانت وسائل الإعلام تُحدّد ما يجب أن يكون موضوعًا للنقاش في الفضاء العام، وتضع سياقه وتؤطّره، مقدمةً أحيانًا تفسيرًا خاصًا ومتحيّزًا لهذا النقاش. إذا نظرنا إليها من هذه الزاوية، يمكننا القول إن وسائل الإعلام هي في الأساس "مُضخّم" للأحداث. تُعيدنا هذه الاستعارة إلى نظرية التأطير[22]، حيث يسعى

18 A.M. Kaplan M. & Haenlein, "Users of the World, Unite! The Challenges and Opportunities of Social Media," *Business Horizons*, vol. 53, no. 1 (2010), p. 61.

19 Murphy, Hill & Dean.

20 Michael Hauben, "What the Net Means to Me," *CAN*, vol. 6, no. 1 (Spring 1994).

21 Jurgen Habermas, "Political Communication in Media Society: Does Democracy Still Enjoy an Epistemic Dimension? The Impact of Normative Theory on Empirical Research," *Communication Theory*, no. 16 (2006), pp. 411-426.

22 Entman.

الصحافيون لـ "تشكيل" الأحداث بطريقة معيّنة، حيث يمكن إدراجها في إطار مرجعي محدد، ومن ثم إعطاء "زاوية" لقصة معيّنة.

أدى تعميم التقنيات الرقمية وتطوير أدوات الويب 2.0 إلى تحول عميق في الاتصال، من أهم تمظهراته ما أصبح يُعرف بـ "غياب الوساطة" Disintermediation. وقد أوضح كاستلز أن الأدوات الرقمية توجد في صميم التواصل الذاتي الجماهيري Mass Self-Communication، حيث يمكن أن يبث أي فرد رسالة شخصية على الإنترنت ويحقق صدًى محليًا أو وطنيًا أو عالميًا[23]، ما يمكن أن نراه في الاحتجاجات العالمية، مثل احتجاجات تونس أو أيسلندا أو مصر أو إسبانيا أو الولايات المتحدة الأميركية أو تركيا أو البرازيل في السنوات الأخيرة، هو السرعة التي تتغير بها الرسائل السياسية على يد التقنيات الرقمية التي تجعل من الممكن إنشاء ميكانيزم أساسي للسلطة في المجتمع الشبكي: قوة الترابط[24].

يذهب لانس بينيت وأليكساندرا سيجيربيرغ إلى أن هذا الفعل الترابطي، الناتج من تعميم منجزات الويب 2.0، سمح لمعظم الأفراد بمشاركة محتوياتهم الشخصية على وسائط التواصل الاجتماعي، حيث أصبحوا ينتجون و/ أو يوزّعون محتويات للتعبير عن دعمهم لقضايا معيّنة، أو لمساءلة الحكومات. وأدى ذلك إلى ظهور رأي عام منظم وفقًا لمنطق الشبكة، كونه أفقيًا، مفكك البنية، وتهيمن عليه الفورية[25].

ناقش العديد من الدراسات العلمية الدور المثير الذي تقوم به وسائل الإعلام الرقمية في تنظيم الفعل السياسي المباشر والتعبئة العامة، خاصة بعد انتشار شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع المدوّنات الصغيرة بعد عام 2006. وانقسمت هذه الدراسات إلى فئة أبدت حماستها لهذا الدور، حيث أشارت إلى أنه كان لوسائط التواصل الاجتماعي دورٌ سببيٌ في هذه الاضطرابات السياسية، وركزت فئة متشائمة على أن القوة السياسية لهذه الوسائط الرقمية جرى تضخيمها. لكنّ باحثين متأخرين اعتمدوا على منطق الفعل الاتصالي الذي يقدم وصفًا ثريًا ومنهجيًا لدور الوسائط الرقمية في التعبئة واسعة النطاق. على سبيل المثال، أقام بينيت وسيجيربيرغ[26] إطارهما النظري في السياق الأوسع للتغييرات المجتمعية المتواصلة في الديمقراطيات الحديثة، وهو السياق الذي سمح بظهور الوسائط الاجتماعية الرقمية باعتبارها أدوات للمشاركة السياسية. بيد أن هذه الوسائط لم تُنتج، بشكل مفاجئ، أشكالًا جديدة من المشاركة السياسية غير المؤسسية والإبداعية والشخصية، إنما بقي "المواطنون الناقدون" في الديمقراطيات الحديثة يمارسون منذ فترة طويلة انتقالًا تدريجيًا من الأشكال التقليدية للمشاركة، إلى أنماط تشاركية، من دون وساطات تتماشى بشكل وثيق مع سياسات القضايا، وقيم المواطنين، وتفضيلاتهم الخاصة فيما يتعلق بأسلوب الحياة. وهذا ما يفسر تصور الباحثين استخدامَ الوسائط الرقمية بوصفه توسيعًا لنطاق الفعل السياسي، وتركيزهما على فكرة أن الوسائط الرقمية أصبحت فاعلًا تنظيميًا يساهم على نحو كبير في بناء ثقافة سياسية رقمية يمارسها المواطنون دون وساطة من البنيات السياسية التقليدية، مثل الأحزاب والدولة والإعلام التقليدي.

أضحى شكل المواطنة الجديد نوعًا من الديمقراطية المباشرة، حيث "أصبحت المواقف في الإنترنت أقل جمودًا وأكثر تغيرًا، لأن الناس أصبحوا قادرين على التوجّه، بعضهم إلى بعض بشكل مباشر، وليس بوساطة الصحافيين ورجال السياسة والقراصنة الأيديولوجيين"[27]. وهكذا أصبح في إمكان "المواطنين الرقميين" تحقيق الاستقلال عن الأجندات الإعلامية والأيديولوجيات السياسية القديمة. لم يعد المواطن الرقمي يفكر في قضايا المدينة وفقًا للتعارض يمين/ يسار، بل أصبح في إمكانه، كما في عهد الأنوار، ممارسة عقلانية جديدة.

3. الأحزاب الرقمية

أبرزت الدراسات الكلاسيكية دور الأحزاب السياسية في تشكيل الثقافة السياسية للمجتمع. وبالنسبة إلى هذه الدراسات، مثّل الحزب السياسي في الأساس، ثم وسائل الإعلام، "الكائن الحي النموذجي"[28] لأبحاث الثقافة السياسية. وبالقياس إلى الاستعارة التي استعملتها زينب توفيكشي لوصف منصة **تويتر** سابقًا، كان الحزب في الأساس "ذبابة الفاكهة سوداء البطن"[29] لدراسات الرأي العام والثقافة السياسية. وركّزت هذه الدراسات في الأساس على التواصل السياسي للأحزاب السياسية وطرائق ممارسة العضوية والديمقراطية الداخلية.

23 M. Castells, *Networks of Outrage and Hope: Social Movements in the Internet Age* (Cambridge, UK: Polity Press, 2012).

24 Ibid.

25 W.L. Bennett& A. Segerberg, *The Logic of Connective Action: Digital Media and the Personalization of Contentious Politics* (New York: Cambridge University Press, 2013).

26 Ibid.

27 J. Katz, "Birth of a Digital Nation," *Wired*, 1/4/1997, p. 49.

28 في البايولوجيا، تشير "الكائنات الحية النموذجية" إلى الأنواع (مثل الفئران المنزلية، وذبابة الفاكهة سوداء البطن، وبكتيريا الإشريكية القولونية) التي يجري عليها العلماء دراساتهم التجريبية من أجل تسليط الضوء على العمليات البيولوجية الرئيسة، مثل الخصائص الأساسية للخلايا الحية.

29 Z. Tufekci, "Big Questions for Social Media Big Data: Representativeness, Validity and other Methodological Pitfalls," *ICWSM*, no. 14, (2014), pp. 505-514.

ويبدو أن الثقافة السياسية للأحزاب السياسية تعيش أزمة خانقة بسبب العزوف السياسي وانخفاض عدد المنتمين إليها واحتكار قادتها للقرارات الحاسمة.

يؤدي الاتصال السياسي اليوم أكثر من أي وقت مضى دورًا استراتيجيًا في علاقة المواطنين بالسياسة، أي في تشكل الثقافة السياسية، وفي كيفية إدراك المواطنين السياسة وتقييمهم وحكمهم عليها. تؤثر هذه الظاهرة في الممارسة السياسية في البلدان كلها التي تتبنى الديمقراطية التمثيلية، وتساهم على نحو حاسم في أزمة الثقافة السياسية التقليدية. هكذا يواجه النظام السياسي القديم في المجتمعات الأوروبية اليوم تحديًا من جيل جديد من السياسة، يطلق على نفسه الديمقراطية المناسبة لعصر وسائط التواصل الاجتماعي. وأصبح ما يطلق عليه "الحزب الرقمي" أحد أهم مكوّنات هذا النظام الديمقراطي. والحزب الرقمي تنظيم سياسي يختار أعضاؤه المرشحين، ويصوتون على المواقف السياسية، ويقدمون الأفكار من خلال منصّات الإنترنت. اقترحت هيلين مارغيتس في عام 2006 أن التكنولوجيا الرقمية ستؤدي إلى إنتاج نموذج حزب إلـكتروني Cyber-party. تتمثل السمة المميزة الأساسية للأحزاب الإلكترونية، وفقًا لمارغيتس، في أنها "تستخدم التقنيات المستندة إلى الويب لتقوية العلاقة بين الناخبين والحزب، بدلًا من الاعتماد على التصورات التقليدية للعضوية [...]. ويمكن استخدام مواقع الويب لربط الوحدات المحلية أو القطاعية للأحزاب اللامركزية، كما يمكن استخدامها لتحقيق تأثير جيد في جعل الترتيبات الائتلافية واضحة للناخبين. فضلًا عن ذلك، يوفر الوجود على شبكة الإنترنت [...] الفرصة لتقديم صورتها للناخبين [...] ولجعل المشاركة السياسية خالية تقريبًا من التكلفة، وللتغلب على مشكلة حضور الاجتماعات [...]، ما يجعل النشاط السياسي ممكنًا في المنزل وفي أي وقت"[30].

يبدو أن حدس مارغيتس بدأ يتحقق منذ سنوات عدة. هكذا يمكن مثلًا أن نعتبر حزب بوديموس الإسباني وحزب "حركة 5 نجوم" الإيطالي من أبرز الأحزاب الأوروبية التي تبنّت هذه المقاربة الديمقراطية الرقمية[31]. لكن إرهاصات الأحزاب الرقمية ليست وليدة اليوم، فقد نشأ أول حزب رقمي في عام 2006 في السويد، وأطلق على نفسه اسم "حزب القراصنة". وقد أسسه ناشطو الإنترنت المستاؤون من حكم قضائي يقضي بإغلاق خدمة مشاركة الملفات المعروفة باسم Pirate Bay. واستطاع حزب القراصنة أن يتوسع بفضل منصة ليكويد فيدباك Liquid Feedback، ليشمل دول شمال أوروبا الأخرى. ويدعو هذا الحزب إلى الشفافية الحكومية وضمان الحقوق الرقمية وحماية الخصوصية على الإنترنت. والملاحظ أن الأحزاب الرقمية في أوروبا نشأت في أوساط اليسار السياسي فحسب، فقد أنشأ حزب العمال البريطاني، على سبيل المثال، منصّة على الإنترنت، تُسمى ماي مومنتوم My Mementum، يمكن أن يشارك فيها الأعضاء في صنع القرار الحزبي. وفي فرنسا، يستخدم حزب يساري متطرف ناشئ، يُعرف باسم فرنسا الأبية La France Insoumise أيضًا منصة تشاركية عبر الإنترنت[32].

أثار استخدام الأحزاب التكنولوجيا الرقمية تقييمات مختلفة للكيفية التي سيغير بها التواصل السياسي الرقمي ثقافة الممارسة السياسية في المجتمع المعاصر. قدمت وجهة النظر المتفائلة بشأن التأثير السياسي للإنترنـت تصورًا لهذه الأخيرة، يجعل منها علاجًا لأزمة الثقافة السياسية. فعلى النقيض من الطبيعة أحادية الاتجاه، ومن أعلى إلى أسفل لقنوات الاتصال التقليدية، ستقوي تكنولوجيا الإنترنت التفاعل بين الأحزاب والمواطنين. اقترح المتفائلون أن هذه القدرة المكتشفة حديثًا على الانخراط في اتصال ثنائي الاتجاه (من أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى) تمكّن الناخبين والأحزاب السياسية من تطوير روابط أقوى، غير مقيّدة بالقيود الجغرافية أو الزمنية أو الإعلامية[33]. في الجهة المقابلة، ترى وجهة النظر المتشائمة أن الاستخدام السياسي لتكنولوجيا الإنترنت يكرر أنماط الاتصال والمشاركة غير المتصلة بالإنترنت. فمن المرجّح، بحسب رأي المتشائمين، أن تستمر الأحزاب على وجه الخصوص في تركيز جهودها على توفير المعلومات من أعلى إلى أسفل، بدلًا من تبنّي الإمكانات التفاعلية الحقيقية للويب، ومن ثم ستبقى شبكة الإنترنت امتدادًا لتواصل غير المتصل بالإنترنت، ولن تفعل شيئًا يذكر لتسهيل مستويات جديدة من الترابط[34].

لكن ظهور تقنيات الويب 2.0، بطبيعتها التفاعلية، أحيت توقعات المتفائلين، نظرًا إلى أن هذه المواقع بحكم تصميمها "لا تتوافق مع أسلوب الاتصال السياسي من أعلى إلى أسفل، أي من النخبة إلى

30 H. Margetts, "Cyber Parties," in: R.S. Katz & W.J. Crotty (eds.), *Handbook of Party Politics* (Thousand Oaks, CA: Sage, 2006), pp. 531-532.

31 نعني بـ "الديمقراطية الرقمية" Digital Democracy ممارسة العمليات الديمقراطية والمشاركة الناشطة في تدبير الشأن العام على الصعيدين المحلي والوطني باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية، ولا سيما الشبكات الاجتماعية الرقمية.

32 C. Burdeau, "Digital Parties' Disrupt Europe's Traditional Politics," *Courtehouse News Service*, 20/2/2019, accessed on 5/10/2022, at: https://bit.ly/3OoJokF

33 P. Norris, *Digital Divide: Civic Engagement, Information Poverty, and the Internet Worldwide* (New York: Cambridge University Press, 2001), p. 10.

34 M. Vergeer, L. Hermans & S. Sams, "Online Social Networks and Micro-Blogging in political Campaigning: The exploration of a New Campaign Tool and a New Campaign Style," *Party Politics*, vol. 19, no. 3 (2011), pp. 477-501.

الجماهير، الذي كانت تمارسه تقليديًا الأحزاب السياسية"[35]. في السنوات الأخيرة، ابتعد بعض المنظرين عن فكرة الدور المركزي للمنظمات، واعتمد وجهة نظر أخرى، يصبح المواطنون وفقًا لها أبطالًا في إدارة المعلومات والمعرفة ومعالجتها. يرى يوشاي بينكلر[36] أن الأدوات التكنولوجية التي يشار إليها مجتمعة باسم ويب 2.0، خاصة الشبكات الاجتماعية، تُمكّن "المواطن - الهاوي" من القيام بالأنشطة المهنية التي كانت في السابق حكرًا على المؤسسات، من إنتاج السلع والخدمات، إلى إنشاء المحتويات السياسية والثقافية. هكذا يمكننا التحدّث عن ثقافة سياسية لديها القدرة والموارد لتوليد ديناميتها الخاصة للمناقشات والإجابات.

في ما يتعلق بالتحوّلات التي مسّت تصوّر الأحـزاب السياسية للممارسة الانتخابية في العصر الرقمي، تُعدّ الحملة الانتخابية الرئاسية الأميركية مثالًا جيدًا على ذلك. فقد دشّن باراك أوباما Barack Obama (1961-) في عام 2008 أهم التحوّلات العميقة التي مسّت جوهر الثقافة السياسية من خلال حملته الانتخابية الرئاسية "نعم نستطيع"، حيث استخدم الشبكات الاجتماعية لكسب المزيد من المتابعين ولإشراك المزيد من الناس في حملته. يُعدّ أوباما أول مرشح رئاسي يفهم قدرة وسائط التواصل الاجتماعي على ممارسة التأثير، حيث إن استخدامه هذه الوسائط الرقمية لإشراك الشباب كان مقاربة ثورية وغير مسبوقة، غيّرت مشهد الحملات الانتخابية لاحقًا. ربما تمثّل الابتكار الأبرز خلال هذه الحملة في زيادة المحتوى الذي يُنشئه المستخدمون، حيث استخدم المواطنون مواقع الويب والمدوّنات ومواقع مشاركة الفيديو ومواقع التواصل الاجتماعي والبودكاست للمشاركة في الحملة الانتخابية[37]. كانت تلك إشارة واضحة إلى أن الشبكات الاجتماعية الرقمية والحملات عبر الإنترنت ستكون مكوّنًا أساسيًا في الثقافة السياسية؛ إذ أبرزت الأرقام آنذاك أن معظم الأشخاص استخدم الإنترنـت لمعرفة ما كان يجري في الحملات. فقد استخدم 59 في المئة من الناخبين الإنترنت للحصول على معلومات عن الحملة، أو للانخراط في التواصل مع الآخرين بشأن الانتخابات، بينما اعتبر 36 في المئة منهم أن شبكة الإنترنت كانت المصدر الرئيس للأخبار[38].

مثلما اتّجهت مؤسسات تسويق السلع إلى وسائط التواصل الاجتماعي والتسويق الرقمي عمومًا للوصول إلى فئات الشباب، بما أن هذه التكنولوجيا الرقمية تشكل جزءًا أساسيًا من ممارساتهم اليومية، أدرك السياسيون والصحافيون أهمية هذه الوسائل في الاتصال بفئة الشباب التي لم يكن واضحًا عدم اهتمامها بوسائط التواصل السياسي التقليدية. فمن المعروف أن الشباب أكثر انجذابًا إلى الابتكارات الرقمية، مثل مقاطع الفيديو والمدوّنات والتعليقات والصور على وسائط التواصل الاجتماعي. وهذا ما يفسر جزئيًا الاهتمام المتنامي لرجال السياسة والإعلام بأدوات التواصل السياسي الرقمية؛ ما ساهم في زيادة اهتمام الشباب بالحياة السياسية. أثبتت الحملة الرقمية لأوباما الفعالية المتزايدة لهذه الاستراتيجيا التواصلية الجديدة، وهو ما دفع بعد فترة وجيزة السياسيين إلى استخدام الشبكات الاجتماعية على نحو أكبر، وبدؤوا بالتكيّف مع العصر الجديد لوسائط التواصل الاجتماعي.

يشكل البريكسيت Brexit مثالًا آخر على تأثير شبكات التواصل الاجتماعي في الثقافة السياسية، فقد جرت معركة حول الانسحاب من الاتحاد الأوروبي، حُسمت لفائدة أنصار المغادرة في وسائط التواصل الاجتماعي. ذلك أن "فريق المغادرة" فاز بالمعركة الاستفتائية قبل وقت طويل من يوم التصويت، لأنه اشتغل بقوة في الشبكات الاجتماعية الموصولة بالإنترنت قصد التأثير في المصوّتين وحملهم على اختيار قرار المغادرة. وما يثبت الدور الحاسم الذي قامت به هذه الشبكات الرقمية في تحديد القرار السياسي للمواطنين البريطانيين القاضي بالانسحاب من الاتحاد الأوروبي هو تجاهل أنصار "فريق البقاء" أهمية وسائط التواصل الاجتماعي، حيث اعتبروا هذه الأخيرة ملاذًا للتافهين والمراهقين[39].

4. الإعلام الرقمي

كان لوسائل الإعلام الجماهيرية دورُ الوساطة بين القرارات السياسية المتعلقة بتدبير الحياة العامة وإرادة المواطنين كما يتم التعبير عنها في الرأي العام، فقد كانت نافذتهم على العالم، ومنحوها مشروعية التحدث باسمهم في المجال العام. فليس من قبيل الصدفة أن تعترف دراسات التواصل السياسي الكلاسيكية بالدور المتنامي للإعلام من خلال تسميته "السلطة الرابعة". تشكل هذه الوسائط الإعلامية جزءًا أساسيًا من المجال العام. إنها تغذي الحوار العام، وتصبح قوة رئيسة في الثقافة السياسية من خلال تمكين الجمهور من البقاء على اطّلاع

35 N.A. Jackson & D.G. Lilleker, "Building an Architecture of Participation? Political Parties and Web 2.0 in Britain," *Journal of Information Technology and Politics*, vol. 6, no. 3-4 (2009), p. 223.

36 Y. Benkler, *The Wealth of Networks: How Social Production Transforms Markets and Freedom* (New Haven, CT: Yale University Press, 2006).

37 D. Owen, "The Campaign and the Media," in: M.J. Box-Steffensmeier & S.E. Schier (eds.), *The American Elections of 2008* (Lanham: Rowman and Littlefield Publishers, 2009), p. 9.

38 Ibid., p. 26.

39 V. Polonski, "Impact of Social Media on the Outcome of the EU Referendum," *EU Referendum Analysis* (2016), accessed on 9/5/2023, at: https://bit.ly/3SDbwTt

على القضايا المهمة، وتعزيز المعرفة الاجتماعية والتقييم النقدي للأحداث العامة.

لم تكتفِ وسائل الإعلام الجماهيرية، قبل ظهور الويب 2.0، بنشر الأخبار بطريقة محايدة، بل كانت تعزّز قيمًا وتصوّرات وممارسات محددةً، تتحكم فيها عوامل تنظيمية ومؤسساتية[40]. فقد كانت هذه الوسائط تنتج المحتوى الذي سيُبث من جانب واحد في إطار منطق إعلامي من قادة الرأي إلى عامة الناس. لهذا السبب، كان الاتصال الجماهيري حيويًا لخلق مجال عام، قائمًا على تجربة المشاركة في الاتصال الجماعي[41]؛ لذلك فإن "نظرية الحقنة" التي اقترحها هارولد لاسويل Harold Lasswell كانت وجيهة عندما كانت وسائل الإعلام الكلاسيكية مُكلَّفة بإيصال الرسائل. فقد كانت هذه الأخيرة، وفقًا لـ "نظرية وضع الأجندة"، تشتغل كمصافٍ Filters، وتقرر بشأن المحتوى الذي يمكن نشره وبثه؛ إذ تحدد أيَّ القضايا أكثر، أو أقل، أهمية بالنسبة إلى الجمهور، وذلك بفضل قدرتها على تركيز انتباه المواطن على موضوعات ومشكلات سياسية محددة[42]. وليس من قبيل التعميم القول إن أبحاث الاتصال السياسي تركز في المقام الأول على الرسائل السياسية وعلاقتها بالرأي العام وتأثيرها فيه، والمؤسسات التي تساهم في إنتاج المعلومات السياسية، والتي تُعدّ وسائل الإعلام الإخبارية واحدة من أهمها.

كانت وسائل الإعلام الكلاسيكية تختار المواضيع التي تبدو لها ذات أهمية، لكن تغطيتها لهذه الموضوعات لم تكن محايدة، بل كانت تُقدم في ثنايا هذه التغطية وجهة نظر معيّنة[43] في سياق يتشابك بوضوح مع النظام السياسي[44]. صحيح أن هذه الفئة من الفاعلين السياسيين كانت تؤدي دور الوساطة بين المواطنين وما يجري في المجتمع من أحداث، حيث تفتح "نوافذ على العالم"، يستطيع المواطنون من خلالها رؤية أنفسهم والآخرين والوضع السياسي الذي يعيشون فيه[45]، لكنها لا تحترم دائمًا الحياد في قيامها بهذا الدور المتمثل في "الوساطة"[46] بفعل تحيّزها إلى مواضيع معيّنة وتقاطبها السياسي، من خلال التحالف مع أحزاب أو توجّهات سياسية معيّنة.

من جهة أخرى، اتخذت وسائل الإعلام التقليدية سلسلة من الإصلاحات لتكييف نفسها مع ثقافة وسائط التواصل الاجتماعي. يفتح هذا التحول في الإنتاج الإعلامي المزيد من مصادر الأخبار للجمهور، لكنه يُعزّز في الوقت نفسه مكانة الجمهور بصفته مصدرًا للأخبار أيضًا. على المستوى الأول، أنشأ العديد من الجرائد والتلفزيونات والإذاعـات صفحات خاصة بها على منصات التواصل الاجتماعي، مثل الفيسبوك والمدونات الصغرى مثل تويتر سابقًا، ومواقع تبادل محتويات الفيديو مثل يوتيوب. إن لبعض وسائل الإعلام الجماهيرية من الأتباع على الشبكات الاجتماعية الرقمية ما يُعدّ بمئات الآلاف، وأحيانًا بالملايين. وفي الغالب، تتجاوز المواد التي تنشرها وسائل الإعلام التقليدية في حساباتها على وسائط التواصل الاجتماعي عدد مستهلكي تلك المواد في منصّاتها التقليدية. ويوجد الكثير من الإذاعات التي أصبحت تصوّر بالفيديو برامجها المسموعة وتعرضها للمشاهدة في حساباتها الاجتماعية. ويتجاوز عدد مشاهدي هذه البرامج، بكثير، عدد مستمعيها، بحسب أدوات قياس الاستماع إلى البرامج الإذاعية، وينطبق الشيء نفسه على المواد المكتوبة للصحف والمرئية للشبكات التلفزية.

على المستوى الثاني، يبدو أن ثمة انتظامًا ملحوظًا في استعادة وسائل الإعلام الجماهيري القضايا التي ينشرها مستخدِمو الشبكات الاجتماعية. فبعد أن زادت وسائط التواصل الاجتماعي من فرص الأفراد في الانخراط في إنتاج المحتوى الإعلامي وتطوير مهنة الصحافة الشعبية[47]، تحوّل الفاعلون الإعلاميون التقليديون إلى محلّلين سياسيين ملزمين بمواكبة الاهتمامات الرقمية للجمهور. وقد فرض امتلاكُ معظم الأفراد لوحة مفاتيح في العصر الرقمي على وسائل الإعلام التقليدية الانخراط في تعاون مع الجمهور الذي يزوّدها في الكثير من الأحيان بالمواضيع السياسية التي تستحق المناقشة العامة. وهذا التعاون الذي يعمل على تشكيل الثقافة السياسية للمجتمع، هو ما يُمثّل أحد التحديات التي تواجه النظرية السياسية الكلاسيكية التي اعتادت تتبع المعلومة من أعلى إلى أسفل.

40 D.L. Altheide& R.P. Snow, *Media logic* (Beverly Hills, CA: Sage, 1979).

41 U. Klinger & J. Svensson, "The Emergence of Network Media Logic in Political Communication: A Theoretical Approach," *New Media & Society*, vol. 17, no. 8 (2015), pp. 1241-1257.

42 M.E. McCombs & D.L. Shaw, "The Agenda-Setting Function of Mass Media," *Public Opinion Quarterly*, vol. 36, no. 2 (1972), pp. 176-187.

43 R.M. Entman, "Framing: Toward Clarification of a Fractured Paradigm," *Journal of Communication*, vol. 43, no. 4 (1993), pp. 51-58.

44 D.C. Hallin & P. Mancini, *Comparing Media Systems: Three Models of Media and Politics* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2004).

45 G. Tuchman, *Making News: A Study of Construction of Reality* (New York: Free Press, 1978).

46 J. Strömbäck, "Four Phases of Mediatization: An Analysis of the Mediatization of Politics," *The International Journal of Press/ Politics*, vol. 13, no. 3 (2008), pp. 228-246.

47 D. Gillmor, *We the Media: Grassroots Journalism by the People, for the People* (Sebastopol, CA: O'Reilly Media, 2004).

ثالثًا: خوارزمية التفضيل السياسي

تؤدي الشبكات الاجتماعية الرقمية دورًا مهمًا في تفسير تشكل الثقافة السياسية لدى جماعة معيّنة؛ ذلك أن خوارزميات هذه الشبكات تساهم في تشكيل المظاهر الأساسية المتعلقة بالسلوك السياسي والاجتماعي وتغييرها، مثل الطريقة التي نفكر فيها وأسلوبنا في التصرف، والطريقة التي نُدير بها علاقاتنا الشخصية وقيمنا، والطريقة التي نتعلّم بها. إن هذه التقنيات الرقمية "يجري اكتشافها من خلال عملية داخلية للبحث والتطوير، ثم تحدد بعد ذلك شروط التغيير الاجتماعي والتقدم"[48]. إنها تمارس "قوة غير شخصية من حيث جوهرها، وتتحكم في هذه القوة إجراءات تقنية عقلانية، بدلًا من النزوات أو حتى المصالح بالمعنى المعتاد للمصطلح، فيبدو أن لا علاقة لها بالخير والشر"[49].

لم يعد الفرد الآن في حاجة إلى إنشاء "صحيفة أنا يومية"[50]، فالآخرون قد يتعهدون بإنشائها من أجله. فعلى سبيل المثال، ينتقي الفيسبوك نفسه الأخبار التي تتلاءم مع تفضيلاته كلها، بما فيها السياسية. وبما أن الخوارزميات تعرف الكثير[51]، فإن الفيسبوك يعرف ما يريده المستخدِم، أو ما يمكن أن "يعجبه" قبل أن يفعل ذلك. يمكن أن تكتشف الخوارزمية ما يُعجب "الأشخاص الذين يشبهونك" وتخبرك بذلك. بل إذا عرفت الخوارزمية نوع الموسيقى التي يُحبّها المستخدِم، فمن المحتمل أن تعرف ميوله السياسية، وستعرض عليه المنشورات التي تستجيب إلى تلك الميول.

من أهم خصائص الشبكات الاجتماعية أن الناس يميلون إلى امتلاك سمات مشابهة لتلك التي يمتلكها أصدقاؤهم. ثمة سببان أساسيان لذلك: أولًا، تؤدي عملية التأثير الاجتماعي[52] إلى تبني الأشخاص السلوك الذي يُظهره أولئك الذين يتفاعلون معهم؛ يشتغل هذا التأثير في العديد من الأماكن التي تنتشر فيها الأفكار الجديدة عن طريق الكلام الشفوي أو المحاكاة من خلال شبكة من الناس[53]. ثانيًا، يميل الناس إلى تكوين علاقات مع الأشخاص الآخرين الذين يشبهونهم بالفعل. ولهذه الظاهرة التي تسمى "الانتقاء"، أو "الهوموفيليا" Homophily، تاريخ طويل من البحث والدراسة في علم الاجتماع[54].

من المنظور السوسيو-نفسي، الشخص الذي ينحرف رأيه عن "الرأي السائد"، يجب أن يتوقع تعرّضه لنوع من المقاومة[55]. وهذا التوقع الذي يعكس "الخوف من العزلة" الذي يستشعره الشخص، صاغته إليزابيت نويل-نيومان في نظرية متكاملة، أطلقت عليها "دوامة الصمت"[56]. وفقًا لهذه المقاربة، يحلل الناس دائمًا بيئة الرأي المتداول من خلال مراقبة وسائط الإعلام وبيئاتها الفورية[57]. وعندما يلاحظ أن رأيه يتوافق مع رأي الغالبية، فإنه يُعبّر عنه تعبيرًا صريحًا، بينما الأشخاص الذين يدركون أن رأيهم يتعارض مع رأي الغالبية، يلتزمون الصمت. يؤدي ذلك إلى اعتبار رأي الغالبية المفترض أقوى مما هو عليه في الواقع؛ ما يشجع مؤيديه على التحدث أكثر مع إسكات الآراء المعارضة. ويمكن أن تؤدي هذه الدوّامة إلى قمع رأي ما. وحدهم المؤيدون "المتشددون" سيكونون على استعداد للدفاع علنًا عن موقفهم في تلك المرحلة.

هذا هو ما يفسر واقع أننا نميل جميعًا إلى قبول طلبات الصداقة التي نتلقّاها من أشخاص يشبهوننا. كما أننا نميل إلى تصفّح الصفحات التي تتلاءم مع اهتماماتنا وتوجّهاتنا السياسية. على هذا الأساس، يستطيع الفيسبوك تصنيفنا ليبراليين ويساريين وإسلاميين وغير ذلك، بفضل خوارزميته التي يسهل عليها تكوين ملف شخصي سياسي لكل واحد منا[58]. فعندما يستخدم الأشخاص الفيسبوك لرؤية ما يريدون رؤيته بالضبط، يمكن أن تتأثر نظرتهم إلى العالم تأثرًا كبيرًا بما أن أصدقاءهم على الفيسبوك يقدمون جزءًا كبيرًا من الأخبار التي يركزون عليها، وإذا كانت لديهم وجهة نظر مميزة،

48 R. Williams, *Television: Technology and Cultural Form*, 3rd ed. (London/ New York: Routledge, 2003), p. 5.

49 A. Feenberg, "Looking Backward, Looking Forward: Reflections on the 20th Century," Presented at the The 20th Century-Dreams and Realities, Hitotsubashi University Conference (December 2000).

50 في عام 1995، تنبأ بذلك عالم التكنولوجيا في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا نيكولاس نيغروبونتي:
N. Negroponte, *Being Digital* (New York: Vintage Books, 1995), p. 153.

51 T.R. Dillahunt, C.A. Brooks& S. Gulati, "Detecting and Visualizing Filter Bubbles in Google and Bing," *Proceedings of the Thirty-Third Annual ACM Conference: Extended Abstracts on Human Factors in Computing Systems (1851-1856)* (New York: Association for Computing Machinery, 2015).

52 N.E. Friedkin, *A Structural Theory of Social Influence* (New York: Cambridge University Press, 1998).

53 E. Rogers, *Diffusion of Innovations* (New York: Free Press 1995).

54 M. McPherson, L. Smith-Lovin & J. Cook, "Birds of A Feather: Homophily in Social Networks," *Annual Review of Sociology*, vol. 27 (2001), pp. 415-444.

55 W.P. Davison, "The Public Opinion Process," *Public Opinion Quarterly*, vol. 22, no. 2 (1958), pp. 91-106.

56 E. Noelle-Newmann, "The Spiral of Silence: A Theory of Public Opinion," *Journal of Communication*, vol. 24, no. 2 (1974), pp. 43-51; Elisabeth Noelle-Neumann, *The Spiral of Silence: Public Opinion, Our Social Skin*, 2nd ed. (Chicago: University of Chicago Press, 1993).

57 Elisabeth Noelle-Neumann, "Return to the Concept of Powerful Mass Media," *Studies of Broadcasting*, no. 9 (1973), pp. 67-112.

58 C.R. Sunstein, *#Republic: Divided Democracy in the Age of Social Media* (New Jersey: Princeton University Press, 2017), p. 1.

فهذه هي وجهة النظر التي سيرونها أكثر. يروي كاس سانشتاين أنه عندما كان يشتغل في إدارة أوباما، كان ما يراه على صفحته على الفيسبوك غالبًا ما يناسب آراء الأشخاص الذين عملوا في إدارة أوباما واهتماماتهم. وكانت صفحات أصدقائه المحافظين تبدو مختلفة جذريًا عن صفحته، وبطرائق تتناسب مع قناعاتهم السياسية[59]. لا تنتج تكنولوجيا التعلم الآلي تصنيفًا للمستخدِمين بحسب التوجّه السياسي العام، بل إنها قادرة على فرز الأفراد على أساس تفاصيل حول القضايا التي يبدون اهتمامًا كبيرًا بها، وكذا على أساس آرائهم حول هذه القضايا، مثل الهجرة والأمن والحوكمة والحرية والمساواة بين الجنسين والبيئة وحرية المعتقد، وغيرها. فإذا كان المستخدِمُ من مناصري البيئوية، فإن الشبكات الاجتماعية الرقمية ستتيح له العثور بسهولة على المنشورات والتغريدات والهاشتاغات التي تلتقي مع اهتماماته، ما يُعزّز قناعاته السابقة.

رابعًا: الفجوة الرقمية

مثلما أن الشبكات الاجتماعية الرقمية ساهمت في توسيع نطاق المشاركة السياسية عندما عبّدت الطريق لمشاركة مجموعة واسعة من القطاعات، بما في ذلك القطاعات المستبعدة تقليديًا من الحوار السياسي، فإنها أنتجت تمييزات على مستويات مختلفة، شكلت تحديات لنظرية الثقافة السياسية التقليدية. هذه التمييزات أطلق عليها الباحثون اسم "الفجوة الرقمية"، لكن هذه الأخيرة ليست ظاهرة جديدة كل الجدّة. ففي ثمانينيات القرن العشرين، كانت الفجوة الرقمية تشير إلى الاختلاف بين أولئك الذين كانوا يتوفرون على هاتف، والذين لم يكونوا قادرين على الوصول إليه. وكان لهذا التمييز تأثيرٌ كبيرٌ في المشاركة في النقاشات السياسية بشأن القضايا التي تشغل بال المواطنين. فبما أن الرأي العام كان يمثل إحدى آليات المساهمة في بناء الثقافة السياسية، كان الهاتف هو التقنية الأساسية لجمع الآراء الفردية حول القضايا التي تكوّن الأجندات الوطنية. لكن فجوةً كانت قائمة بين من يتوفرون على هذا المورد، ومن لا يتوفرون عليه.

بعد أواخر التسعينيات، أصبح المصطلح يُستخدَم بشكل أساسي لوصف التفاوت بين أولئك الذين لديهم إمكانية الوصول إلى شبكة الإنترنت، ومن لا يستطيعون الوصول إليها. يبدو أن الفعالية السياسية للإنترنت تنهار عند عتبة التفاوتات السوسيو-اقتصادية؛ ذلك أن الفجوة الرقمية توجد عادة بين أولئك الموجودين في المناطق الحضرية، وأولئك الموجودين في المناطق الريفية؛ وبين المتعلمين وغير المتعلمين؛ وبين الفئات السوسيو-اقتصادية. مثلما أن المساهمة في بناء الثقافة السياسية أو تغييرها، تتفاوت تفاوتًا عميقًا تبعًا لمتغيرات اجتماعية أخرى، مثل العرق والجندر والعمر.

مثلًا، تكشف الإحصاءات أن الشباب هم الفئة الأكثر حضورًا في الفيسبوك[60]، وهم الأكثر استخدامًا للوسائط الرقمية للمشاركة في المناقشات السياسية. وتعاني المشاركة السياسية عبر الإنترنت التحيزات السوسيو-اقتصادية والديموغرافية نفسها التي تقوم عليها أشكال أخرى من المشاركة. على الرغم من ارتفاع نسبة الوصول إلى الإنترنت، فإن العديد من مستخدِميها لا يملك مهارات استخدامها، فضلًا عن المساهمة في المدوّنات أو منتديات النقاش السياسي عبر الإنترنت. علاوة على ذلك، توصّلت الأبحاث على نحو مشابه إلى أن مستخدمي الإنترنت الذين يشغلون مكانة اجتماعية عالية هم أكثر عرضة لاستخدام الإنترنت من أجل "أنشطة تعزيز رأس المال"، ومن ثم تعميق الفجوة المعرفية[61].

خاتمة

عالجت هذه الدراسة تحوّلات الثقافة السياسية في المجتمع الرقمي وتحدياتها لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية. توفر وسائط التواصل الاجتماعي إمكانات غير مسبوقة للمشاركة السياسية في بيئات افتراضية وواقعية، ومن المحتمل أن تُعدّل النظرة الكلاسيكية لتشكيل الاتجاهات الجماهيرية وتغييرها والهويات السياسية والمشاركة السياسية. ولا تزال الدراسات السياسية والاجتماعية التي تقارب الثقافة السياسية الرقمية التي تؤثر في السلوك السياسي الواقعي، تنتظر نظرية للقياس، ونظرية للأجرأة، وفي النهاية، نظرية للنمذجة. على الرغم من التطورات الكبيرة في هذه المجالات، فإن تطوير منهجيات البحث لم يستجب إلى الحاجة إلى توصيفات إجرائية معقدة للاتجاهات والسلوك السياسي المعبر عنها باللغة الرقمية، كما لم تستطع أن تقدم الدعم الكافي والكامل لتفسير العلاقة الدينامية بين اتجاهات الأفراد وديناميات الدولة والمؤسسات التمثيلية والإعلام الجديد.

يبدو أن هذا التغير العميق في ممارسة السياسة بفعل الانتشار الواسع والمتسارع للشبكات الاجتماعية الرقمية ليس سوى بداية

59 Ibid., p. 2.

60 61.5 في المئة من مستخدمي الفيسبوك هم شباب، تراوح أعمارهم بين 18 و35 عامًا. كما أن 62 في المئة في المستوى الجامعي، و30 في المئة لهم مستوى ثانوي. ينظر:
"Empowering People with Data: Insights and Facts Across 170 Industries and 150+ Countries," *Statista*, accessed on 9/5/2023, at: https://bit.ly/47ThK6g

61 N. Zillien & E. Haggattai, "Digital Distinctions: Status-Specific Types of Internet Usage," *Social Science Quarterly*, no. 90 (2009), pp. 270-291.

لسلسلة طويلة ومعقدة من التغيرات. لذلك فإن العلوم السياسية، والاجتماعية عمومًا، في حاجة ماسة إلى نقاش عميق حول المتطلبات الأنطولوجية والإبستيمولوجية والمنهجية لنظرية الثقافة السياسية التي بدأت تواجه تحديات جدّية بسبب التحوّل الذي مسّ دينامية العواطف السياسية في علاقتها بالحكم ومؤسساته، والناتج من مساهمة وسائط التواصل الاجتماعي في نقل المواطنين من متلقّين سلبيين للأجندات السياسية، إلى فاعلين ناشطين في وضعها.

إن ما قدّمناه في هذه الدراسة خطاطة عامة لتحديات الثقافة السياسية الرقمية لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية. لذا، فإننا في حاجة إلى دراسات أوسع، تتناول كيف تعمل المشاركة الواسعة للمواطنين في النقاشات السياسية على شبكات التواصل الاجتماعي على تغيير منطق اشتغال ديناميات الهوية الوطنية والدولة القومية والديمقراطية، بما في ذلك الانتخابات والقيادة السياسية والحزبية والتنشئة الاجتماعية السياسية. وفضلًا عن أهمية دراسة هذه الموضوعات، تحتاج نظرية الثقافة السياسية في هذا السياق الجديد إلى التفكير في تطوير أنطولوجيا وإبستيمولوجيا خاصتين بها.

المراجع

Almond, G.A. & S.Verba. *The Civic Culture. Political Attitudes and Democracy in Fire Nations*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1963.

Altheide, D.L. & R.P. Snow. *Media logic*. Beverly Hills, CA: Sage, 1979.

Barandiarán, X., A. Unceta & S. Peña. "Political Communication in Times of a New Political Culture." *Icono14*. vol. 18, no. 1 (june 2019).

Benkler, Y. *The Wealth of Networks: How Social Production Transforms Markets and Freedom*. New Haven, CT: Yale University Press, 2006.

Bennett, W.L. & A. Segerberg. *The Logic of Connective Action: Digital Media and the Personalization of Contentious Politics*. New York: Cambridge University Press, 2013.

Bond, R. & S. Messing. "Quantifying Social Media's Political Space: Estimating Ideology from Publicly Revealed Preferences on Facebook." *American Political Science Review*. vol. 109, no. 1 (2015).

Carlisle, J.E. & R.C. Patton. "Is Social Media Changing How we Understand Political Engagement? An analysis of Facebook and the 2008 Presidential Election." *Political Research Quarterly*. vol. 66, no. 4 (2013).

Castells, M. *Networks of Outrage and Hope: Social Movements in the Internet Age*. Cambridge, UK: Polity Press, 2012.

Cohen, A. *The Symbolic Construction of Community*. New York: Ellis Horwood Limited, 1985.

Daesik, K., J.C. Chung & E. Kihong. "Measuring Online Public Opinion for Decision Making: Application of Deep Learning on Political Context." *Sustainability*. vol. 14, no. 7 (2022).

Davison, W.P. "The Public Opinion Process." *Public Opinion Quarterly*. vol. 22, no. 2 (1958).

Britain." *Journal of Information Technology and Politics*. vol. 6, no. 3-4 (2009).

Kaplan, A.M. & M. Haenlein. "Users of the World, Unite! The Challenges and Opportunities of Social Media." *Business Horizons*. vol. 53, no. 1 (2010).

Key, V.O. Jr. *Public Opinion and American Democracy*. New York: Knopf, 1961.

Klinger, U. & J. Svensson. "The Emergence of Network Media Logic in Political Communication: A Theoretical Approach." *New Media & Society*. vol. 17, no. 8 (2015).

Lechner, N. "Por qué la política ya no es lo que fue?." *Leviatán: Revista de hechos e ideas*. no. 63 (May 1996).

Katz, R.S. & W.J. Crotty (eds.). *Handbook of Party Politics*. Thousand Oaks, CA: Sage, 2006.

McCombs, M.E. & D.L. Shaw. "The Agenda-Setting Function of Mass Media." *Public Opinion Quarterly*. vol. 36, no. 2 (1972).

McPherson, M., L. Smith-Lovin & J. Cook. "Birds of a Feather: Homophily in Social Networks." *Annual Review of Sociology*. vol. 27 (2001).

Hill, C.A., E. Dean & J. Murphy (eds.). *Social Media, Sociality and Survey Research*. Hoboken, New Jersey: Wiley, 2013.

Negroponte, N. *Being Digital*. New York: Vintage Books, 1995.

Noelle-Neumann, Elisabeth. "Return to the Concept of Powerful Mass Media." *Studies of Broadcasting*. no. 9 (1973).

_____. "The Spiral of Silence: A Theory of Public Opinion." *Journal of Communication*. vol. 24, no. 2 (1974).

_____. *The Spiral of Silence: Public Opinion, Our Social Skin*. 2nd ed. Chicago: University of Chicago Press, 1993.

Dillahunt, T.R., C.A. Brooks & S. Gulati. "Detecting and Visualizing Filter Bubbles in Google and Bing." *Proceedings of the Thirty-Third Annual ACM Conference: Extended Abstracts on Human Factors in Computing Systems (1851-1856)*. New York: Association for Computing Machinery, 2015.

Elkins, D.J. &R.E.B. Simeon. "A Cause in Search of its Effects, or What Does Political Culture Explain?" *Comparative Politics*. vol. 11, no. 2 (1979).

Claeys, G. (ed.). *Encyclopedia of Modern Political Thought*. Thousand Oaks, CA: Sage, 2013.

Entman, R.M. "Framing: Toward Clarification of a Fractured Paradigm." *Journal of Communication*. vol. 43, no. 4 (1993).

Feenberg, A. "Looking Backward, Looking Forward: Reflections on the 20th Century." Presented at the The 20th Century-Dreams and Realities. Hitotsubashi University Conference, December 2000.

Friedkin, N.E. *A Structural Theory of Social Influence*. New York: Cambridge University Press, 1998.

Gillmor, D. *We the Media: Grassroots Journalism by the People, for the People*. Sebastopol, CA: O'Reilly Media, 2004.

Habermas, Jurgen. "Political Communication in Media Society: Does Democracy Still Enjoy An Epistemic Dimension? The Impact of Normative Theory on Empirical Research." *Communication Theory*. no. 16 (2006),

Hallin, D.C. & P. Mancini. *Comparing Media Systems: Three Models of Media and Politics*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2004.

Hauben, Michael. "What the Net Means to Me." *CAN*. vol. 6, no. 1 (Spring 1994).

Jackson, N.A. & D.G. Lilleker. "Building an Architecture of Participation? Political Parties and Web 2.0 in

Norris, P. *Digital Divide: Civic Engagement, Information Poverty, and the Internet Worldwide*. New York: Cambridge University Press, 2001.

Box-Steffensmeier, M.J. & S.E. Schier (eds.). *The American Elections of 2008*. Lanham: Rowman and Littlefield Publishers, 2009.

Polonski, V. "Impact of Social Media on the Outcome of the EU Referendum." *EU Referendum Analysis*, 2016. at: https://bit.ly/3SDbwTt

Reiffel, R. *Révolution numérique, révolution* culturelle. Paris: Gallimard, 2014.

Rogers, E. *Diffusion of Innovations*. New York: Free Press 1995.

Seligson, M.A. "The Renaissance of Political Culture or the Renaissance of the Ecological Fallacy?" *Comparative Politics*. vol. 34, no. 3 (2002).

Strömbäck, J. "Four Phases of Mediatization: An Analysis of the Mediatization of Politics." *The International Journal of Press/ Politics*. vol. 13, no. 3 (2008).

Sunstein, C.R. *#Republic: Divided Democracy in the Age of Social Media*. New Jersey: Princeton University Press, 2017.

Tuchman, G. *Making News: A Study of Construction of Reality*. New York: Free Press, 1978.

Tufekci, Z. "Big Questions for Social Media Big Data: Representativeness, Validity and other Methodological Pitfalls." *ICWSM*. no. 14 (2014).

Pye, L. & S. Verba (eds.). *Political Culture and Political Development*. Princeton: Princeton, 1965.

Vergeer, M., L. Hermans & S. Sams. "Online Social Networks and Micro-Blogging in Political Campaigning: The Exploration of a New Campaign Tool and a New Campaign Style." *Party Politics*. vol. 19, no. 3 (2011).

Voinea, C.F. & M. Neumann. "Political Culture: A Theory in Search for Methodology: An Editorial." *Quality & Quantity*. vol. 54 (2020).

Williams, R. *Television: Technology and Cultural Form*. 3rd ed. London/ New York: Routledge, 2003.

Zillien, N. & E. Haggattai. "Digital distinctions: Status-Specific Types of Internet Usage." *Social Science Quarterly*. no. 90 (2009).

صدر حديثًا

تـأليف: ألبير داغر

تجربة لبنان التنموية

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **تجربة لبنان التنموية**، وهو من تأليف الباحث ألبير داغر. يقع الكتاب في 132 صفحة، شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًا.

التسلم Received 2023-2-1
التعديل Revised 2023-4-10
القبول Accepted 2023-6-15
المعرّف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430/MSUE5739

مروة فكري | Marwa Fekry*
عمرو عثمان | Amr Osman**

شبكة الإنترنت والثقافة السياسية ومفارقة الذاكرة الجمعيّة: حالة ثورة 25 يناير 2011 المصرية

The Internet, Political Culture, and the Paradox of Collective Memory: The Case of the Egyptian January 25, 2011 Revolution

تقدّم هذه الدراسة مدخلًا لدراسة أثر شبكة الإنترنت في الثقافة السياسية من خلال مفهوم الذاكرة الجمعية. فبالانتقال من المقاربات التقليدية عن الثقافة السياسية التي تحصرها في المعرفة والتوجهات والسلوك، إلى المقاربات التأويلية والتفسيرية التي تعرّفها من خلال عملية "بناء المعاني"، تظهر الذاكرة الجمعية بوصفها مكونًا أساسيًا من مكونات الثقافة السياسية بما تحمله من معان ورموز وسرديات عن الحياة السياسية. تستنتج الدراسة، من دراسة حالة ثورة 25 يناير 2011 المصرية، أن تطوّر شبكة الإنترنت قد يحدّ من دور الدولة والنخبة في تشكيل الثقافة السياسية والذاكرة الجمعية، لكنه قد يزيد أيضًا من حدّة الاستقطاب السياسي والاجتماعي وإضعاف ثقافة التسامح مع الآخر وفرص تحقيق المصالحة المجتمعية، وهو ما نطلق عليه "مفارقة الذاكرة الجمعية".

كلمات مفتاحية: الثقافة السياسية، الذاكرة الجمعية، شبكة الإنترنت، وسائل التواصل الاجتماعي، ثقافة المصالحة، التحوّل الديمقراطي، ثورة 25 يناير المصرية.

This paper proposes an approach to studying the impact of the Internet on political culture through the concept of collective memory. Departing from the traditional approaches that confine political culture to knowledge, orientations, and behavior, to constructive and interpretive frameworks that define it through the process of "meaning-making," collective memory emerges as an essential component of political culture with its meanings, symbols, and narratives about political life. The paper concludes – from examining the case of the Egyptian Revolution of January 25, 2011 – that the development of the Internet may limit the role of the state and the elite in shaping political culture and collective memory, but it may also increase the severity of political and social polarization and weaken the culture of tolerance towards the other, and the chances of achieving social reconciliation, which is what we call the "paradox of collective memory."

Keywords: Political Culture, Collective Memory, The Internet, Social Media Networks, The Culture of Reconciliation, Democratic Transition, The Egyptian Revolution of January 25.

* أستاذة مساعدة في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة (المؤلف المسؤول).
Assistant Professor of Political Science, Faculty of Economics and Political Science, Cairo University (Corresponding Author).
Email: marwa.fekri@feps.edu.eg

** أستاذ التاريخ، قسم العلوم الإنسانية في كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر.
Professor of History, Department of Humanities, College of Arts and Sciences, Qatar University.
Email: aosman@qu.edu.qa

مقدمة

اهتمّ علماء السياسة منذ ستينيات القرن العشرين بالثقافة السياسية بوصفها أحد العوامل التي إمّا أن تدفع إلى الديمقراطية وتساعد على ترسّخها، وإما أن تعوق تطوّرها وتهدّد فرص بقائها. وقد حصرت الاتجاهات التقليدية مفهوم الثقافة السياسية في مجموعة التوجّهات والسلوك والمعارف السياسية لدى الأفراد تجاه العملية السياسية، في حين شدّد تطوّر الاتجاهات التأويلية Interpretive والبنائية Constructivist على ضرورة أن يتناول تحليل الثقافة السياسية عملية بناء المعاني والاهتمام بالرموز المتضمّنة في المواقف السياسية والاجتماعية. وقد أثار تطوّر شبكة الإنترنت، منذ انتشارها في تسعينيات القرن العشرين، قدرًا كبيرًا من الجدل بشأن انعكاساتها السياسية المختلفة، لا سيّما ما يتعلق بوفرة المعلومات وتنمية الوعي والمشاركة السياسية والهوية والتملص من سيطرة الحكومات على تشكيل الرأي العام من خلال التحكّم في وسائل الإعلام واحتكار كتابة التاريخ.

وإذا كانت سمات شبكة الإنترنت هذه تؤثّر في الثقافة السياسية تأثيرًا مباشرًا بمفاهيمها المتعلقة بالمشاركة والمعرفة والتوجّهات، فإن لها أيضًا أثرًا غير مباشر في مصادر تشكّلها، ومن أهمها الذاكرة الجمعية. فقد أحدثت شبكة الإنترنت تحوّلًا خطيرًا، من نموذج كان الأصلُ فيه هو اختفاء الأحداث من الذاكرة، والاستثناءُ هو الحفاظ عليها من خلال التدوين التاريخي والأرشفة مثلًا، إلى نموذج جديد يُعدّ فيه بقاء الأحداث في الذاكرة هو الأصل، واختفاؤها أو إخفاؤها هو الاستثناء الذي يتطلب فعلًا معيّنًا، مثل قطع الاتصال بشبكة الإنترنت أو حجب بعض مواقعها. وبناءً عليه، تبحث هذه الدراسة في أثر شبكة الإنترنت في ذاكرة المجتمعات الجمعية وما يستتبعه ذلك من أثر في ثقافتها السياسية؟ ويتفرّع عن هذا السؤال عدة أسئلة، أبرزها: كيف تتشكّل العلاقة بين الذاكرة الجمعية والثقافة السياسية؟ وكيف تؤثّر شبكة الإنترنت في ثقافة المصالحة تحديدًا بوصفها جزءًا من الثقافة السياسية؟

تنطلق الدراسة من فكرة أن ارتباط الثقافة السياسية لمجتمع معيّن بذاكرته الجمعية، يُضفي شرعية نظرية مبدئية على المقولة إن أيّ تحوّل في طبيعة الذاكرة يؤدي بالضرورة إلى تحوّل في قدرة أحداث الماضي على الاستمرار في تشكيل الثقافة السياسية القائمة في مرحلة معيّنة. وتستلزم صحّة هذا الافتراض نتيجةً مفادها أن الثقافة السياسية لن تقتصر بعد اليوم على الارتباط بالذاكرة القصيرة لكل جيل من أجيال مجتمع معيّن، بل سترتبط بذاكرة أكثر امتدادًا في التاريخ تسمح شبكة الإنترنت ببقائها حية وقابلة للاسترجاع، على نحو غير مسبوق. وتزيد أهمية ذلك في حالات الانتقال الديمقراطي والكيفية التي تتعامل بها المجتمعات مع ميراث القمع الذي تمارسه الأنظمة السلطوية، فضلًا عن تعامل الفاعلين الاجتماعيين بعضهم مع بعض تحت تأثير الأحداث المفصلية في الحياة السياسية، بما لذلك من تبعاتٍ على فرص الانتقال إلى الديمقراطية وترسيخ مؤسساتها[1]. وقد زاد الاهتمام بمثل هذه القضايا في العالم العربي بعد ثورات الربيع العربي في بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، التي زعزعت كثيرًا من "الثوابت"، كالربط بين ثقافة الاستبداد والطائفية الإثنية، أو الأيديولوجيا وغياب الديمقراطية. وقد تجاهلت هذه الافتراضات الديناميات الجديدة المتعلّقة بالتغيّرات في العلاقة بين النُخب والمواطنين والدولة، وتداعيات كل ذلك على الهوية الوطنية والذاكرة الجمعية، وجميعها يقع في القلب من الثقافة السياسية.

تبدأ الدراسة في مبحثها الأول بعرض إطارها النظري، ثم تناقش أثر شبكة الإنترنت في الثقافة السياسية، وتوضح التحوّل الذي أحدثه الإنترنـت؛ أي الحدّ من دور الدولة والنخبة في تشكيل الثقافة السياسية والذاكرة الجمعية من ناحية، ومن ناحية أخرى التأثير في ثقافة المجتمعات السياسية، لا سيّما ما يخصّ دعم روح التسامح والمصالحة أو تقويضها، وهو الأمر الذي أدّى إلى ما نَصفه بـ "مفارقة الذاكرة الجمعية" Paradox of Collective Memory. وتقدّم، في المبحث الثاني، دراسة حالة عن ثورة 25 يناير 2011 المصرية، بالتركيز على الكيفية التي يتذكّر بها الأفراد الحدث والقيم والرموز والمعاني التي ينطوي عليها ذلك التذكّر، ومدى الاتفاق أو الاختلاف على رواية (أو روايات) السلطة للحدث، ودلالة كل ذلك في ما يخص ثقافة المجتمع السياسية عمومًا، وفرص نمو ثقافة المصالحة فيه خصوصًا.

أولًا: شبكة الإنترنت والذاكرة الجمعية والثقافة السياسية: إطار نظري

أولى باحثو الديمقراطية قدرًا كبيرًا من الاهتمام بالشروط الضرورية لبناء نظام ديمقراطي ناجح، وهي القضية المحورية في الدراسات التي تتناول الثقافة السياسية وتثير عدة أسئلة، من أبرزها: كيف يمكن تأمين "التحوّل بعيدًا عن الاستبداد" مؤسسيًا؟ وكيف يمكن أن تترسّخ المؤسسات الجديدة ثقافيًا؟ يتطلب تناول مثل هذه الأسئلة النظر في أسلوب تعامل المجتمعات مع الميراث القمعي للأنظمة الاستبدادية البائدة[2]؛ أي الكيفية التي يتمثّل بها الماضي السلطوي في ذاكرة

1 Andreas Langenohl, "Memory in Post-Authoritarian Societies," in: Herausgegeben von Astrid Erll & Ansgar Nünning (eds.), *Media and Cultural Memory* (Berlin: Walter de Gruyter GmbH & Co., 2008), p. 163.

2 Ibid.

المجتمع الجمعية بما يعزّز روح التسامح مع الآخر وثقافة المصالحة المطلوبة لتحقيق قدرٍ أدنى من السلم المجتمعي[3]. ويُعدّ مدى التوافق على الماضي مؤشرًا على حالة الثقافة السياسية في بلدٍ ما، إذ ينعكس على استمرارية القيم السياسية السائدة، فضلًا عن المظاهر الخارجية المرتبطة بجانب الثقافة التعبيري[4].

ولما كان توفير حسّ من هوية الجماعة من الوظائف الأساسية للثقافة السياسية، فإن الذاكرة الجمعية تؤثّر تأثيرًا واضحًا في هذا البعد من خلال تعريف الجماعة وبناء سرديات تتناول أصلها وماضيها والمشترك بينها. وتؤثّر عملية التذكّر أيضًا في القيم التي تُعدّ من مكونات الثقافة السياسية، ومن ثمّ قد تخلق موضوعات مُحرّمة (تابوهات)، أو تستبعد طرائق عمل معيّنة، أو تعزّز من قيم واتجاهات بعينها. فتذكُّر أمور معينة يفترض عادة نسيان أخرى أو تهميشها، وهذا كله عملية تمارس فيها السلطة السياسية دورًا كبيرًا. ولا تنفصل عملية التذكّر في المجتمعات عن وسائل "مأسسة الذكرى"، التي تشمل الاحتفالات والممارسات التي تنظّم عملية التذكّر وتحافظ عليها[5]. بهذا المعنى، تُضفي التصوّرات عن الماضي الشرعية على النظام الاجتماعي والسياسي القائم أو تنزعها عنه. ومن هنا، تنبع القوة من درجة السيطرة والانتشار التي تحقّقها ذكرى معيّنة في الثقافة السياسية، وهو ما يمكن قياسه من خلال نسبة أفراد المجتمع وجماعاته الذين يقبلون الذكريات المتنافسة، ودرجة مأسسة ذكرى ما أو درجة تخليدها[6]. وقد شهد ميزان القوة في ما يتعلّق بالتذكّر - بين السلطة والنخبة من ناحية، والعامة من ناحية أخرى - تحوّلات كبيرة وجذرية تحت تأثير الإنترنت، وهو الأمر الذي ينعكس بالضرورة في الثقافة السياسية.

تعتمد الدراسة على إطار دراسات الذاكرة[7] باعتبار أن الذاكرة ليست ظاهرة فردية، بل علائقية Relational ومجتمعية وجماعاتية. فالفرد يستمع إلى ذكريات الآخرين داخل الجماعة التي تدعم فكرته عن ذاته وهويته، وتشجّع هذه الذكريات – أو تقوّض – دور الحاضر داخل هوية جماعة معيّنة وتحدّد فرص التطلّع إلى مستقبل مشترك[8]. وقد مال الباحثون المهتمون بدراسة الذاكرة في الآونة الأخيرة إلى التأكيد على أهمية وسائل الإعلام في تشكيل الذاكرة الجمعية، لا سيّما في ضوء تطوّر التقنيات الرقمية وما وفّرته من كمّ هائل من البيانات التي يمكن توظيفها في دراسة جوانب مختلفة من السلوك الاجتماعي والسياسي. فشبكة الإنترنت، كما يصفها البعض، لا تنسى، وقد حوّلت الذاكرة الجمعية إلى ظاهرة يمكن ملاحظتها وتتبّعها[9]، كما فتحت مجالًا بديلًا لتبادل الذكريات الاجتماعية والسياسية التي تتعرض للقمع أو التهميش، والتي تعبّر عن سرديات مضادة أو بديلة من الروايات الرسمية للماضي، ومن ثم تُعيد تشكيل الذاكرة الجمعية.

بهذا المنطق، تصبح دراسة الذاكرة الجمعية جزءًا أساسيًا من البحث في حقل الثقافة السياسية، كونها تهتمّ بالتشكّل الثقافي للهويات والأنشطة السياسية والاتجاهات. فالذاكرة الجمعية هي الماضي النشط والحيّ الذي يشكّل الهويات والاتجاهات والمواقف تجاه العديد من القضايا من خلال وضع أحداث معيّنة في الصدارة وضمان استمرارها في ذاكرة الأفراد، في الوقت الذي تهمّش فيه أحداثًا أخرى أو تغيّبها تمامًا؛ مما يؤثّر في ثقافة الحاضر السياسية[10]. ويمكّن ذلك الباحث من ملاحظة التغيّر والاستمرارية في الثقافة السياسية ودراسة التأثيرات الاجتماعية والسياسية فيها[11].

تشكّل السردية Narrative مدخلًا مهمًا لدراسة شبكة العلاقات التي تربط شبكة الإنترنت بالذاكرة والثقافة السياسية. وتقدّم مقاربة السردية وصفًا للأحداث وتكشف عن الاختلافات بين السرديات المتباينة التي تشكّل الذاكرة الجمعية، ومن ثمّ تؤثّر في الثقافة السياسية. تمثّل السرديات البديلة في ذاتها نوعًا من مقاومة الأنظمة، فضلًا عن أنها تمثّل أيضًا وسيلة للمشاركة والتعبير عن الذات والهوية. وتعبّر أيّ سردية في النهاية عن علاقات قوة معيّنة، على اعتبار أن هناك دائمًا أكثر من طريقة لرواية السردية، ويكون لدى الرواة القدرة على تضمين عناصر معيّنة واستبعاد أخرى بما يخدم الطابع القيمي المرغوب فيه لديهم[12].

---

3 Ibid., p. 170.

4 Ibid., p. 174.

5 James Young, *Texture of Memory: Holocaust Memorials and Meaning* (New Haven: Yale University Press, 1993), p. ix.

6 Eric Langenbacher, "Collective Memory as a Factor in Political Culture and International Relations," in: Eric Langenbacher & Yossi Shain (eds.), *Power and the Past: Collective Memory and International Relation* (Washington, DC: George Town University Press, 2010), p. 33.

7 زهير سوكاح، "مقدمة المحرر الضيف للعدد: عدد خاص، من 'الذاكرة' إلى 'دراسات الذاكرة'"، **تبين**، مج 9، العدد 33 (2020)، ص 7-9.

8 Giovanni Dazzo, "Exploring the Role of Collective Memory for Reconciliation: A Comparative Case of Guatemala and Cambodia," *Beyond Intractability* (May 2020), accessed on 20/1/2023, at: https://bit.ly/3SyG5d1

9 Ruth García-Gavilanes et al., "The Memory Remains: Understanding Collective Memory in the Digital Age," *Science Advances*, vol. 3, no. 4 (2017), p. 1.

10 Langenbacher, pp. 26-27.

11 عزمي بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 418.

12 Jil A. Edy, *Troubled Pasts: News and the Collective Memory of Social Unrest* (Philadelphia: Temple University Press, 2006), p. 10.

تطبّق الدراسة هذا المدخل النظري على حالة ثورة 25 يناير 2001 في مصر، وذلك بهدف استكشاف الكيفية التي ساهمت بها شبكة الإنترنت في التفاوض بشأن ذاكرة الحدث الجمعية من خلال إفساح المجال أمام روايات مختلفة عنه، وما يعنيه ذلك بالنسبة إلى ثقافة المجتمع المصري السياسية من جهة، وتأثيرات عملية التذكّر في آفاق عملية التحول الديمقراطي المستقبلية بوجه عام. وتسعى الدراسة، وإن كانت تركّز على الحالة المصرية، إلى تلمّس ملامح عامة لأثر شبكة الإنترنت في الذاكرة والثقافة قد تنطبق على مجتمعات أخرى في المنطقة.

1. الثقافة السياسية: من الثقافة المدنية إلى أثر شبكة الإنترنت

نال مفهوم الثقافة السياسية اهتمامًا كبيرًا في أواخر خمسينيات القرن العشرين وأوائل ستينياته، تزامنًا مع المخاوف من انتشار الشيوعية وتزايد حركات الاستقلال في دول العالم الثالث. وقد دفعت هذه المخاوف العلوم الاجتماعية – ومنها علم السياسة – إلى التحوّل بعيدًا عن دراسة المؤسسات الرسمية، والتركيز على المواقف السياسية وممارسات التصويت لفهم سلوك الأفراد وتوجّهاتهم السياسية في المجتمعات المختلفة، في محاولة لتحديد شروط الديمقراطية والسياقات الداعمة لها[13].

أ. في فهم الثقافة السياسية: من النظرة التقليدية إلى المقاربات التفسيرية

يعود صكّ مفهوم الثقافة السياسية إلى غابرييل ألموند وسيدني فيربا في كتابهما الشهير **الثقافة المدنية**، الصادر في ستينيات القرن العشرين. وقد عرّفا الثقافة السياسية بأنها "التوجهات السياسية إزاء النظام السياسي بعناصره المختلفة وإزاء دور الذات في النظام"[14]. وافترضا أن هناك مجموعة مميّزة من التوجهات الفردية، سمّياها "الثقافة المدنية" ضرورية لنشأة الديمقراطية والحفاظ عليها. ومن هنا جاء تطوّر أساليب المسوح والاستبيانات لاكتشاف الأنماط الاجتماعية الموجودة في أذهان الأفراد كونها تنتج المؤسسات السياسية.

وقد جاءت الأعمال التأسيسية لمفهوم الثقافة السياسية بمكوّنات ثلاثة أساسية: 1. المعرفة السياسية، وتشير إلى المعارف والمعلومات والآراء السياسية لدى أفراد شعب أو جماعة ما بخصوص القضايا والمؤسسات والقيادات السياسية، 2. الاتجاهات السياسية، التي تنتظم من خلالها خبرة الشخص وتؤثّر في قبوله أو رفضه الموضوعات والمواقف التي تتطلب استجابة منه، 3. القيم والعادات والتقاليد السائدة، وهي ما يعتقده الأفراد في علاقتهم بالنظام السياسي[15]. وبحسب هذا الفهم، يحدّد نمط الثقافة السياسية السائد طبيعة النظام السياسي القائم، حيث تزداد فرص دعم الديمقراطية، مع وجود ثقافة سياسية تعزّز الشعور بالانتماء والمواطنة وتشجّع على المشاركة[16].

وقد انتُقد هذا الإسهام لتفسيره الثقافة السياسية من خلال منظور غير سياسي أو ثقافي[17]. فمع كون الفكرة مرتبطة بالشؤون العامة، استند مفهوم الثقافة السياسية، على هذا النحو، إلى الانقسام بين العامّ (مجالات الدولة) والخاصّ (حياة الأفراد الاجتماعية). فعلى الجانب الثقافي، يشير المفهوم التأسيسي إلى ما هو "مكتسب" Naturalized، لا إلى ما يمكن التعرّف إليه ثقافيًا. ويرجع السبب في ذلك إلى تأثر شبكة المفاهيم المرتبطة بمفهوم الثقافة السياسية بنظرية المواطنة الأنكلو-أميركية، ما انعكس على تبنّيها هذه النظرة المعيارية التي تشدّد على الاتجاهات الثقافية التي تُنتج الديمقراطية وتدعمها أو تعرقلها، عوضًا عن الاهتمام بالتفاعل والتأثير المتبادل بين الأفراد والجماعات والأنظمة[18]. وفي حين اشتدّ نقد بعض الباحثين للمفهوم[19]، استمرّ آخرون في توظيفه والدفاع عنه. فقد نشرت **الدورية الأميركية للعلوم السياسية** مقالتَين مهمتَين تقدّمان حججًا قوية للدفاع عن منطق السببية في الثقافة السياسية، إحداهما لهاري

13 Margaret R. Somers, "What's Political or Cultural about Political Culture and the Public Sphere? Toward an Historical Sociology of Concept Formation," *Sociological Theory*, vol. 13, no. 2 (1995), p. 116.

14 Gabriel Almond & Sidney Verba, *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations* (Princeton: Princeton University Press, 1963), p. 13.

15 محمد سعيد عبد المجيد وممدوح عبد الواحد محمد الحيطي، "الشبكات الاجتماعية الإلكترونية والثقافة السياسية للشباب الجامعي: دراسة ميدانية"، **حوليات آداب عين شمس**، مج 43 (2015)، ص 249.

16 Almond & Verba, pp. vii & viii.

17 يتأثر جزء من هذا النقد بأفكار تالكوت بارسونز Talcott Parsons التي رسمت علاقة أحادية الاتجاه بين المجتمع والسياسة. وقد ميّز بارسونز بين أنظمة ثلاثة أساسية، هي: الاجتماعية والثقافية والنفسية، وأكّد أن جميع التفاعلات الاجتماعية تتضمّن أبعادًا لكلٍ من الأنظمة الثلاثة المذكورة: جذور النظام الاجتماعي، والرموز ذات المغزى في النظام الثقافي، والتأثير السببي الناتج من الدوافع النفسية. وانطلاقًا من هذا الاتجاه، قدّم علماء الاجتماع السياسي وعلماء السياسة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مفهوم الثقافة السياسية بوصفه متغيّرًا حاسمًا في شرح النتائج السياسية المتباينة في الديمقراطيات. وعرّف هؤلاء العلماء الثقافة السياسية بأنها "المشاعر الذاتية والمواقف والسلوكيات المترتبة عليها" التي يُعتقد أنها تميّز "التوجّهات السياسية" الفردية والجماعية - أي القيم - عبر النظام السياسي. ينظر:
Walter Rosenbaum, *Political Culture* (New York: Prager, 1975), p. 4.

18 Somers, pp. 114-115.

19 يناقش رولاند فورميسانو مجموعة من الآراء الناقدة لبرنامج الثقافة السياسية على اعتبار أنه غير واضح وغير قادر على التوصّل إلى استنتاجات ثابتة. للمزيد، ينظر:
Roland Formisano, "The Concept of Political Culture," *The Journal of Interdisciplinary History*, vol. 31, no. 3 (2001), p. 404.

إيكشتاين[20]، والأخرى لرونالد إنغلهارت[21] اللذين جادلا بأن المجتمعات المختلفة تجسّد مواقف ثقافية دائمة (ثقافات سياسية) ذات تبعات اقتصادية وسياسية كبيرة.

ويدحض عزمي بشارة فكرة التأثير المباشر لثقافة شعب بأكمله في مساندة الديمقراطية على اعتبار أن هذه العلاقة تفسيرية محضة لا تثبت وجود علاقة سببية بينهما. ويؤكد بشارة في المقابل أن "الأعراف المتموضعة في المؤسسات لا تعني أن الأعراف سبقت المؤسسات تاريخيًا، بل هي نتاج لها"[22]. وهو ينفي فكرة تبنّي شعب بأكمله ثقافة سياسية واحدة متجانسة، مؤكّدًا أن القيم والعادات الاجتماعية تنظّم علاقات الأفراد داخل الجماعة وخارجها، أمّا ما يتصل بعلاقة الفرد بالدولة، فتشكّلها الدولة غالبًا[23]. هنا، يضيف بشارة نقدًا آخر للفهم التقليدي للثقافة السياسية، وذلك باعتبار أن النظام السياسي ليس نتاجًا من نتاجات الثقافة السياسية السائدة، بل العكس؛ أي إن الثقافة السياسية هي انعكاس لطبيعة النظام السياسي القائم. فلا يمكن، على سبيل المثال، توقّع ظهور ثقافة ديمقراطية وازدهارها في ظلّ نظام استبدادي قمعي.

ومع اتخاذ العلوم السياسية منعطفًا أنثروبولوجيًا مع نهاية ثمانينيات القرن العشرين، ظهرت دعوات متفرقة لتطوير مقاربة ثقافية أكثر مرونة وأقل اعتمادًا على الأساليب الكمّية أو النظرية النفسية للثقافة السياسية المتعلقة بالتوجّهات، وأكثر اهتمامًا بالتحليل الرمزي. فعلى سبيل المثال، أكدّ وليام آدامز أن المعنى السياسي يتولد في الأساس من الرموز الثقافية والمعاني الجمعيّة المنقوشة في النصوص الرمزية[24]. ومن ثمّ، أخذت في التشكّل رؤيةٌ بديلة لعلاقة الثقافة السياسية بالديمقراطية تفترض أن فهم الثقافة السياسية ينبغي، أولًا، أن ينظر إلى ممارسات الفاعلين التاريخيين وأنشطتهم وأفكارهم السياسية بوصفها أنظمة رمزية لها تاريخها ومنطقها، وأن ينظر، ثانيًا، إلى هذه الأنظمة الرمزية نفسها بوصفها نوعًا من التعبيرات الثقافية. ومن هنا، توجّه جزء كبير من الأبحاث إلى الاهتمام بموضوعاتٍ كالطقوس والاحتفالات الشعبية والتذكّر الجمعي وكيفية ممارسة التمثّلات الثقافية في أوقات الثورات وبعدها[25]. ومن هذا المنطلق، أضحت الثقافة السياسية تشير في الأساس إلى "معنى الحياة السياسية"[26]، التي لا يمكن فهمها فهمًا كاملًا من خارج سياقها الثقافي العام.

يخالف هذا الفهم الادّعاء أن الثقافة السياسية تنتج مسبقًا من النظام الاجتماعي أو مراحل تطوّره الاجتماعي - الاقتصادي، فهي تتطوّر وتتغيّر بناء على القواعد والعمليات الداخلية الخاصة بها، فضلًا عن التفاعل التاريخي مع مجالات الحياة الاجتماعية الأخرى[27]. ولهذا السبب، رفض بعض الباحثين فكرة النظر إلى الأفراد من أجل فهم سلوك المجموعة[28].

تمثّلت الميزة الرئيسة لمفهوم الثقافة السياسية، إذًا، في لفته الانتباه إلى ضرورة النظر إلى السلوك السياسي في سياق ثقافي. فالثقافة السياسية لمجتمع ما تتّسم بقدر من الاستقرار الذي يتيح لها التأثير في السلوك والعمليات السياسية بطريقة نمطية فترةً زمنية ممتدة نسبيًا. إلا أنها – مثلها مثل الثقافة بوجه عام – تتغيّر أيضًا تغيّرًا مستمرًا، وإن كان بطيئًا وتدريجيًا[29]. وقد يحدث هذا التغيّر تحت تأثيرات مختلفة، كالأحداث التي يتعرض لها المجتمع، أو التي تتعلق بدور الإعلام والتواصل. وفي هذا السياق، يبرز دور شبكة الإنترنت.

ب. شبكة الإنترنت والثقافة السياسية

أثار تطوّر شبكة الإنترنت الكثير من الجدل حول تأثيراتها المحتملة في الثقافة السياسية. فمن الباحثين من جادل بأن شبكة الإنترنت تزيل القيود المفروضة على الوصول إلى المعلومات؛ ما يؤدي إلى زيادة التفاهم والتعاطف والتسامح والثقة بين الأفراد، كونهم يتعرضون لقدر أكبر من التعددية في وجهات النظر السياسية، الأمر الذي من شأنه تدعيم الممارسات الديمقراطية بين الأفراد[30].

ازدادت هذه النظرة التفاؤلية مع تطوّر وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت تمارس تأثيرًا كبيرًا في الطريقة التي تُتداول بها الأخبار

20 Harry Eckstein, "A Culturalist Theory of Political Change," *The American Political Science Review*, vol. 82, no. 3 (1988), pp. 789-804.

21 Ronald Inglehart, "The Renaissance of Political Culture," *The American Political Science Review*, vol. 82, no. 4 (1988), pp. 1203-1230.

22 بشارة، ص407.

23 المرجع نفسه. يؤكد بشارة على ضرورة توافر حد أدنى من الثقافة السياسية الديمقراطية لدى النخب السياسية – لا سيّما في مرحلة الانتقال – يشمل القابلية للحوار والمساومة وتسوية الصراعات سلميًا؛ وعدّ الإجراءات والمؤسسات الديمقراطية الإطارَ الأفضل لتسوية الصراعات، ينظر: المرجع نفسه، ص 418-436.

24 William Adams, "Politics and the Archeology of Meaning: A Review Essay," *Western Political Quarterly*, vol. 39, no. 3 (1986), pp. 549, 562.

25 Somers, p. 127.

26 Formisano, p. 408.

27 Somers, pp. 131-132.

28 David D. Laitin & Aaron Wildavsky, "Political Culture and Political Preferences," *The American Political Science Review*, vol. 82, no. 2 (1988), pp. 589-597.

29 عبد المجيد والحيطي، ص 249.

30 Narisong Huhe, Min Tang & Jie Chen, "Creating Democratic Citizens: Political Effects of the Internet in China," *Political Research Quarterly*, vol. 71, no. 4 (2018), pp. 757-771.

والمعلومات، وتؤثّر في فكرة المشاركة والطريقة التي يعبّر بها الأفراد عن آرائهم وأسلوب فهمهم للسياسة[31]. ومن ثمّ، تتغيّر الثقافة السياسية وتتشكّل من خلال التحوّل في طريقة التواصل والوصول إلى المعلومات والتفاعل معها. ويترتّب على ذلك أيضًا تغيّر في طبيعة العلاقات بين السياسيين والمواطنين والصحافيين وأسلوب تواصلهم بعضهم مع بعض[32]. فعلى العكس من مستخدمي الوسائط التقليدية، لا يُعدّ مستخدمو الإنترنت مجرد متلقّين للمعلومات، بل هم أيضًا ناقلون ومناقشون لها[33]، ومنتجون أيضًا للمحتوى. وتمثّل هذه التجربة التفاعلية الثنائية الاتجاه طريقةً ملائمة وفعّالة للمشاركة المدنية والسياسية وتعزيز الترابط الاجتماعي بين المستخدمين، فضلًا عن تكثيف التفاعل بين الأفراد المنعزلين اجتماعيًا أو المحصورين ضمن شبكات اتصال ضيّقة، وهذه العوامل كلها تؤدي إلى زيادة المشاركة المدنية[34].

بيد أن هذه النظرة التفاؤلية لدور شبكة الإنترنت تضاءلت مقابل تزايد المخاوف من أن بعض أبعاد استخدامها – خاصّة ما يتصل بشبكات التواصل الاجتماعي – قد تنطوي على تهديدات للديمقراطية. فقد تؤدي زيادة المشاركة إلى زيادة التوقّعات عن دور الحكومة في تحسين مستويات المعيشة؛ الأمر الذي قد يؤدي، بحسب بعض الدراسات، إلى انخفاض الرضا عن الحكومة، ومن ثمّ انعدام الثقة بمؤسسات الدولة، وهو ما قد يؤدي إلى العزوف عن المشاركة السياسية، أو التفكير في بدائل غير دستورية وغير ديمقراطية للتأثير والتغيير[35]. ووجدت دراسات أخرى أن هذه المواقع تشهد، بدلًا من الحوار العقلاني، الكثير من "الضوضاء"، ونادرًا ما تنطوي على محتوى قيّم أو نقاش موضوعي. ويزيد هذا الأمر من حدة الاستقطاب في المجتمع ويهدّد قدرته على تقبّل اختلاف الآراء[36]. وهنا، يركّز علماء النفس على ما يسمّى "استقطاب المجموعة العاطفي" Affective Group Polarization الذي يتضمّن توجّهات شديدة السلبية تجاه مجموعات سياسية أخرى[37]، ويؤدي إلى تدهورٍ في الخطاب المدني الذي يُعدّ حجر زاوية النظام الديمقراطي. وتكشف عدة أبحاث عن أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يساهم في زيادة الاستقطاب[38]، لأن تصميمها يضخّم من حالة الغضب نظرًا إلى انخفاض التكلفة الاجتماعية المرتبطة به. وهكذا، قد يكون الغضب الذي تنطلق شرارته مع تبادل الرسائل على وسائل التواصل الاجتماعي عاملًا مهمًا في تفسير التوجّهات الحديثة المقلقة في الخطاب الاجتماعي في العديد من المجتمعات وأثرها في زيادة حدة الاستقطاب، ومن ثمّ انهيار القواعد الديمقراطية. ولا يقتصر أثر هذه الأمور على تهديد الديمقراطية، بل قد يؤدي على نحو أولى إلى إفشال عملية التحوّل الديمقراطي. وأخيرًا، يجادل مارك لينش ومارك بيسينغر بأن شبكة الإنترنت تعزّز من التفاعل مع المنتمين إلى الآراء نفسها، ومن ثم فهي لا تؤدي إلى بناء ثقافة مدنية ضرورية للتحولات عن السلطوية[39]، أو مشجّعة على ترسيخ الديمقراطية[40] .

يرتبط التعبير عن الغضب على شبكة الإنترنت بحالتَين نفسيتَين تميّزان استقطاب الجماعة العاطفي: معاداة الخصوم السياسيين[41]، ونفي صفة الإنسانية عنهم[42]. وتقود هاتان الحالتان في ما بعد إلى سلوكيات اجتماعية كالعدوانية (السلوك الهادف إلى إلحاق الضرر بالآخرين)، والسفسطة (الحجاج استنادًا إلى حجج ضعيفة وواهية)، والانسحاب (تجنّب الحديث في الأمور السياسية). وهي سلوكيات تهدّد الديمقراطية لما تسبّبه من تقييد الاتصال والتعاون والمشاركة المدنية[43]. ويشوّه انتشار الأخبار المزيفة والحسابات الوهمية من الجدل الحقيقي، وتتشوّش الحقيقة بظهور عوالم متوازية لدى الأفراد[44]، إذ يعيش كل فرد في ما يُطلق عليه "ما بعد الحقيقة"؛ أي في فقّاعته أو واقعه الخاص[45]، ويتبنّى نسخته عن الواقع والماضي القريب والبعيد، ويصبح الجدل السياسي "مونولوجًا"، لا حوارًا[46].

31 Marija Andreeva, "(Re)shaping Political Culture and Participation through Social Networks," *Journal of Liberty and International Affairs*, vol. 5, no. 2 (2019), p. 47.

32 Ibid.

33 Dong Zhou, Weiguang Deng & Xiaoyu Wu, "Impacts of Internet Use on Political Trust: New Evidence from China," *Emerging Markets Finance and Trade*, vol. 56, no. 14 (2020), p. 3236.

34 Ibid.

35 Ibid.

36 Andreeva, p. 50; Jordan Carpenter et al., "Political Polarization and Moral Outrage and Social Media," *Connecticut Law Review*, vol. 52, no. 3 (2021), p. 1109.

37 Ibid.

38 Ibid., p. 1110.

39 Marc Lynch, "How the Media Trashed the Transitions," *Journal of Democracy*, vol. 26, no. 4 (2015), pp. 90-99.

40 Mark Beissinger, "Conventional and 'Virtual' Civil Societies in Autocratic Regimes," *Comparative Politics*, vol. 49, no. 3 (2017), pp. 351-371.

41 يتضمّن العداء هنا كراهية المعارضين السياسيين والاعتقاد أن الطرف الآخر خطير أو شرير، أو تصويره على أنه كذلك.

42 نفي صفة الإنسانية Dehumanization هي عملية إنكار امتلاك شخصٍ ما أو مجموعة معينة للقدرات والتوجّهات التي يتّسم بها الشخص الطبيعي مثل القدرة على اتخاذ قرارات عقلانية، أو الإحساس بالمعاناة والشعور بالألم. ينظر: Carpenter et al., p. 1116.

43 Ibid., pp. 1112, 1113.

44 Andreeva, p. 50.

45 Hunt Allcott & Matthew Gentzkow, "Social Media and Fake News in the 2016 Election," *Journal of Economic Perspectives*, vol. 31, no. 2 (2017), p. 211.

46 Andreeva, p. 50.

وهكذا، لا يوجد إجماع حول إذا ما كان دور شبكة الإنترنت داعمًا للديمقراطية أم مجرد منبر اتصالي محايد يمكن أن يستفيد منه الأفراد والأنظمة السلطوية معًا. قد ينبع غياب الإجماع هذا من حقيقة أن أدوار شبكة الإنترنت، بوصفها مغيّرًا للقيم ومنبرًا بديلًا، تتداخل بشدّة في تشكيل المخرجات السياسية، إضافةً إلى اختلاف الوزن النسبي لهذَين الدورَين باختلاف حساسية القضايا السياسية المطروحة ومستوى الرقابة الحكومية على محتواها. ولا يتّضح إذا ما كانت شبكة الإنترنت تشجّع على التفاعل الاجتماعي والخطاب السياسي الرشيد، أم أنها تمثّل في ذاتها أحد معوّقات التحوّل الديمقراطي الناجح، إذ تستنفد الدعم الشعبي للأنظمة الاستبدادية من دون أن تحفّز، بالضرورة، القيم الديمقراطية لدى المواطنين[47]. ويمكن البحث في ذلك من خلال استكشاف مواقف الأفراد في شبكات التواصل الاجتماعي تجاه معايير ديمقراطية أساسية، كالوعي بالحقوق، وتقييم الحرية السياسية، والمشاركة الشعبية[48]، وتقبّل الآخر، وتوافر الثقة سواء تجاه مؤسسات معيّنة أو بين الأفراد بعضهم ببعض.

يمكن، على أيّ حال، التمييز بين طريقتَين لتأثير شبكة الإنترنت في الثقافة السياسية: طريقة مباشرة، وذلك بالتأثير مباشرة في الثقافة السياسية ومفاهيم المشاركة والانخراط والتسامح والثقة. وطريقة غير مباشرة، وذلك بالتأثير في الذاكرة الجمعية التي هي أحد المصادر المهمة في تشكّل الثقافة السياسية لأيّ مجتمع أو جماعة كما سنوضّح في ما يلي.

2. الذاكرة الجمعيّة: شبكة الإنترنت وتحوّل نموذج التذكّر والنسيان[49]

لا يشغل البحث في موضوع الذاكرة الجمعية حيّزًا مهمًا داخل التيار الرئيس في علم السياسة، على الرغم من الدور الذي تؤديه في تشكيل معتقدات الأفراد والهوية الجمعية، وتاليًا الثقافة السياسية[50]. والتذكّر الجمعي عملٌ اتّصالي، يتّسم بالضرورة بالانتقائية، إذ يقترن اقترانًا لازمًا بنسيان جماعي انتقائي أيضًا[51]. والسؤال الرئيس هنا: إلى أي مدى تغيّر الوضع بالنسبة إلى ذاكرة الشعوب الجمعية في ظلّ تطوّر شبكة الإنترنت؟

أ. في فهم الذاكرة الجمعيّة

لا تزال أطروحة عالم الاجتماع الفرنسي موريس ألبفاكس – الذي يعدّ مؤسس حقل الذاكرة الجمعية – أساسية في دراسة العلاقة بين الذاكرة الفردية والجمعية. فبحسبه، تصوغ الجماعات صورها الخاصة عن العالم من خلال عملية متواصلة من تشكيل صيغ الماضي وإعادة تشكيلها[52]. وهذه العملية هي ما يميّز الجماعات ويمكّنها من تأسيس هويتها الخاصة التي تميّزها من غيرها من الجماعات التي قد تكون لها ذكريات وتفسيرات مختلفة للأحداث نفسها[53]. بيد أن الذاكرة الجمعية ليست معطاة، بل مبنيّة اجتماعيًا Socially Constructed، ويقوم الأفراد أنفسهم أعضاء الجماعة/ المجتمع بعملية التذكّر التي هي عماد الذاكرة الجمعية. ويترتب على ذلك تعدّد الذاكرات الجمعية بتعدد الجماعات والمؤسسات في المجتمع[54]. وقد شدّد ألبفاكس على أن تصوّراتنا عن الماضي تتأثّر بالصور الذهنية التي نوظّفها لحل المشاكل المعاصرة، بما يجعل الذاكرة الجمعية بالضرورة إعادة تركيب للماضي في ضوء الحاضر[55].

تحظى مسألة العلاقة بين الذاكرة الجمعية والهوية في أبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية بأهمية كبيرة، وكذلك مسألة علاقة السلطة بالذاكرة وما يترتب على ذلك من تبعية ذاكراتية مُحتملة (أي تبعية الذاكرة للسلطة). وعلى خلاف ألبفاكس الذي لم يحدد الجهات المرتبطة بالذاكرة والهوية الجمعيتَين، يتطرّق جان أسمان إلى ما يسميه التحالف بين السلطة والذاكرة؛ فالسلطة في حاجة إلى شرعية لوجودها، وهذا ما أطلق عليه "الجانب الاستذكاري الموجّه إلى الماضي". ولهذا التحالف بين الذاكرة والسلطة السياسية بعدٌ مستقبلي أيضًا، إذ "لا يغتصب الحكام الماضي فحسب، وإنما يغتصبون المستقبل أيضًا، فهم يريدون أن يتذكرهم الآخرون، ولهذا يشيّدون لأنفسهم نُصُبًا تذكارية وتماثيل مخلّدة لهم، ويسعون إلى جعل أعمالهم مادة ترويها الأجيال وتتغنّى بها وتخلّدها في آثار

47 Huhe, Tang & Chen, p. 761.

48 Ibid., p. 763.

49 تميّز الدراسة بين الذاكرة الجمعية والذاكرة التاريخية، على اعتبار أن الأخيرة ثمرة تقليد معرفي وعلمي ونتاج للتحليل والنقد والعقلنة.

50 Eric Langenbacher & Yossi Shain, "Introduction: Twenty-first-Century Memories," in: Langenbacher & Shain (eds.), p. 15.

51 William Hirst & Allin Coman, "Building a Collective Memory: The Case for Collective Forgetting," *Current Opinion in Phycology*, vol. 23 (October 2018), p. 88.

52 زهير سوكاح، "حقل 'دراسات الذاكرة' في العلوم الإنسانية والاجتماعية: حضور غربي وقصور عربي"، **أسطور**، مج 6، العدد 11 (2020)، ص 37.

53 Motti Neiger, Oren Meyers & Eyal Zandberg, "On Media Memory: Editor's Introduction," in: Motti Neiger, Oren Meyers & Eyal Zandberg (eds.), *On Media Memory: Collective Memory in a New Media Age* (Basingstoke, UK: Palgrave Macmillan, 2011), pp. 2-3.

54 Maurice Halbwachs, *On Collective Memory*, Lewis A. Coser (trans.) (Chicago: The University of Chicago Press, 1992), p. 22.

55 Ibid., p. 34.

مرئية، أو على الأقل توثّقها في الأرشيفات والمحفوظات"[56]. ويميّز أسمان بين نمطَين من الذاكرة الجمعية، هما الذاكرة التواصلية Communicative Memory في مقابل الذاكرة الثقافية Cultural Memory. تتمثّل الذاكرة التواصلية في التواصل اليومي والتفاعل العفوي ضمن مجتمع ما، ومن ثم تتّسم بالتغيّر المستمر، أما الذاكرة الثقافية فتعدّ بمنزلة مخزون هوياتي يتّسم بالاستقرار والثبات، إذ إنها ترتبط بأحداث مصيرية من الماضي تُحفظ في الذاكرة من خلال التكوين الثقافي (النصوص المتداولة والطقوس والآثار وخلافه)، والتواصل المؤسسي (كالتكرار والممارسة والاحتفال)، وهو ما أطلق عليه "رموز الذاكرة"[57] Figures of Memory. وبطبيعة الحال، تؤدي السلطة السياسية هنا – بما لها من سيطرة على مؤسسات الدولة – دورًا أساسيًا، بل احتكاريًا أحيانًا، في ما يعرف بـ "الذاكرة المتلاعب بها" بما يخدم مصالحها[58].

تكمن إشكالية هذه التعريفات في نظرتها إلى الذاكرة على أنها موجّهة من النظام السياسي ومعبّرة عنه وعن هويته المعيارية، في الوقت الذي تصفها فيها بـ "العمومية/ الجمعية". ولإزالة هذا اللبس في طبيعة الذاكرة المتناقضة – بين كونها ذاكرة رسمية تفرضها السلطة، وعمومية متاحة للمحكومين في الوقت ذاته – يميّز بعض الباحثين بين نمطَين من الأنظمة السياسية: التعدّدية في مقابل التسلّطية؛ فالمحتويات الذاكراتية الجمعية من أحداث وتجارب ماضية تُتداول في الأنظمة الديمقراطية تداولًا مفتوحًا وعادلًا، يتيح لكل طرف المشاركة في النقاش العمومي وإبداء موقفه منه. أما في الأنظمة التسلطية، فتُمنع أيّ إمكانية مجتمعية لنقاش ذاكراتي حقيقي تشارك فيه كل جماعات المجتمع ويُغلق الباب أمام فرص المشاركة المدنية المفتوحة[59]، ويثير هذا التمييز قضية العلاقة بين الذاكرة ونظام الحكم.

ب. الذاكرة ونظام الحكم

يرى بعض الباحثين أن الذاكرة لا تنتعش إلا في الديمقراطيات. ويحدد هذا الرأي ثلاثة متغيرات مترابطة تسهّل من ظهور الذكرى. المتغيّر الأول هو "حجم" التاريخ، حيث تزيد فرص الذكريات الجمعية في التشكّل والبقاء حين تتعلق بأحداث تمثّل تغيّرات طويلة المدى وذات مغزى في حياة الأفراد. وقد يعوّض التعاطف الذي يشعر به مواطنو دولة ما تجاه قضية ما أو أهمية الضحايا الاجتماعية غياب الحجم[60]. في حين يتعلّق المتغيّر الثاني بوجود آليات للذاكرة يمتصّها الأفراد، ومن ثمّ يجري بناؤها ونشرها. أما المتغيّر الثالث فيتعلق بوجود قدرٍ من الانفتاح في النظام السياسي، حيث يشعر من تعرّضوا للظلم والقهر والاضطهاد بقدر من الأمن يسمح لهم بالتحدّث واسترجاع الماضي[61]. ويعني هذا أن الذاكرة تكون جزءًا من عملية تأقلم العامة في سياق نظام تعدّدي حرّ، وتُصاغ لتكون حافزًا على المصالحة والحوار وتجنّب أخطاء الماضي[62].

وفي المقابل، ظهرت اعتراضات عديدة على الربط بين الذاكرة الجمعية والديمقراطية. ويشير المنتقدون إلى استخدام النظم غير الديمقراطية المعتاد للذاكرة الجمعية، ويذهب بعضهم إلى القول إن استخدام الذاكرة الجمعية يرتبط في الواقع بالنظم الدكتاتورية بقدرٍ أكبر منه في النظم الديمقراطية[63]. ويصعّب استخدام الدكتاتوريات السياسي للذاكرة الجمعية من تنظيم الفواعل المجتمعية المختلفة لأيّ مقاومة ذاكراتية. وفي حين يميل تطور الذاكرة الجمعية في الأنظمة الديمقراطية إلى أن يكون تعدديًا وينطوي على نقد ذاتي بشأن الماضي – ماذا حدث خطأً؟ - تستحوذ الأنظمة الدكتاتورية، في الأغلب، على سردية الماضي وصناعة المظلومية[64].

وبناء على ذلك، يمكن تحديد خصائص خمسٍ للذاكرة الجمعية:

- الذاكرة الجمعية هي بناء اجتماعي - سياسي: فهي نسخة عن الماضي اختارت جماعة ما (أو فواعل محددة في الجماعة) أن تتذكّرها من أجل تحقيق أهدافها وخدمة تصوّرها عن نفسها[65].
- تشكيل الذاكرة الجمعية هو عملية مستمرّة وثنائية الاتّجاه، تتّجه من الحاضر نحو الماضي والعكس؛ فتوجّه الأحداثُ الجارية والمعتقدات قراءتنا للماضي، في حين تشكّل الأطر المرجعية المُتعلَّمة من الماضي فهمَنا للحاضر.
- الذاكرة الجمعية وظيفية: تتذكّر الجماعات ماضيها لأهداف مختلفة تتمحور أساسًا حول التعريف بذاتها ورسم الحدود

56 نقلًا عن: زهير سوكاح، "السياسة والذاكرة الجمعية: علاقة تنافر أم تجاذب؟"، **مجلة الناقد للدراسات السياسية**، العدد 1 (تشرين الأول/ أكتوبر 2017)، ص 39-40.

57 Jan Assmann & John Czaplicka, "Collective Memory and Cultural Identity," *New German Critique*, no. 56 (1995), pp. 126-129.

58 بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، ترجمة جورج زيناتي (طرابلس: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009)، ص 136.

59 نقلًا عن: سوكاح، "السياسة والذاكرة؟"، ص 49.

60 Langenbacher, pp. 34-35.

61 Ibid.

62 Mariska Kappmeier & Aurélie Mercy, "The Long Road from Cold War to Warm Peace: Building Shared Collective Memory Through Trust," *Journal of Social and Political Psychology*, vol.7, no. 1 (2019), pp. 527-528.

63 Langenbacher, p. 37.

64 Olli Hellmann, "The Dictator's Screenplay: Collective Memory Narratives and the Legitimacy of Communist Rule in East Asia," *Democratization*, vol. 28, no. 4 (2021), p. 661.

65 Neiger, Meyers & Zandberg, p. 4.

بينها وبين الجماعات الأخرى، وإعادة تأكيد معتقدات الجماعة الأساسية[66].

- الذاكرة الجمعية يجب أن تكون مُجسّدة: لكي تصبح الذاكرة الجمعية وظيفية، يجب تجسيدها من خلال الهياكل المادية والمنتجات الثقافية، كالطقوس، والنُصب التذكارية، والآثار، والمتاحف التاريخية، والمناهج التعليمية، ومحتوى الإنترنت الآن، وغيرها.
- الذاكرة الجمعية سردية: تأخذ الذاكرة في معظم الحالات شكل السردية التي لها بداية وسلسلة من الأحداث المتطوّرة ونهاية، إضافة إلى الأبطال المطلوبين للتغلب على العقبات أو القيام بأمور يعجز عنها أفراد الجماعة، وعادة ما تكون مشحونة بالدروس والأخلاق التي توجّه المجتمعات[67].

وسواء أكانت الذاكرة تنتعش في ظلّ الديمقراطيات أم توظّفها السلطويات، فإن الطرق التي يتعامل بها المجتمع مع الأزمات ويتذكر بها الماضي المضطرب تخبرنا الكثير عنه. ويمكن أن تمثّل ذكريات الصراع الاجتماعي قوة كبيرة في الخطاب السياسي، فإمّا أن تداوي الخلافات أو تُلهب الجروح. ويمكن أن تكون الذكريات المميّزة للجماعة الاجتماعية كذلك مصدر قوة في مقاومة القمع. بيد أن الذكريات المفرقة حين تُحفظ وتُنمّى، فإن الصراع الاجتماعي العنيف ينفجر مرةً أخرى، أو قد يصعب التعامل مع المشكلات الطويلة المدى[68].

وهكذا، تشكّل الذكريات المشتركة اجتماعيًا جزءًا من الثقافة السياسية التي يمكن أن نفهمها على أنها الذاكرة المسيطرة المتاحة على نطاق واسع في المجال العام. وبهذا، يكون السلوك السياسي والتوجّهات العامة وحتى الخطاب السياسي نتاجَ الذاكرة الجمعيّة[69]. فكيف يتأثر ذلك بوسائل التذكّر الحديثة، وأهمها شبكة الإنترنت؟

ج. شبكة الإنترنت والذاكرة الجمعية

تتميّز شبكة الإنترنت بذاكرة لا تَنسى، ويؤثّر التسارع التكنولوجي ووفرة المعلومات المتاحة في الطريقة التي نتذكر بها الأشياء والأحداث، وفي محتوى ذاكرتنا الإنسانية الجمعية. فالتكنولوجيا تمدّنا بمصادر أكثر للمعلومات وطرائق جديدة لحفظ الذكريات. بيد أن وفرة المعلومات تحتاج إلى قدر مهم من "الفرز" للتحقّق من شرعيتها وصحّتها[70]. ويُعدّ الاستخدام المتزايد لمنصة يوتيوب YouTube بوصفها أرشيفًا للذاكرة، والتوافر غير المسبوق لقواعد البيانات المتاحة على شبكة الإنترنت Online التي توثّق الماضي، فضلًا عن سهولة تقديم السرديات المختلفة عن الماضي، تطوّراتٍ تحتّم إعادة النظر في العلاقة بين وسائل الإعلام والاتّصال وتذكّر الماضي[71]. فمن ناحية، تقلّ فرص نسيان الأحداث أو ضياع ذكراها، إذ حوّلت شبكة الإنترنت الذاكرة الجمعية إلى أمرٍ يمكن استرجاعه بسهولة[72]. ومن ناحية أخرى، زاد الاعتماد على مصادر خارجية لذاكرتنا عن طريق أنظمة لا نتحكّم فيها، وهو ما قد يعزلنا عن ذاكرتنا ويخاطر بضياع الأحداث في نسيانٍ تامّ.

لا تسهّل تقنيات الاتصال الحديثة من عملية التذكّر فحسب، بل توفّر أيضًا فرصًا جديدة للمواطنين للتدقيق في أرشيفات المواد السابقة ومساءلتها بوصفها ذكريات ثابتة[73]. ولهذا السبب، لا يسمح توافر وسائل الاتّصال الجديدة بظهور الروايات البديلة والمضادة فحسب، بل يشجّعها أيضًا ويساعد على انتشارها[74]. وهكذا، تتحدّى شبكات التواصل الاجتماعي الطابع المؤسسي للذكريات التي تديرها "وكالات الذاكرة الرسمية"، كما تتحدى شرعيتها أيضًا[75]. فقد أصبحت تلك الشبكات، على سبيل المثال، مكانًا لإحياء الذكرى بالتوازي مع أشكال الاحتفال التقليدية الأخرى أو بوصفها بديلًا منها، إضافةً إلى تقديم روايات بديلة أو مضادة لتلك السائدة[76]. ويتيح هذا التبادل للذكريات والروايات الفردية على شبكة الإنترنت التعرّض للمزيد من الآراء حول الأحداث، وهو ما يؤدي إلى أن تصبح الذكريات الفردية أقدر على التأثير في الذاكرة الجمعية

66 Ibid., p. 5.

67 Ibid.

68 Jill A. Edy, *Troubled Pasts: News and the Collective Memory of Social Unrest* (Philadelphia: Temple University Press, 2006), p. 2.

69 Ibid., p. 4.

70 Sophie Perryer, "The Internet never Forgets, but People Do," *The New Economy*, 13/11/2018, accessed on 20/1/2023, at: https://bit.ly/3UAiNoB

71 Neiger, Meyers & Zandberg, p. 2.

72 García-Gavilanes et al., p. 1.

73 Hui Zhao & Jun Liu, "Social Media and Collective Remembrance: The Debate over China's Great Famine on Weibo," *China Perspectives* (January 2015), p. 41, accessed on 20/1/2023, at: https://bit.ly/3OHgGvr

74 Ibid., p. 42.

75 Roberta Bartoletti, "Memory and Social Media: New Forms of Remembrance and Forgetting," in: Bianca Pirani (ed.), *Learning from Memory: Body, Memory and Technology* (New Castle: Cambridge Scholars Publishing, 2011), p. 88.

76 Ibid., p. 110.

من ذي قبل، أو على الأقل توفّر فرصة للحفاظ على الذكريات الفردية وإدامتها[77].

وهكذا، أصبح التذكّر والنسيان خارج نطاق الدولة التحكّمي الحصري[78]، ما يؤثّر من ثمّ في الذاكرة الجمعية في المجتمع، إذ توجد أكثر من ذاكرة خاصّة بالأحداث محل الجدل، ولم يقع عليها توافق بين الأطراف الفاعلة المختلفة في المجتمع. وينعكس ذلك على الثقافة السياسية السائدة التي تتشكّل في جزء كبير منها من هذه الذاكرة الجمعية. ويتّضح هذا الأثر إلى حد بعيد في حالات الانتقال الديمقراطي التي تتطلب في معظم الحالات تحقيق المصالحة في المجتمع.

3. الذاكرة والثقافة السياسية والمصالحة

تُعدّ قضية التحوّل الديمقراطي، وما يرتبط بها من قضايا المصالحة والعدالة الانتقالية، من القضايا المهمة التي تتجلّى فيها العلاقة بين الذاكرة الجمعية والثقافة السياسية. وتستند المصالحة – التي هي نقطة تلاقٍ بين الماضي والمستقبل – إلى آلياتٍ معيّنة، كلجان تقصّي الحقائق ومحاكم جرائم الحرب التي تسعى إلى كشف الانتهاكات والمحاسبة عليها، إضافةً إلى مبادرات العدالة التصالحية Restorative Justice التي تسعى إلى إصلاح علاقات الجاني والمجني عليه. يوضّح جون ليديراك Lederach John P. أن هذه الاستراتيجيات تسعى لإعادة سرد الروايات بهدف إعادة التفاوض حول التاريخ والهوية، لا سيما بالنسبة إلى الجماعات التي تأثّرت بهذه الخبرات وتشكّلت لديها ذاكرة جمعية قوية عن الانتهاكات التي تعرّضت لها على يد أطراف أخرى[79]. وهكذا، تصبح الذاكرة الجمعية مكوّنًا أساسيًا من مكونات جهود التعامل مع الماضي وإعادة بناء الثقة المجتمعية وتأسيس حكم القانون. وتغدو مبادرات الحقيقة والمصالحة والمحاسبة والعديد من جهود التذكّر الأخرى بمنزلة أدوات مركزية في بناء ثقافة سياسية ديمقراطية ومجتمع مدني مزدهر[80].

تسعى عمليات العدالة الانتقالية الرسمية وهيئاتها إلى البحث في الحقائق من أجل وضع سردية مشتركة عن الجرائم والانتهاكات التي حدثت في الماضي بوصف ذلك شرطًا أساسيًا لمستقبل مستقرّ في النظم الانتقالية[81]. وتنعكس الطريقة التي يتعامل بها مجتمع ما رسميًا مع انتهاكات الماضي على الثقافة السياسية والتصوّر العام لنجاح الانتقال من السلطوية أو فشله؛ فتحوّل الثقافة السياسية إلى محورٍ للذاكرة الجمعية يجعل الأخيرة ظاهرة متعددة الأجيال من خلال استمرار الابتعاد عن الماضي الاستبدادي، لا في السلوك وعمل المؤسسات فحسب، بل في بعده النفسي الجماعي أيضًا، وهو الأمر الذي يعزّز فرص المصالحة ويرسّخ قيم الديمقراطية. وعلى العكس، يعرقل الاستخدام الأداتي للذاكرة المصالحةَ ويدفع المجتمع إلى الإحجام عن المشاركة السياسية[82]. فعلى سبيل المثال، أرجع بعض الباحثين الثقافة السياسية الحالية في جنوب أفريقيا إلى نموذج العدالة الانتقالية الذي اتّبعته. فلا يمكن أن يدّعي الفاعلون السياسيون هناك أنهم لم يكونوا جزءًا من العملية أو التشكيك في صحتها. وقد انعكس هذا الأمر على ترسيخ السلوك الديمقراطي في البلاد وتأسيس مجتمع مشارك ومتسامح إلى درجة كبيرة، على الرغم من استمرار التفاوت الاقتصادي بين السود والبيض واستمرار مستويات عالية من الجريمة والعنف[83]. وبهذا، لا تصبح العدالة الانتقالية مجرد "العدالة" بمعناها الخاص بتصفية الحسابات وتحديد العقوبة، بل طريقة المجتمعات في التعامل مع الماضي ليتمثّل الهدف – إضافة إلى معاقبة المذنبين – في تعلّم درس من الماضي لعدم تكراره، واستبعاد المتورطين في الانتهاكات من النظام الجديد[84].

لا تقتصر عملية التذكّر على شبكة الإنترنت على سرد الأحداث واستهلاك الروايات الموجودة، بل تقوم بإنتاج الروايات أو إعادة تشكيلها، بحيث تعيد بناء الأحداث على نحوٍ يعزّز إما الحوار الوطني والمصالحة، وإما الاستقطاب والعداوة والكراهية. ولا يقتصر هذا الأمر على الحاضر أو الماضي القريب، بل قد يمتدّ إلى الماضي البعيد أيضًا[85]. ومن ثمّ، يعدّ التعرّف إلى هذه الروايات بمنزلة مؤشّر على المواقف والتوجّهات والمعاني السائدة أو المتعارضة في المجتمع والمتعلّقة بالذاكرة الجمعية لحدث ما أو مرحلة معيّنة، وهي أمور تؤشّر على طبيعة الثقافة السياسية السائدة. ويستكشف المبحث التالي من الدراسة هذه الأبعاد في حالة ثورة 25 يناير 2011 المصرية.

77 James Warren, "The Internet and Memorialisation: A Case Study of 9/11 Internet Memorials," *Folio*, 21/1/2015, accessed on 20/1/2023, at: https://bit.ly/3u0byLX

78 ولا تغيّر قدرة الدولة على حجب بعض مواقع الإنترنت أو التواصل الاجتماعي من هذا الأمر، وذلك بسبب وفرة وسائل مراوغة ذلك الحجب، ينظر، على سبيل المثال: "رغم قطع الإنترنت وشبكة الجوال.. هذه التطبيقات تتيح لك التواصل"، **الجزيرة نت**، 2019/9/24، شوهد في 2023/1/20، في: https://bit.ly/42hodqm

79 Dazzo.

80 Langenbacher, p. 16.

81 Dazzo;

82 Jane L. Curry, "When an Authoritarian State Victimizes the Nation: Transitional Justice, Collective Memory, and Political Divides," *International Journal of Sociology*, vol. 37, no. 1 (2007), pp. 64, 65.

83 Curry, p. 64.

84 Ibid., p. 59.

85 Matthew V. Hibbing, Matthew Hayes & Raman Deol, "Nostalgia isn't what it Used to be: Partisan Polarization in Views on the Past," *Social Science Quarterly*, vol. 98, no. 1 (2017), p. 231.

ثانيًا: ثورة 25 يناير 2011 المصرية: دراسة حالة

مثّلت ثورة 25 يناير 2011 لحظة استثنائية في المجتمع المصري. فبعد عقود من الاستبداد والخوف، علت الأصوات مطالبةً بالحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، ليُنبئ الحدث لا بتحوّل سياسي فحسب، بل بتحوّل ثقافي أيضًا يعكس عمق التغيرات الفكرية والنفسية التي حدثت في المجتمعات العربية بوجه عام، والمجتمع المصري بوجه خاص. ويؤهّل هذا الأمر ثورة 25 يناير لتكون من الذكريات الدائمة، نظرًا إلى الآثار الممتدة التي تركتها في المجتمع والسياسة في مصر، فضلًا عن توظيفها في تشكيل صورةٍ ما عن هذا المجتمع. ومع الاختلاف في تقويمها، أمست ثورة 25 يناير بالفعل ذكرى مفصلية لدى كثير من قطاعات المجتمع المصري. بيد أنها، ونظرًا إلى عدم اكتمال عملية الانتقال الديمقراطي، أصبحت ذكرى مُتنازعًا عليها بين من يمجّدها ويُعلي من شأنها، ومن يدينها ويشوّه تاريخها وأهدافها، وذلك في ظلّ روايـة رسمية ملتبسة تتعمّد التشويش على الحدث. وهكذا، فمع كون ثورة 25 يناير نقطة فارقة في ثقافة المصريين السياسية، فإنها لا تمثّل بالضرورة خطوة نحو تأسيس مجتمع أكثر تسامحًا وديمقراطية.

يتجلّى في مثال ثورة 25 يناير دور شبكة الإنترنت، خاصة وسائل التواصل الاجتماعي، في توثيق أحداثها وتناول ذكراها[86]. ويزيد هذا الدور في ظلّ إهمال الدولة والنظام عمليةَ تدوين الثورة رسميًا والتحديات الكبيرة التي تواجه المبادرات الشعبية في عملية التوثيق[87]. وتزيد أهمية ذلك مع انتشار السرديات عن الثورة، إمّا بهدف طمس الحقائق أو تسليط الضوء على جوانب معيّنة من الحقيقة التاريخية، وإما لتعميم سردية قد تخالف تلك الحقيقة، وهذه أمور تجعل ذكرى 25 يناير ساحة صراع بين سرديتَين أساسيتَين، بينهما مجموعة كبيرة من السرديات الثانوية[88]. تهتمّ هذه الدراسة بالنظر في هذه السرديات الشعبية عن الثورة المصرية، مع التركيز تركيزًا خاصًا على كيفية تصوّر الأفراد للحدث والقيم التي يحملها هذا التصوّر ودلالاته بالنسبة إلى ثقافة المجتمع السياسية بوجه عام. وتُلقي الدراسة بالتوازي الضوء على الرواية "الرسمية" عن ثورة 25 يناير ومدى اتفاقها واختلافها مع الروايات الشعبية، وذلك استنادًا إلى ما كُتب عن ذكراها في وسائل التواصل الاجتماعي.

86 يقصد بتوثيق ثورة 25 يناير المصرية جمع كل المواد والمعلومات الخاصة بأحداث الثورة وتصنيفها وفرزها والتحقق منها.

87 عصام شعبان، "توثيق الثورة المصرية.. الضرورة والأهمية والإشكالات"، **العربي الجديد**، 2022/5/11، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/42LjhKL

88 المرجع نفسه.

نبدأ أولًا بالرواية الرسمية للثورة. عمومًا، تطوّر الخطاب الرسمي عن ثورة 25 يناير على مدار السنوات القليلة الماضية. فبعد احتفاء المجلس العسكري المصري المبدئي بها في ذكراها الأولى (كانون الثاني/ يناير 2012) وتأكيده على تضامنه معها وشراكته فيها، أخذ هذا الاحتفاء في التضاؤل تدريجيًا في مقابل زيادة تشويهها وتهميشها. أما التشويه، فبعد أن كانت "ثورة"، أضحت "أحداثًا" أو "اضطرابات" تُوظّف للتحذير من مصير شعوب ثارت على أنظمتها، فانهارت دولها وتحوّلت إلى ساحات مفتوحة للصراع والحروب الأهلية[89]. وأمّا التهميش، فكان لحساب "ثورة 30 حزيران/ يونيو" (2013) التي أضحت "مصحّحة" لمسار ثورة 25 يناير[90]. وبما أن ثورة يناير اختارت يوم 25 كانون الثاني/ يناير تحديدًا (يوم عيد الشرطة المصرية)، فقد بدأ الجمع بين ذكراها وذكرى عيد الشرطة على نحو كانت فيه الطرف الأقل شأنًا والأقل استحقاقًا للاحتفاء. ويتجلى هذا التطوّر في الرواية الرسمية للثورة في موقف الرئيس عبد الفتاح السيسي منها. فمع تولّيه السلطة في عام 2014، عمد في البداية إلى تحية ثورة 25 يناير "التي تأخّرت 15 عامًا"، رافضًا التعرّض لها بسوء، بل عدّها تعبيرًا عن "رغبة المصريين في بناء مستقبل جديد". بيد أنه في سياق لاحق، أكّد على أنها كانت ثورةَ تغييرٍ احتاجت إلى ثورة أخرى لتصويب مسارها. ثم وصف "ما حدث في 2011" بأنه لم يكن إلا "علاجًا خاطئًا لتشخيص خاطئ"، إلى أن وصلنا إلى أنها كانت "مؤامرة"[91]، و"وعيًا زائفًا"، و"خرابًا" أوقف مشاريع التنمية وتسبّب في أزمة سد النهضة الإثيوبي بما تمثّله من تهديد للأمن القومي[92]. وبسبب الثورة، "أوشكت [مصر] أن تضيع"[93]؛ ذلك أن هدفها لم يكن "التغيير"، بل "التدمير"[94].

89 "من الكلمات السياسية إلى المناهج الدراسية... تحولات خطاب 'الدولة' عن 25 يناير"، **رصيف 22**، 2022/1/25، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/47MfWMl

90 فريد دياب، "يناير المصرية في الخطاب الرسمي... 'ستار' يسدل بهدوء"، **وكالة الأناضول**، 2017/1/25، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/49bFwey

91 صرّح السيسي في مؤتمر الشباب 2019 بأن: "[أحداث] 2011 وكل المؤامرة التي حدثت [استهدفت] وزارة الداخلية ووزارة الدفاع لأنهما مراكز الثقل التي تستطيع أن تحمي الدولة"، ينظر: "كلمة الرئيس السيسي خلال الجلسة الأولى في مؤتمر الشباب الثامن"، **تن تي في**، يوتيوب، 2019/9/14، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/3HyisLt

92 صرّح السيسي في المؤتمر الثامن للشباب 2019: "سأقول لكم عن غلطة واحدة، أو ثمن واحد دفعناه وسندفعه، [أحداث] 2011 لم تكن أبدًا لتُبنى سدود على نهر النيل إلا بها [بسببها]".

93 كلمة الرئيس السيسي خلال افتتاح التوسعات الجديدة والتطوير لمصنع كيما للأسمدة 2022، ينظر: "السيسي: عرفتوا ليه البلد كانت هتضيع في 2011؟ وما تنسوش يا مصريين اللي أنقذكم ربنا من الدمار والخراب"، **إكسترا نيوز**، يوتيوب، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/3STyAxF

94 نقلًا عن: تامر هنداوي، "السيسي: ثورة يناير كان هدفها تدمير الدولة وليس التغيير"، **القدس العربي**، 2020/10/11، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/3wd0GuP

وبما أن ثورة 25 يناير كانت مؤامرة، أو "علاجًا خاطئًا لتشخيص خاطئ" على أفضل تقدير، جاءت ثورة التصحيح في 30 حزيران/ يونيو 2013 ضرورةً وطنية لإنقاذ البلاد، ووُصفت بأنها "ثورة شعبية صحّحت من مسار 25 يناير التي انحرفت عن أهدافها الوطنية"، وعُدّت لحظة "إنقاذ مصر" من الانهيار. وبعد أن كانت ثورة 25 يناير مرجعية التغيير السياسي للبلاد وفق دستور 2012، جاء الدستور الجديد في عام 2014 ليربط بينها وبين 30 حزيران/ يونيو بوصفهما "ثورة واحدة" دعت إلى "العيش بحرّية وكرامة إنسانية تحت ظلال العدالة الاجتماعية". وفي هذا الربط، تزيد 30 حزيران/ يونيو على 25 يناير قيمةً على اعتبار أن الأخيرة انحرفت عن مسارها واستولت عليها المصالح الضيّقة والأغراض غير الوطنية، بينما صحّحت الأولى مسارها[95]. وهنا، بدأ الاحتفال بعيد الشرطة في الخامس والعشرين من كانون الثاني/ يناير يستردّ مكانته في مقابل ذكرى الثورة. وبعد أن كانت الثورة تتصدّر الخطاب الرسمي، أضحت أمرًا ثانويًا يُذكر عرضًا في سياق الحديث عن أمر آخر[96]. وتزامن مع كل هذه الأمور انحسار حضور الثورة في الخطاب العام، والمناهج الدراسية[97]، بل في برامج الأحزاب السياسية، حتى المعارضة منها.

وإذا كانت هذه هي ملامح تطوّر رواية السلطة عن الثورة، فقد أفسحت شبكة الإنترنت المجال لروايات منافسة عَدّت عملية تذكّر الثورة تأصيلًا لفكرة رفض القمع والظلم والاستبداد[98]، وهو ما يتفق مع ما سبق ذكره من فتح شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي المجال أمام عملية تذكّر قد تختلف عن تلك التي ترعاها السلطة، حيث أصبح التذكّر والنسيان لا يخضعان حصريًا لتحكّم النخب أو الدولة. وقد اعتُمد في تلمّس أبعاد هذه الرواية أو الروايات الشعبية على عملية تذكّر الثورة في وسائل الاتصال الاجتماعي من خلال البحث في أسئلة مثل: هل تتذكّر أطراف الثورة المختلفة أحداثًا وحلقات مختلفة عنها؟ وما مدى التوافق والاختلاف في تلك الروايات؟ وما العلاقة السببية المُفترضة بين الأحداث؟ وإلى أيّ مدى تعبّر الروايات المختلفة عن الثورة عن قيم مختلفة؟ وما دلالة كل ذلك في ما يخص ثقافة المصريين السياسية، وأثر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي تحديدًا فيها؟

تستند الدراسة في الإجابة عن هذه الأسئلة إلى عدد من الوسوم على منصة "إكس" (تويتر Twitter سابقًا) وصفحات فيسبوك Facebook عن الثورة، سواء المؤيدة أو المعادية لها. وقد كانت مواقع الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي بالفعل ساحات جدل كبير بشأن الثورة. ففي عام 2016، على سبيل المثال، ظهر وسم بعنوان "#أنا شاركت في ثورة يناير" (ينظر الصورة 1) ردًا على اتهامٍ لطبيب مصري بالمشاركة في "أحداث 25 يناير 2011". ولم تمضِ ساعات حتى احتلّ الوسم – وصفحة على فيسبوك تحمل الوسم نفسه – المركز الأول على مستوى مصر. ونشرت صفحة فيسبوك التي تأسّست في عام 2016 بيانًا جاء فيه: "لو كانت المشاركة في ثورة يناير تهمة فنحن نشرف بها". وأشار البيان إلى محاولات تزييف الوعي الجارية من خلال السيطرة على الإعلام ونشر الأفكار التي تصف الثورة بالمؤامرة: "يكرهون ثورة يناير التي هزّت عروش فسادهم وظلمهم. [...] هم لا يريدون فقط الحفاظ على نظامهم، بل يريدون أيضًا محو خبرة الثورة والأمل في التغيير من العقول والقلوب". وهكذا، مثّل البيان المؤسّس للصفحة والوسم محاولة للمحافظة على ذكرى الثورة وما حملته من قيمة لمن آمنوا بها. ويتجدّد الوسم نفسه في كل ذكرى للثورة تقريبًا، إضافةً إلى وسم آخر بعنوان "#25 يناير بالنسبالك إيه؟" (ماذا تعني لك ثورة 25 يناير؟). وفي مقابل هذه الوسوم المؤيدة للثورة والساعية للحفاظ على ذكراها، ظهرت وسوم مضادة تروج لصورة سلبية عن الثورة تحت عنوان "#أنا ماشاركتش في ثورة يناير" (أنا لم أشارك في ثورة يناير). وقد عكست تعليقات المشاركين في الوسوم، عمومًا، انقسامًا حادًا بين فريقَين، هما: مؤيدو 25 يناير ومعارضوها، وتبارى كل فريق في وصف الحدث والآخر وتصويره. نناقش في ما يلي محتوى هذه الوسوم والصفحات بما تنطوي عليه من أبعاد السرديات الشعبية عن الثورة وذكراها.

1. وصف الحدث: الثورة في مقابل المؤامرة

توافقًا مع ما سبق بيانه من إمكانية وجود أكثر من ذاكرة خاصّة للأحداث التي لم يتشكّل عليها توافق بين الأطراف الفاعلة المختلفة في المجتمع، فإن أوّل ما يلاحظ على المشاركات الخاصة بالثورة في وسائل التواصل الاجتماعي هو الانقسام حول وصف الحدث؛ فهناك من وصفه بالثورة الشعبية النقية، وأنها "أعظم حدث في تاريخ مصر"، وهناك من عدّه مؤامرة متكاملة ومتعددة الأطراف لـ "تخريب وإسقاط مصر"، مفضّلًا استخدام تعبيرات سلبية أخرى في الإشارة إلى الحدث، مثل "وكسة [خيبة]" أو "نكسة" أو "مؤامرة"،

95 "ثورة يناير في خطابات السيسي من التمجيد إلى الاتهام بالتدمير"، **الخليج الجديد**، 2020/10/12، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/42jN6Sb

96 أحلام حسنين، "بالفيديو: 25 يناير في خطاب السيسي.. 30 دقيقة للشرطة و6 للثورة"، **مصر العربية**، 2017/1/25، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/3S9ZEHc

97 تناولت المناهج الدراسية الثورة في السنوات الأولى بشيء من التفصيل، ثم صارت تُعرض بصورة سريعة من دون ذكر مسبباتها. الآن، عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل عام 2011 تقريبًا، وهي أن 25 يناير هو عيد الشرطة المصرية، مع إشارة إلى ثورة 25 يناير في جملة قصيرة وعلى استحياء. للمزيد، ينظر: ريم محمود، "ضمن صفحات تقلصت مع الزمن، المناهج المدرسية المصرية الحالية تذكر قشورًا من ثورة 25 يناير"، **رصيف 22**، 2021/1/25، شوهد في 2023/6/20، في: https://bit.ly/3Oler0u

98 المرجع نفسه.

وذلك في مقابل 30 حزيران/ يونيو التي كانت ثورة الشعب الحقيقية (ينظر الصور 2، و3، و4).

2. قِيم الحـــدث: الحرية والمشـــاركة في مقابل الفوضى والتخريب

انعكس وصف كل طرف للحدث على مجموعة القيم التي ربطها به. ويتعلق هذا الربط بين الحدث والقيم بطبيعة الذاكرة الجمعية المشار إليها سابقًا من حيث كونها تنتظم في شكل سردية مشحونة بالدروس والقيم والأخلاق التي توجّه المجتمعات وتحدّد معايير السلوك، وتصبّ في النهاية في طبيعة الثقافة السياسية السائدة. وهكذا، ربط من عدّ الحدث ثورةً بمجموعة من القيم الإيجابية المتعلقة بالحرية والمشاركة والكرامة والانتماء والحب والتسامح والثقة والأمل والحلم (ينظر الصورة 5). في المقابل، ربط ناكرو كون الحدث ثورةً بمجموعة سلبية من القيم، تتعلق بالسعي إلى الفوضى والتدمير والاحتراب الأهلي. ولترسيخ هذه الأفكار، نشر بعض هؤلاء صور مدرّعات الشرطة المحترقة خلال الثورة جنبًا إلى جنب مع صور نُشرت في عام 2017 لأسطول جديد من سيارات ومدرّعات الشرطة المصرية، معلقًا "أيادٍ تدمر وأيادٍ تعمر" (ينظر الصورتان 6، و7).

وقد تعدّدت الأسباب التي صاغها المشاركون لتبرير اشتراكهم أو عدم اشتراكهم في الثورة، كما عكست التعليقات فهمًا أكثر رحابة للمشاركة بين المعلّقين عن المعاني التقليدية المرتبطة بالمفهوم، وهو الأمر الذي يكشف عن أثر شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في مضامين مفاهيم أساسية في العلوم السياسية. فقد عدّ البعض دعمهم للثوار عبر فيسبوك وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي بمنزلة مشاركة في الثورة، وأصبح الإعجاب بمنشور أو مشاركة خبر أو رأي ما مؤيد للثورة بمنزلة أشكال مقبولة للمشاركة. وأرجع الكثير من المشاركين اشتراكهم في الثورة إلى رغبتهم في "تحقيق معاني الكرامة والحرية،" وإقامة "دولة حديثة معاصرة وجيش حديث قوي يحمي ولا يحكم". في المقابل، قدّم بعضٌ ممن لم يشاركوا في الثورة مبررات لعدم المشاركة فيها، منها ما يتعلق بغياب القيادة، أو عدم الفهم، أو غياب الاهتمام بالسياسة، أو اليأس والإحباط، أو الخوف بوجه عام.

3. صور الحدث ورمـــوزه: الأزهار في مقابل الحرائق

أوضحنا في ما سبق أنه لكي تصبح الذاكرة الجمعية وظيفية؛ أي قادرة على وضع الحدود بين الجماعات وإعادة تأكيد معتقدات الجماعات الأساسية، فإنها يجب أن تتجسّد من خلال الرموز والطقوس وغيرهـا. ومـن هنا، ارتبطت ثـورة 25 يناير لدى مناصريها ومنتقديها بمجموعة من الصور والرموز لأشخاص وأماكن وسلوكيات بوصفها تلخيصًا للموقف من الثورة واستدلالًا على سلامته. وقد كانت الصورة الشهيرة الخاصة بشهداء الثورة والتي ذُيّلت بعبارة: "الورد اللي فتح في جناين مصر" (الأزهار التي أينعت في حدائق مصر) أكثر الصور تداولًا بين مؤيدي الثورة (ينظر الصورة 8)، وصورة المتظاهرين الصامدين أمام قوات الأمن على كوبري قصر النيل المشهور في ميدان التحرير بالقاهرة (ينظر الصورة 9). وجاءت صور اعتصام ميدان التحرير على قمّة الرموز المستخدمة (ينظر الصورة 10). وحرص فريق آخر على تداول صور الشباب الذين كانوا ينظّفون الميدان، في إشارة إلى حرصهم على سلامة الممتلكات الوطنية (ينظر الصورة 11).

أمّا منتقدو 25 يناير، فاستخدموا مجموعة أخرى من الصور والرموز، شملت مبانيَ وشخصيات وأحداثًا بعينها. فمن الصور المتداولة لديهم تلك الخاصة بحرق المجمع العلمي المصري أثناء أحـداث محمد محمود في تشرين الثاني/ نوفمبر 2011 وسط تجمّع من المتظاهرين (ينظر الصورة 12)، وذلك للتأكيد على فكرة أن ثوار 25 يناير كانوا يمارسون العنف والحرق والتدمير، لا البناء والإصلاح. واستخدمت أيضًا صور بعض من شباب الثورة من الذكور والإنـاث وهم معتصمون معًا في الميدان يفترشون الأرض بهدف التشكيك في أخلاقهم والتنفير منهم (ينظر الصورة 13). وعمد مناوئو 25 يناير أيضًا إلى استخدام رموز أخرى من الأفراد على رأسهم شهداء الشرطة. وأعاد آخرون نشر بعض صور المظاهرات المعروفة بـ "جمعة الشرعية والشريعة" – والمشهورة إعلاميًا بـ "جمعة قندهار" (29 تموز/ يوليو 2012) للتنفير من الثورة (ينظر الصورة 14). في حين اتّخذ آخرون من صور مظاهرات 30 حزيران/ يونيو شعارًا ورمزًا لهم، مصحوبة في كثير من الأحيان بصورة الرئيس السيسي ومكتوب عليها "تحيا مصر[99] ... ثورتنا 30 يونيو" (ينظر الصورة 15). وتداول آخرون ملصقات عن رجال الجيش ودورهم في حماية الأمن والأمان في البلاد.

4. الموقـــف مـــن الحـــدث: التعاطف في مقابل الشماتة

تكشف التعليقات المشتركة في الوسوم ما سبق عرضُه بشأن ارتباط شبكة الإنترنت بزيادة حدّة التعبير عن الغضب، وما يرتبط بذلك من تزايد في الاستقطاب. فقد عكست تعليقات المشاركين مجموعة من

99 وهي عبارة تقليدية أصبحت الآن شعارًا مرتبطًا ارتباطًا أساسيًا بمشروعات نظام حكم السيسي في مصر.

المشاعر التي راوحت بين التعاطف والعتاب والشماتة. وقد ترحّم كثيرون على شهداء الثورة، معتبرين إياهم "أنقى وأنظف شباب أنجبتهم مصر"، الذين أبوا "الموت إلا شرفًا". وحملت بعض المشاركات قدرًا من العتاب والألم أو حتى الحنق على المجتمع عمومًا الذي تخلى عن الثورة وأدار ظهره لها، ومن ثم لم يستحقها. في المقابل، عبّر معارضو 25 يناير عن عدم التعاطف مع أيّ من المشاركين في الثورة، بل احتفوا بموتهم أو إهانتهم أو سجنهم.

وتكشف التعليقات عن مجموعة من قيم أفراد المجتمع وتوجّهاتهم بعضهم تجاه بعض، فضلًا عن تطوّر حالة استقطاب الجماعة العاطفي بشقيها: معاداة الخصوم السياسيين، ونزع صفة الإنسانية عنهم. من ناحية، حاول مؤيدو الثورة إضفاء طابعٍ من المثالية على ثوّار 25 يناير، وظهر، من ناحية أخرى، عدم الثقة حتى بين مؤيدي الثورة والمشاركين فيها، وعلى رأسهم ناشطون في جماعة الإخوان المسلمين. وكذلك ألصق مؤيدو الثورة بأصحاب الوسم المضاد أوصافًا منها: "العبودية للعسكر" و"الـجبن"، و"الغباء". ولم يقتصر عدم الثقة على جماعات الأفراد، بل امتدّ – وربما زاد – تجاه مؤسسات الحكم والماسكين بزمامه. على سبيل المثال، انتشر استخدام كلمة "عصابة" للإشارة إلى نظامَي ما قبل 2011 وما بعد 2013 للإشارة إلى طبيعتهما الواحدة.

أما مناوئو الثورة، فقد ألصقوا بمؤيدي الثورة عدة صفات، أبرزها الخيانة؛ فشباب الثورة ظهر أنهم "خونة ومأجورون وممولون". واستخدم كثير من المشاركين تعبير "خرفان" (خِراف) الذي انتشر في مصر أثناء حكم الرئيس محمد مرسي للإشارة إلى جماعة الإخوان المسلمين، واختصّها تحديدًا بعضهم بتهم الخيانة والغدر والنفاق والإرهـاب. وسلّط فريق آخر الضوء على بعض من رموز الثورة، مصوّرًا إياهم بالأفاعي دلالةً على الشر والمكر.

5. ذاكـــرة الحـــدث: التعتيم فـــي مقابل التذكير

راوحت مواقف المشاركين في الحديث عن ذكرى ثورة 25 يناير بين النسيان/ التناسي، والتسفيه، والتذكّر (مقاومة النسيان). وتوضح المشاركات تبنّي كل فرد نسخته عن الواقع وربما الماضي أيضًا. ويتوافق هذا الموقف مع فكرة أن الذاكرة الجمعية هي بناء اجتماعي - سياسي، بمعنى أنها ليست دليلًا على أصالة الماضي المشترك، بل نسخة عن الماضي اختارت جماعةٌ ما (أو فواعل محددة في الجماعة) أن تتذكّرها من أجل تحقيق أهدافها وخدمة تصوّرها عن نفسها وعن الآخر. فمن ناحية، تناسى الكثير من مناوئي الثورة الحدث تمامًا معتبرين أن يوم 25 كانون الثاني/ يناير إنما هو "عيد الشرطة المصرية فقط"، مكتفين بتوجيه التهاني إلى جهاز الشرطة (ينظر الصورة 16).

على الجانب الآخر، ارتبطت عملية التذكّر عند الكثيرين بمقاومة محاولات القضاء على ذكرى الثورة أو تهميشها، فقد حرص البعض على التأكيد على ضرورة بقاء ذاكرة الثورة حيّة. وأخذ آخرون خطوةً أبعد بمحاولة توثيق أحداث الثورة "حفاظًا على التاريخ الذي يسعى أعداء الثورة لتشويهه". وقد مثّلت ذكرى الثورة لدى البعض مناسبة مهمّة للتذكير بالمعتقلين وبالأهداف التي قامت من أجلها، والتي يجب العمل على استمرار تحقيقها.

خاتمة

مثّلت الثقافة السياسية أحد المداخل المهمة في دراسة الانتقال إلى الديمقراطية وترسيخها. بيد أن المقاربات السلوكية للثقافة السياسية أهملت البعد التاريخي في التحليل إهمالًا كبيرًا. ولهذا السبب، يُعدّ الاهتمام بالذاكرة الجمعية بمنزلة ردّ اعتبار لهذا البعد في التنظير. ويرتبط ذلك بتوسيع مفهوم الثقافة السياسية، بحيث لا يقتصر على المعرفة والتوجّهات والسلوك، بل يتّسع ليشمل المعاني والرموز والروايات التي تحملها الحياة السياسية بوجه عام، والتي تجيب في النهاية عن سؤال: كيف يعيش الأفراد ويتفاعلون بعضهم مع بعض ومع الدولة؟

وفي حين كانت علاقات القوة في المجتمع تميل إلى صالح الدولة والنخبة الحاكمة في التأثير في الثقافة السياسية والتحكّم بدرجة كبيرة في عملية التذكّر والنسيان من خلال عمليات التنشئة السياسية، فرض تطوّر شبكة الإنترنت كثيرًا من التحديات على هذا النموذج. فقد أدّت- أكثر ربما من أيّ تطوّر تكنولوجي سابق عليها – إلى تدفق المعلومات على نحو غير مسبوق، وهو الأمر الذي من شأنه أن يُضعف دور الدولة والنخبة الحاكمة في احتكار تشكيل الثقافة السياسية والذاكرة الجمعية، فتغيّرت آليات التذكّر والنسيان في المجتمع وأصبحت خـارج نطاق الدولة التحكّمي.

لا يعني هذا بالضرورة أن كل الآثار المترتبة على هذا التغيّر يجب – أو يُتوقّع – أن تكون إيجابية. فكما يمكن أن تفتح شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي آفاقًا جديدة للمشاركة ونشر الوعي والتفاعل والحوار العقلاني، وحفظ ذاكرة الأحداث والتطوّرات التي يشهدها المجتمع من ناحية، فإنها قد تسهم من ناحية أخرى في زيادة الاستقطاب السياسي والاجتماعي، وزيادة

معدلات عدم قبول الآخر من خلال انضمام كل فرد إلى المجموعات الافتراضية الأكثر تعبيرًا عن رأيه وتوجّهاته، والتي ترسّخ معتقداته عوضًا عن تمكينه من مساءلتها مساءلة نقدية. ويُعدّ ذلك في حد ذاته أحد المعوقات الأساسية لأيّ انتقال ناجح إلى الديمقراطية أو ترسيخ لها. وقد يؤدّي توثيق الأحداث وتذكّرها على نحو مستمر أيضًا إلى إضعاف ثقافة التسامح والمصالحة، وهو الأمر الذي قد يخلق ثقافة سياسية تزيد من تحدّيات الانتقال الديمقراطي وتصعّب الوصول إلى توافقات بخصوص العدالة الانتقالية، لا سيّما حين تُمسي عملية التذكّر موضوعًا للتلاعب والتوظيف السياسي. ويـزداد الأمر سوءًا مع سهولة نشر الأخبار الزائفة وانتشار الصور النمطية عن مختلف الفاعلين السياسيين، وتداول مثل هذه الأمور في الفقاعات الافتراضية التي يخلقها الفاعلون السياسيون والمجتمعيون.

تكشف حالة تذكّر ثورة 25 يناير المصرية على شبكة الإنترنت كثيرًا من الأبعاد المتعلقة بالآثار المتشابكة – بل المتناقضة – لأثر الإنترنـت في الذاكرة الجمعية والثقافة السياسية. فعلى الرغم من كل محاولات التهميش والتشويه التي تعرّضت لها الثورة، أتاحت شبكة الإنترنت الحفاظ على ذكرها بوصفها تأصيلًا لثقافة رفض القمع والظلم والاستبداد والمهانة، وتأكيدًا على قيم الكرامة والمشاركة والمحاسبية. وقد أفسح هذا الأمر المجال أمام روايات تنافس الرواية الرسمية، بل تناقضها، وسمح بتعددية الروايات على المستوى الشعبي نفسه. وفتحت ثورة الاتصالات مجالات أخرى للتعبير والمشاركة في ظلّ التضييق على القنوات الرسمية وسياسة الشارع عمومًا بعد أحداث عام 2013. بيد أنها أدّت أيضًا إلى تغذية مناخ الاستقطاب والغضب العاطفي وتعزيز مشاعر الانقسام وعدم الثقة بين الأفراد. وقد عكست المشاركات في الوسوم المختلفة سمات ما يُعرف بـ "استقطاب الجماعة العاطفي" المتمثلة في العداوة والكراهية تجاه الجماعات المختلفة سياسيًا، وحتى نفي صفة الإنسانية عنها، وهو ما ترتبت عليه أنماط سلوكية اتّسمت بالعدوانية والتحقير من شأن الآخر بما يكرّس الانقسام المجتمعي ويقوّض فرص المصالحة المستقبلية. وهكذا، أضحت ذكرى ثورة 25 يناير مفرِّقة لا مجمِّعة، ومصدرًا للانقسام لا القوة والوحدة في مقاومة القمع والاستبداد.

يفرض نموذج شبكة الإنترنـت الآن على الشعوب المتطلّعة إلى الديمقراطية والحرية الوقوف أولًا أمام اختبار الذاكرة الجمعية لنسيان أحقاد الماضي. بيد أن المفارقة هي أنها تحتاج في الوقت نفسه إلى تذكّر الممارسـات الأليمة كي تعمل على منع تكرارها، وإلى تذكّر التجارب الفاشلة كي تتعلّم منها. فتحديد المسؤولية الرمزية والتاريخية عن الممارسات السلطوية البائدة يُعدّ جزءًا لا يتجزأ من الثورة ومن عملية ترسيخ ثقافة الديمقراطية. ومن دون التوافق على رواية محددة عن الماضي تُنصف من تعرّضوا للظلم والقهر والعدوان، وتُرسّخ لقيم سياسية جديدة، ستظل الروايات المتنافسة والمتناقضة عن تلك الأحداث في الفضاءات الافتراضية تغذّي ثقافة الاستقطاب وغياب الثقة، وهو الوضع الذي يصعب معه تخيّل تطوّر ثقافة حاضنة لأيّ حوار مجتمعي جادّ أو انتقال ديمقراطي حقيقي.

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

سوكاح، زهير. "السياسة والذاكرة الجمعية: علاقة تنافر أم تجاذب؟". **مجلة الناقد للدراسات السياسية.** العدد 1 (تشرين الأول/ أكتوبر 2017).

_____. "مقدمة المحرر الضيف للعدد: عدد خاص، من 'الذاكرة' إلى 'دراسات الذاكرة'". **تبين.** مج 9، العدد 33 (2020).

_____. "حقل 'دراسات الذاكرة' في العلوم الإنسانية والاجتماعية: حضور غربي وقصور عربي". **أسطور.** مج 6، العدد 11 (2020).

عبد المجيد، محمد سعيد وممدوح عبد الواحد محمد الحيطي، "الشبكات الاجتماعية الإلكترونية والثقافة السياسية للشباب الجامعي: دراسة ميدانية". **حوليات آداب عين شمس.** مج 43 (2015).

ريكور، بول. **الذاكرة، التاريخ، النسيان.** ترجمة جورج زيناتي. طرابلس: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.

الأجنبية

Adams, William. "Politics and the Archeology of Meaning: A Review Essay." *Western Political Quarterly*. vol. 39, no. 3 (1986).

Almond, Gabriel & Sidney Verba, *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations*. Princeton: Princeton University Press, 1963.

Allcott, Hunt & Matthew Gentzkow. "Social Media and Fake News in the 2016 Election." *Journal of Economic Perspectives*. vol. 31, no. 2 (2017).

Andreeva, Marija. "(Re)shaping Political Culture and Participation through Social Networks." *Journal of Liberty and International Affairs*. vol. 5, no. 2 (2019).

Assmann, Jan & John Czaplicka. "Collective Memory and Cultural Identity." *New German Critique*. no. 56 (1995).

Beissinger, Mark. "Conventional and 'Virtual' Civil Societies in Autocratic Regimes." *Comparative Politics*. vol. 49, no. 3 (2017).

Carpenter, Jordan et al. "Political Polarization and Moral Outrage and Social Media." *Connecticut Law Review*. vol. 52, no. 3 (2021).

Curry, Jane L. "When an Authoritarian State Victimizes the Nation: Transitional Justice, Collective Memory, and Political Divides." *International Journal of Sociology*. vol. 37, no. 1 (2007).

Dazzo, Giovanni. "Exploring the Role of Collective Memory for Reconciliation: A Comparative Case of Guatemala and Cambodia." *Beyond Intractability* (May 2020). at: https://bit.ly/3SyG5d1

Eckstein, Harry. "A Culturalist Theory of Political Change." *The American Political Science Review*. vol. 82, no. 3 (1988).

Edy, Jil A., *Troubled Pasts: News and the Collective Memory of Social Unrest*. Philadelphia: Temple University Press, 2006.

Erll, Herausgegeben von Astrid & Ansgar Nünning (eds.). *Media and Cultural Memory*. Berlin: Walter de Gruyter GmbH & Co., 2008.

Formisano, Roland. "The Concept of Political Culture." *The Journal of Interdisciplinary History*. vol. 31, no. 3 (2001).

García-Gavilanes, Ruth et al. "The Memory Remains: Understanding Collective Memory in the Digital Age." *Science Advances*. vol. 3, no. 4 (2017).

Halbwachs, Maurice. *On Collective Memory*. Lewis A. Coser (trans.). Chicago: The University of Chicago Press, 1992.

Hellmann, Olli. "The Dictator's Screenplay: Collective Memory Narratives and the Legitimacy of Communist Rule in East Asia." *Democratization*. vol. 28, no. 4 (2021).

Somers, Margaret R. "What's Political or Cultural about Political Culture and the Public Sphere? Toward an Historical Sociology of Concept Formation." *Sociological Theory*. vol. 13, no. 2 (1995).

Young, James. *Texture of Memory: Holocaust Memorials and Meaning*. New Haven: Yale University Press, 1993.

Zhao, Hui & Jun Liu. "Social Media and Collective Remembrance: The Debate over China's Great Famine on Weibo." *China Perspectives* (January 2015). at: https://bit.ly/3OHgGvr

Zhou, Dong, Weiguang Deng & Xiaoyu Wu. "Impacts of Internet Use on Political Trust: New Evidence from China." *Emerging Markets Finance and Trade*. vol. 56, no. 14 (2020).

Hibbing, Matthew V., Matthew Hayes & Raman Deol. "Nostalgia isn't what it Used to be: Partisan Polarization in Views on the Past." *Social Science Quarterly*. vol. 98, no. 1 (2017).

Hirst, William & Allin Coman. "Building a Collective Memory: The Case for Collective Forgetting." *Current Opinion in Phycology*. vol. 23 (October 2018).

Huhe, Narisong, Min Tang & Jie Chen. "Creating Democratic Citizens: Political Effects of the Internet in China." *Political Research Quarterly*. vol. 71, no. 4 (2018).

Inglehart, Ronald. "The Renaissance of Political Culture." *The American Political Science Review*. vol. 82, no. 4 (1988).

Kappmeier, Mariska & Aurélie Mercy. "The Long Road from Cold War to Warm Peace: Building Shared Collective Memory Through Trust." *Journal of Social and Political Psychology*. vol. 7, no. 1 (2019).

Laitin, David D. & Aaron Wildavsky. "Political Culture and Political Preferences." *The American Political Science Review*. vol. 82, no. 2 (1988).

Langenbacher, Eric & Yossi Shain (eds.). *Power and the Past: Collective Memory and International Relation*. Washington, DC: George Town University Press, 2010.

Lynch, Marc. "How the Media Trashed the Transitions." *Journal of Democracy*. vol. 26, no. 4 (2015).

Neiger, Motti, Oren Meyers & Eyal Zandberg (eds.). *On Media Memory: Collective Memory in a New Media Age*. Basingstoke, UK: Palgrave Macmillan, 2011.

Pirani, Bianca. (ed.). *Learning from Memory: Body, Memory and Technology*. New Castle: Cambridge Scholars Publishing, 2011.

Rosenbaum, Walter. *Political Culture*. New York: Prager, 1975.

ملحق لبعض الصور المستخدمة في الوسوم

الصورة (1)

المصدر: صفحة "أنا_شاركت_في_ثورة_يناير"، فيسبوك، 2016/1/17، شوهد في 2023/3/23، في: https://bit.ly/49K1DJi

الصورة (2)

المصدر:
Sharif elgendi, X, 18/1/2016, accessed on 23/3/2023, at: https://bit.ly/3IgdBPu

الصورة (3)

المصدر:
Queen Shery, X, 17/1/2016, accessed on 23/3/2023, at: https://bit.ly/3SM6we0

الصورة (4)

المصدر:
Belal, X, 17/1/2016, accessed on 23/3/2023, at: https://bit.ly/49vNAHE

الصورة (5)

المصدر: مصرية، إكس، 2017/1/25، شوهد في 2023/3/23، في:
https://bit.ly/3UVj2ux

الصورة (6)

المصدر:
Se7s, X, 25/1/2017, accessed on 23/3/2023, at: https://bit.ly/49RKmhl

الصورة (7)

المصدر:
Joker, X, January 25/1/2017, accessed on 23/3/2023, at:
https://bit.ly/3Tbpv3i

الصورة (8)

المصدر: ناير عبد الله، إكس، 2017/1/25، شوهد في 2023/3/23، في:
https://bit.ly/3UUgblG

الصورة (9)

المصدر: عائشة، إكس، 2019/1/25، شوهد في 2023/3/23، في:
https://bit.ly/3TedwC8

الصورة (10)

المصدر:
Dr. Mona Kassem, X, 18/1/2016, accessed on 23/3/2023, at:
https://bit.ly/48uMfzK

الصورة (11)

المصدر:
Nanyyy, X, 18/1/2016, accessed on 23/3/2023, at: https://bit.ly/3SSMcIa

الصورة (12)

المصدر: مصرية، إكس، 2016/1/18، شوهد في 2023/3/23، في:
https://bit.ly/3wpAGMI

الصورة (13)

المصدر:
Zizi Saleh, X, 18/1/2016, accessed on 23/3/2023, at:
https://bit.ly/49uqIs3

الصورة (14)

المصدر: د. شيماء علام، إكس، 2016/1/17، شوهد في 2023/3/23، في:
https://bit.ly/49ueY94

صـدر حديـثًا

تـأليف: شادي سمير عويضة

استراتيجية الغاز الأميركية – الإسرائيلية في شرق البحر المتوسط

يندرج كتاب **استراتيجية الغاز الأميركية – الإسرائيلية في شرق البحر المتوسط** ضمن سلسلة "أطروحات الدكتوراه" التي تبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. يشتمل الكتاب على خمسة فصول تتمحور مواضيعها حول علاقة اكتشاف الغاز في منطقة شرق البحر المتوسط بالاستراتيجية الأميركية – الإسرائيلية في الشرق الأوسط وتأثيره فيها، وهو من تأليف شادي سمير عويضة، ويقع في 328 صفحة، شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًا.

المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/KTCG6711
القبول Accepted
2023-5-13
التعديل Revised
2023-1-24
التسلم Received
2022-8-15

هاني موسى | Hani Mousa*

القبلية والجهوية وتعثّر بناء الدولة الحديثة في ليبيا

Tribalism, Regionalism, and the Stumbled Building of the Modern State in Libya

تأتي هذه الدراسة ضمن سياق البحث في أزمة بناء الدولة العربية عمومًا، وليبيا على نحو خاص، التي تعاني منذ بدء ثورات الربيع العربي (2011) انسدادًا سياسيًا واحترابًا داخليًا وتعثّرات في التسويات بين مكوّنات الفضاء السياسي، تتغير صعودًا وهبوطًا، من دون أن تنجح في استكمال بناء الدولة وتكوين نظام سياسي جامع، أو إنتاج هوية وطنية موحدة. وتحاول هذه الدراسة البحث في معوّقات استكمال بناء الدولة الحديثة في ليبيا، وتحديد مدى تأثير العامل الجهوي ودراسة موقع القبيلة في عرقلة بنائها. وتنطلق من فرضية أساسية، مفادها أن ليبيا تعثّرت، ولم تسلك مسارًا تدريجيًا في تكوين الدولة الحديثة، ولم تجتز مراحل التحوّل السياسي اللازمة لذلك؛ ما جعلها تبقى حبيسة ولاءات ضيّقة تقطع الطريق على تعزيز الانتماء للدولة. وتخلص إلى أن مسار بناء الدولة المتعثّر، ارتبط بمحددات قبلية وجهوية تقاطعت مع عوامل خارجية.

كلمات مفتاحية: ليبيا، السلطوية، بناء الدولة، القبلية، الجهوية.

This study is about the state-building impasse in the Arab World in General, and in Libya in particular. These states have suffered, since the beginning of the Arab Spring, from lack of political prospects, eruptions of civil wars, and obstacles of political settlements among different actors in the public space. These elements have inhibited the achievement of state building, the formation of a pluralist political system and the realization of an integrated national identity. This study endeavors to analyze the obstacles that have obstructed state-building in Libya until now. It focuses on tribalism and regionalism as main obstacles to that process. In addition, it analyzes the role of external factors and actors in the light of tribalism and regionalism. It argues that state-building in Libya has stumbled and has not followed a gradual path of modern state-building and formation, and it has not gone through the necessary stages of political transition. The former has trapped Libya within narrow loyalties which are short of the wider loyalties necessary for the national state.

Keywords: Libya, Authoritarianism, State-building, Tribalism, Regionalism.

* أستاذ مساعد، دائرة العلوم السياسية، جامعة بيرزيت، فلسطين.

Assistant Professor of Political Science, Birzeit University, Palestine.
Email: hmmousa@birzeit.edu

مقدمة

تنطلق هذه الدراسة، في تناولها موضوع تعثّر بناء الدولة الحديثة[1] في ليبيا، من الواقع الراهن الممتد منذ عام 2011؛ جغرافيًا وسياسيًا وأمنيًا، الذي يُشكل امتدادًا للتكوين الاجتماعي والتقسيم الجهوي. فقد شهدت الوحدة السياسية الليبية، تاريخيًا، مسارات صعبة وانتكاسات عدة، حدّت من القدرة على بناء دولة وطنية تتمكّن من فرض سيادتها على كامل إقليمها وشعبها، ومواجهة التحديات في علاقاتها الداخلية والخارجية، على حد سواء. فما تشهده ليبيا في الوقت الراهن من صراعات وانقسامات داخلية وحرب أهلية وتدخّلات خارجية إقليمية ودولية، يعكس عمق الأزمة التي باتت تُهدّد وحدة الدولة الليبية وسلامة أراضيها.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من محاولتها تأصيل أزمة بناء الدولة الليبية الحديثة والوقوف على إرهاصاتها ومعوّقاتها وأهم تجلياتها. كما تنبع أهميتها من محدودية الدراسات التي تناولت الموضوع بالتحليل المطلوب، وهو ما قد يُشكل مدخلًا للباحثين في الشأن الليبي، لفهم المحددات البنيوية والسياق التأسيسي للأزمة الراهنة وإضاءة للنخبة السياسية الليبية، خاصةً في ظل صعود حالة الانسداد السياسي في البلاد وهبوطها. فالدولة تعثّرت، وقد يكون ذلك مرتبطًا بعدم ترسّخ مفهومها وكيانها عند الليبيين، نظرًا إلى وجود انتماءات قبلية وجهوية ضيّقة تقطع الطريق على الانتماء للدولة.

تتميز هذه الدراسة باحتوائها على مفاهيم سياسية واجتماعية عابرة للتخصصات؛ إذ لم تقتصر على تناول الأبعاد الاجتماعية للقبلية والجهوية فحسب، وإنما تناولت أبعادهما السياسية أيضًا. وتضيف بُعدَين على الدراسات السابقة: **الأول**، أن تلك الدراسات لم تُعالج على نحو مُعمّق تجربة ليبيا بعد اندلاع ثورات الربيع العربي، التي لا تزال الدراسات بشأنها محدودة. **والثاني**، أن هذه الدراسة تركز على أثر العوامل الاجتماعية في الأبعاد السياسية، فهي لا تتعامل مع القبلية والجهوية من منطلق القالب التقليدي الجامد، بل على أنهما مساحات من الفعل الدينامي المتحرك والمنتج آثارًا سياسية. ويسمح هذان البعدان بالإسهام في تحديد دور كل من العامل الجهوي والقبلي في تعثّر بناء الدولة الحديثة في ليبيا. ويتم ذلك عبر تحليل موقع العاملين على طول خط سير التكوينات السياسية، وعلى تتابع الحقب السياسية المختلفة. وقد يُساعد ذلك في تحقيق الهدف الرئيس لهذه الدراسة، المتمثل في البحث في معوّقات استكمال بناء الدولة الحديثة في ليبيا.

سارت الدراسات السابقة بمسارات مختلفة؛ فذهب بعضها بمسار تاريخي في تناوله الحالة الليبية، مثل دراسة علي احميدة[2]. وذهب بعضها الآخر بمسار شمولي عام، لم تمنح فيه الحالة الليبية حقّها بالتحليل المطلوب، ولا سيّما في فترة ما بعد معمر القذافي (1969-2011)، مثل دراسة عبد الإله بلقزيز[3]. في حين حاول بعض الدراسات التأطير نظريًا لحالة الدولة العربية، مثل دراسة برهان غليون[4]. وهناك دراسات أخذت المنحى الوصفي في البحث بالشأن الليبي، مثل دراسة محمد الشيخ[5]. في المجمل، لم تأخذ الدراسات السابقة المسار التحليلي لتطور العلاقة بين القبيلة والدولة من جهة، وخصوصية الجهوية في السياق الليبي من جهة أخرى.

وبناءً على ما يكتنف الحالة الليبية اليوم من احتراب داخلي وتفكك يعتري مفاصل الدولة كلها، يتمحور النقاش في هذه الدراسة حول إشكالية رئيسة، تتعلق ببحث أثر عاملَي القبلية والجهوية في إخفاق تكوّن الدولة الليبية الحديثة، ويتفرع من ذلك التساؤلات الآتية: ما خريطة التكوين الجهوي في ليبيا؟ وكيف أثرت البنية الاجتماعية الليبية في تكوين الثقافة السياسية؟ وكيف أسهمت الثقافة السياسية السائدة في ليبيا بتعثّر بناء الدولة الحديثة؟ ولماذا لم تتمكّن ليبيا من تجاوز القبلية والجهوية في بناء دولتها الحديثة؟

تنطلق الدراسة في معالجة هذه الإشكالية من فرضية أساسية، مفادها أن عدم نجاح الدولة الليبية، منذ نشأتها الحديثة، في تفتيت الهوية القبلية والولاءات الجهوية المتحكمة في مفاصل حياة المجتمع الليبي، حال دون تمكّنها من توليد هوية وطنية جامعة، تصهر الليبيين في مواطنةٍ مُوحِّدة وجامعة؛ ما أضعف البنيان الدولاني، وحال دون ترسيخ الدعائم والأركان الضرورية لبناء الدولة الليبية الحديثة. فقد استمرت الهويات الفرعية، القبلية والجهوية، بثقافتيها

1 تجدر الإشارة إلى أن الدولة الحديثة بُنيت على أساس أن تكون دولة أمة. تُمارس السيادة على كامل إقليمها وشعبها، وتتّسم بالتجانس وانفتاح مكوّناتها بعضها على بعض. ظهرت الدولة الحديثة بعد مؤتمر وستفاليا في عام 1648، ومنذ ذلك الحين، تطوّرت هياكلها تدريجيًا، حتى باتت في الوقت الراهن ترتكز في شرعيتها على منظومة من المؤسسات المنتخبة ديمقراطيًا. تدير المجتمع بأدوات وقواعد قانونية وبنى مؤسسية حديثة، بعيدة عن الاعتبارات الضيقة، الشخصية والعرقية والجهوية والطائفية، حفاظًا على التعددية والتعايش السلمي بين مختلف مكوّناتها المجتمعية. يراجع: ياسر أبو حسن، "الدولة القومية الحديثة الراشدة: المفاهيم والمعايير والمتطلبات"، **مجلة دراسات مجتمعية**، العدد 15 (حزيران/ يونيو 2016)، ص 105.

2 علي عبد اللطيف احميدة، "دولة ما بعد الاستعمار والتحوّلات الاجتماعية في ليبيا"، **تبين**، مج 1، العدد 1 (آب/ أغسطس 2012)، ص 165-180.

3 عبد الإله بلقزيز، "مشكلات ما بعد سقوط نظام القذافي"، **المستقبل العربي**، السنة 34، العدد 393 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2011)، ص 119-121.

4 للمزيد يُنظر: برهان غليون، **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 35-46.

5 محمد عبد الحفيظ الشيخ، "ليبيا بين الصراع السياسي والصراع المسلح: التحديات والآفاق"، **مجلة دراسات شرق أوسطية**، مج 19، العدد 71 (2015)، ص 13-39.

السياسية والاجتماعية المفككة، مهيمنة على فكرة الهوية الوطنية الجامعة؛ ما أبقى البلاد حبيسة أزمة داخلية مزمنة، أُجّجت بتدخلاتٍ خارجية مركّبة.

تحاول الدراسة تفسير تعثّر بناء الدولة الحديثة في ليبيا من خلال المنهجين: الوصفي التحليلي الذي يُساعد في فهم الواقع الليبي، سياسيًا واجتماعيًا، والمنهج التاريخي الذي يُمكّن من الرجوع إلى أبرز الوقائع والأحداث التاريخية، لتوضيح إرهاصات مسار الأزمة وتطوّرها، والتعرّف إلى مكوّناتها الاجتماعية والسياسية. إلى جانب ذلك، تطلّبت الدراسة إحالات منهجية مركبة، من خلال الاستناد إلى مداخل منهجية بنائية وظيفية، على مستوى قراءة تحوّلات المركبات موضع الدراسة، مثل القبلية والجهوية والبنى السياسية، ومحاولة تحليل العلاقة والتفاعلات بين هذه الفواعل.

ومن أجل تأصيل الموضوع المبحوث، تطرح الدراسة مدخلًا نظريًا حول الدولة، قد يُساعد في تفسير حالة التعثر التي تشهدها ليبيا في الوقت الراهن وتحليلها. فقد تشكّلت الدولة الحديثة بعد معاهدة وستفاليا في عام 1648، بوصفها وحدة سياسية مرتكزة على مؤسسات عامة، إدارية وقانونية وسياسية وأمنية، تمارس من خلالها السيادة على مجموعة من الأفراد ضمن حيّز جغرافي مُحدّد، وتحتكر العنف المشرّع قانونًا في إدارة المجتمع ضمن هذا النطاق. وقد خلقت المؤسسات العامة تحوّلًا في بنية الدولة ودورها، مقارنة بالبنى التقليدية السابقة. نظريًا، تحظى الدولة بالشرعية من خلال التعاقد مع الأفراد، تتولّى بموجبه إدارة الشؤون العامة للمجتمع، من خلال اشتراع منظومة من القوانين التي يضمن تنفيذها استتباب الأمن الداخلي، إضافة إلى تأمين الحماية من الأخطار الخارجية. ومن المفترض أن تقف الدولة على مسافة واحدة من أفراد المجتمع، بغض النظر عن ماهية تجانس تركيبتهم من النواحي العرقية واللغوية والدينية[6].

هناك اتجاهان بارزان يفسران تكوين الدولة؛ يربط **الأول** نشأتها بالتطور الطبيعي والتدريجي للبنى الاجتماعية، ويرى أن تكوينها جاء تلقائيًا نتيجة التفاعلات المجتمعية الطبيعية. فالمجتمع وفقًا لهذا الاتجاه تكوّن تاريخيًا بعملية انتقال تدريجية، بدأت بوحدة صغيرة، تتمثل في الفرد، ثم تطوّرت وظهرت وحدات أخرى مثل الأسرة والعائلة والقبيلة. ومع تراكم الانتقال، نشأت وحدات أكثر تعقيدًا، مثل القرى والمدن، حتى وصل المجتمع في ذروة هذا المسار إلى تكوين الدولة بصيغتها الحديثة[7].

أما الاتجاه **الثاني**، فيرى أن تكوينها جاء اصطناعيًا، نتيجة، إما تفاعلات داخلية، وإما تأثيرات خارجية، دفعت بالأفراد والمجتمع، طوعًا أو قصرًا، إلى إقامة الدولة. نشأت الدولة في الحالة **الأولى** الناجمة عن تفاعلات داخلية من خلال عقد اجتماعي إرادي، رسمَ علاقات الفواعل الاجتماعية البينية، ونقل الأفراد من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية. وجاء هذا التعاقد بشكلين: إما جزئيًا، يمكّن الأفراد والمجتمع من استرداده وتعديله، وهنا تكون الدولة مقيّدة، وإما تعاقدًا شموليًا كاملًا، يُعطي الدولة سلطة مطلقة في إدارة المجتمع، على نحو يخلو من التقييد[8]. أما الحالة **الثانية** لتشكُّل الدولة اصطناعيًا، فحديثة نسبيًا، جاءت مرتبطة بالظاهرة الاستعمارية التي برزت في القرنين التاسع عشر والعشرين. في هذه الحالة، التي تشمل تكوُّن الدول العربية، فرض المستعمر نموذج الدولة القطرية على مجتمعات، من دون مراعاة خصوصية سياقاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن دون أن يترك لها حرية اختيار نُظمها السياسية والإدارية، وتحديد من يحكم، وكيف يحكم، ولمصلحة من يحكم[9]. وبناءً عليه، فإن السياق الذي جاءت فيه الدولة في القارة الأوروبية، يختلف عن السياق الذي نشأت فيه الدولة في المنطقة العربية، فالأزمات البنيوية التي تعانيها الأخيرة، تعود، في جزءٍ منها، إلى سياق نشأتها غير الطبيعية، لما كان للاستعمار من أثر بارز في مسار تكوينها، وفي تشكيل علاقتها مع مجتمعاتها[10].

بتفاوتات، فشلت الدولة القطرية العربية عمومًا، في بناء هوية وطنية جامعة، ضمن الحدود الجغرافية التي رسمها المستعمر؛ ما أبقى ارتباط الأفراد بالولاءات والهويات الفرعية الضيقة، المناطقية والجهوية والقبلية، قويًا ووثيقًا، وجاء مستقطِعًا من حساب الهوية الوطنية العامة. كما فاقم نهج السلطوية في السياق العربي، الذي أدّى إلى تهميش المجتمع وعرقل مراكمة ثقافة سياسية جامعة؛ ما أنتج فشلًا في رسم السياسات الاجتماعية والاقتصادية، وأدّى إلى عنف بنيوي في العلاقة بين النظام والمجتمع[11].

---

6 عادل مجاهد الشرجبي، "أزمة عجز الدولة وخطر انهيارها: حالة اليمن"، في: **أزمة الدولة في الوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مركز كارنيغي للشرق الأوسط والجمعية العربية للعلوم السياسية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص 126-128.

7 علي الجرباوي، **المعرفة، الأيديولوجية، والحضارة: محاولة لفهم التاريخ** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2021)، ص 85.

8 المرجع نفسه، ص 91، 95-96.

9 نزيه نصيف الأيوبي، **العرب ومشكلة الدولة** (بيروت: دار الساقي، 1992)، ص 27-29.

10 جمال خالد الفاضي، "مقاربة نظرية حول أزمة الدولة في المنطقة العربية"، **تسامح**، العدد 67 (كانون الأول/ ديسمبر 2019)، ص 47-48.

11 شفيع بومنيجل، "هوية الدولة والمسألة الديمقراطية في الوطن العربي"، في: **الدولة الوطنية المعاصرة: أزمة الاندماج والتفكيك**، تحرير أحمد عوض الرحمون (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص 91-93.

نظريًا، هناك عوامل عدة تؤثر سلبيًا في استقرار الدولة وإعادة تشكّلها، منها عامل الولاء، ويحدث ذلك عندما تكون ولاءات الأفراد لأطر ووحدات ضيقة، أقل من الدولة، قوية وسائدة. يبقى المجتمع في هذه الحالة غير منصهر، ومقسّمًا لمجموعات، ولاءاتها مفككة ومفتتة في بنى صغرى، مثل الولاء للقبيلة. كما يبرز إلى جانب مشكلة الولاء، عامل غياب التجانس، ويظهر ذلك عندما يكون إقليم الدولة غير متكامل، وغير منفتح بعضه على بعض، ويُعاني التفتت المجتمعي لجهويات منفصلة وبعيدة عن المركز، وتفتقر إلى الارتباط العضوي في ما بينها. وهذان العاملان هما الأكثر تأثيرًا في الحالة الليبية، ويشكلان عائقًا أمام تكوين دولة مواطنة حديثة[12]، فبناء دولة متماسكة، ومجتمع موحد لا يتطلّب وحدة حضارية ولغوية وثقافية فحسب، بل هنالك حاجة إلى وجود تواصل وترابط عضوي بين مختلف المكوّنات، من خلال بنية مؤسسية تخلق تفاعلًا اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا جامعًا، يتجاوز البنى القبلية والجهوية المفرِّقة[13]. وعلى الأغلب، أن هذا ما أخفقت به الدولة الليبية، حيث لم تحول حالة التفكك المجتمعي إلى تعددية إيجابية بنّاءة، ينصهر فيها ما وصفه عزمي بشارة بـ "الشروخ" الإثنية والطائفية[14]، إلى جانب القبلية والعشائرية التي تشكل عائقًا أمام نشوء مواطن فرد ومجتمع تعاقدي[15].

يمكن تعريف الأزمة[16] في سياق بناء الدولة بأنها اختلال وظيفي، أو حالة تتعثّر فيها مجريات الأحداث في الدولة، سواء في مسارها السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي أم الأمني، وقد تتداخل هذه المسارات الأربعة في تكوينها واستمرارها. وقد يؤدي هذا الاختلال إلى ضياع النمط الطبيعي، أو تشوّه الدور والسلوك الوظيفي للدولة، إضافة إلى إدخالها في حالة من عدم الاستقرار أو التعطل، ويصعب مع مرور الوقت تعديل مجراها ومسارها. وقد ترتبط الأزمة بعوامل داخلية أو خارجية، أو بالعاملين معًا، وقد تكون مادية أو معنوية، هيكلية أو بنيوية[17].

قد تواجه الدولة سلسلة أزمات تعرقل أي تنمية سياسية حقيقية فيها، أهمها أزمات الهوية والشرعية والتغلغل والتوزيع والمشاركة. وفي ما تأتي أزمة الهوية نتاجًا للفشل في خلق وعي جمعي مشترك بين الأفراد، تنبع أزمة الشرعية من تعطيل المشاركة السياسية وتكبيل التداول السلمي للسلطة واحتكارها. أما أزمة التغلغل، فتتمثل في عجز الدولة عن استيعاب مجتمعاتها المفككة وأقاليمها، خاصة البعيدة عن المركز، في المفاعيل المتعددة للتنمية. أما أزمة التوزيع، فترتبط بالقدرة على التغلغل، وهنا تشهد الدولة فشلًا سياساتيًا على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، مرتبطًا بانتقائية توزيع الموارد والاستثمار، الذي يستند إلى قواعد زبائنية ولائية بالعادة. في حين تأتي أزمة المشاركة مرتبطةً بالأزمات السابقة، ونابعة من احتكار السلطة، وتنتج من حرمان الأفراد وحواضنهم التمثيلية، خاصة الأحزاب، من المشاركة السياسية[18].

في ديناميات مواجهة أزمة الدولة الوطنية، شعبيًا ونخبويًا، قد تقف الأزمة عند الاحتجاجات على سياسات توزيع الموارد الحكومية، وقد تتصاعد وتصل إلى بنية الحكومة وتُفضي إلى تغييرها، وقد تصعد لتغيير النظام السياسي، وقد تتفاقم وتصل إلى استمرار الدولة بصفتها كيانًا ووحدة سياسية وجغرافية متماسكة، ولا سيّما في الحالات التي لا يكون فيها مسار بناء الدولة قد اكتمل[19]. ولعل ما يحصل في ليبيا حاليًا يمثّل أزمةً مركبةً على صعيد هذه المستويات كلها؛ إذ أسهمت عوامل عدة بتعقيد عملية بناء الدولة في ليبيا، وعلى الرغم من تشاركها بهذه العوامل مع عدد من دول المحيط العربية، فإنها حملت خصوصية ليبية فاقمت من أثرها، وهي عوامل ارتبطت جزئيًا، وفق ما يرى مصطفى التير، بتعثّر التحوّل نحو الحداثة في ليبيا، أهمها ذوبان شخصية الفرد في الجماعة، وليس المقصود هنا الجماعة الوطنية الجامعة، بل في الجماعات الفرعية التي عزّزها تخلّف التعليم، وكذلك ترييف المدينة وإفراغها من دورها في إنتاج الطبقة الوسطى، وطبيعة الاقتصاد الريعي الذي أنتج زبائنية وجماعات مصالح في الغالب، قبليّة[20].

12 من الجدير ذكره أن القبيلة وفق ما يرى عبد الله الغذامي تتّسم ببنية ثقافية تقليدية مغلقة، ما يعني أن أساس عصبيتها رابطة الدم والنسب، ويكون الولاء فيها للأشخاص، في حين أن أساس المواطنة هو القانون، ويكون الولاء فيها للدولة. للمزيد ينظر: عبد الله الغذامي، **القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة**، ط 2 (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009)، ص 229-230.

13 للمزيد ينظر: محمد جابر الأنصاري، **تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية: مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994)، ص 123-124.

14 عزمي بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 96-97.

15 عزمي بشارة، **في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص 245.

16 للمزيد حول مفهوم الأزمة ينظر: عبادة محمد التامر، **سياسة الولايات المتحدة وإدارة الأزمات الدولية: إيران – العراق – سورية - لبنان أنموذجًا** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 37.

17 إدغار موران، **في مفهوم الأزمة**، ترجمة بديعة بوليلة (بيروت: دار الساقي، 2018)، ص 53-59.

18 محمد شطب عيدان المجمعي، "النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية**، السنة 1، العدد 4 (2009)، ص 145-148.

19 هاني موسى، "أزمة الدولة في العالم العربي: دراسة مقارنة لحالتي العراق والسودان"، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه، تونس، جامعة تونس المنار، 2018، ص 5. (غير منشورة)

20 مصطفى عمر التير، **صراع الخيمة والقصر: رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي** (بيروت: منتدى المعارف، 2014)، ص 84.

أولًا: الطريق إلى الدولة: مسار متعثّر

1. أزمة التكوين السياسي في ليبيا: جذور وسياقات

شهدت ليبيا، تاريخيًا، أزمة في وحدتها السياسية، وكذلك في بناء كيانها الجامع بوصفها "دولة قومية"، وكانت قد عانت عدم استقرار البنى الإدارية والقانونية والاجتماعية قبل استقلالها. وشهدت تعاقب أنظمة حكم، من دون نضوج دولة، ذات سيادة على حدودها، بحكومة مركزية تحتكر العنف المشرّع قانونًا على كامل الجغرافيا الليبية[21]. وتجلّى ضعف الوحدة السياسية في انقسام ليبيا جهويًا إلى ثلاثة أقاليم رئيسة، شكّل كل منها وحدة سياسية مستقلة نسبيًا: إقليم برقة في الشرق، وإقليم طرابلس في الغرب، وإقليم فزّان في الجنوب[22].

في العهدين الفرعوني والفينيقي، وبالتحديد في القرن العاشر قبل الميلاد، خضع إقليم برقة للحكم المصري، بينما حكم الفينيقيون إقليم طرابلس، أما الجنوب الليبي، فحكمته قبائل مرتحِلة، كانت تُعرف باسم "الجرامانتيين"[23]. وبالانتقال إلى العهدين الإغريقي والروماني، لم يتغير الواقع السياسي والاجتماعي في ليبيا، حيث خضع إقليم برقة في القرن السابع قبل الميلاد، للحكم اليوناني، في حين خضع إقليم طرابلس في القرن الثاني قبل الميلاد، للحكم الروماني. استمر هذا الانقسام بين أجزاء الجغرافيا الليبية حتى انتهاء العهد الإغريقي، وخروج اليونانيين من برقة في عام 74 ق.م. منذ ذلك الحين، تمكّن الرومان من توحيد هذه الأقاليم الثلاثة تحت حكمهم، قرابة 400 عام، من خلال سطوتهم العسكرية وحكمهم المباشر[24].

عادت ليبيا إلى انقسامها بعد تفكك الإمبراطورية الرومانية في عام 435م، حيث خضعت برقة لبيزنطة، بينما خضعت طرابلس وفزان لروما[25].

وفي ظل الحقبة الإسلامية التي امتدت حتى القرن السادس عشر ميلادي، لم تنشأ في ليبيا سلطة مركزية على كامل التراب الليبي؛ إذ كانت الأقاليم الليبية تابعة لمراكز القوى الإسلامية المتعاقبة، فإقليما برقة وفزان كانا في معظم فترات الحكم الإسلامي تابعين لمصر، بينما كان إقليم طرابلس تابعًا لإمارة أفريقيا التي تركّزت في تونس. وعزّز هذا الغياب للسلطة المركزية مكانة الوحدات السياسية (الأقاليم)، والتقليدية (القبائل)، والمناطقية (الجهوية) في ليبيا، وأضعف فرصة اندماجها في إطار دولة مدنية واحدة[26].

2. اللامركزية الإدارية وتعزيز الجهوية والقبلية: الحقبة العثمانية

خضعت ليبيا للدولة العثمانية لأكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن (1551-1911)[27]. تخلّل هذه الفترة خضوع ليبيا لحكم عائلة القرمانلية، ذات الأصول التركية، التي استطاعت بنفوذها بناء ولاءات قبلية ليبية، أوصلتها إلى الحكم في عام 1711، واستمر حتى عام 1835. قابلت الدولة العثمانية ذلك بالاحتواء، تجنّبًا للصدام مع هذه العائلة المسيطرة، وضمانًا للعوائد الضريبية لإسطنبول التي تعهّدت بها هذه العائلة أسوةً بباقي الولايات الخاضعة للدولة العثمانية، خاصة "العربية" منها[28].

اعتمدت الدولة العثمانية، في تعاملها مع ليبيا، نموذج الإدارة اللامركزية[29]، فاكتفت بالإشراف العام، من خلال وُلاة يتبعون للباب العالي مباشرة، يعتمدون في حكمهم، أسوةً بتعامل الإمبراطورية العثمانية مع بقية ولاياتها، على وكلاء محليين – زعماء قبائل، ورجال دين وأعيان وأصحاب نفوذ - دورهم الأساسي ضبط مجتمعاتهم المحلية وجباية الضرائب لمصلحة الباب العالي. وقد شهدت ليبيا

21 يجدر التوضيح أن بدايات تسمية ليبيا بهذا الاسم تعود إلى العهد الإغريقي القديم، حيث أطلقه اليونانيون على الأراضي الواقعة في شمال القارة الأفريقية. ومع مرور الزمن، وتعاقب الحضارات والحقب، أصبحت هذه التسمية مقتصرة على خريطة ليبيا الحالية فحسب، أي على الأراضي الواقعة غرب مصر، وصولًا إلى تونس. وقد أخذت هذه التسمية طابعًا رسميًا في عام 1934، في الوقت الذي كانت ليبيا تحت وطأة المستعمر الإيطالي. يراجع: نيكولاي إيليش بروشين، **تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969**، ترجمة عماد حاتم (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2001)، ص 25.

22 شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر: ليبيا – تونس – الجزائر - المغرب الأقصى (مراكش)** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2009)، ص 127.

23 للمزيد حول موضوع الجرامانتيين، ينظر: مبروكة سعيد الفاخري، "المملكة الجرمية في فزان منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي"، **مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية**، مج 14، العدد 2 (2015).

24 محمد يوسف المقريف، **ليبيا بين الماضي والحاضر: صفحات من التاريخ السياسي، ج 1: ميلاد دولة الاستقلال**، مج 1 (أكسفورد: مركز الدراسات الليبية، 2004)، ص 40-42، 44-47.

25 المرجع نفسه.

26 فتحي حسن نصار، **ليبيا من الاحتلال الأسباني حتى الاستقلال 1510-1951** (القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع، 2015)، ص 15-17.

27 الجمل، ص 129-130.

28 نصار، ص 69-70.

29 يجدر التوضيح أن الدولة العثمانية تعاملت مع ليبيا أسوة بباقي ولاياتها العربية، مع الأخذ في الحسبان حدوث تباينات في طريقة إدارتها لبعض الولايات بين فترة زمنية وأخرى. فقد اعتمد العثمانيون نظامًا سياسيًا خاصًا بالولايات العربية، حيث قُسّمت هذه الولايات إلى 24 إيالة ضمن نطاق هذا النظام، كانت طرابلس واحدة منها، وكان لكل إيالة والٍ مسؤول عن إدارة شؤونها، ويُدرج تحت سقفه أربعة مستويات إدارية؛ **الأول** مجلس الديوان الذي كان يتألف من كبار الموظفين في المجال العسكري والقضائي والديني والاقتصادي. في حين تمثل المستوى **الثاني** في الحامية العثمانية التي اختص دورها في مهمات تنفيذية وأمنية ضمن نطاق الولاية. أما المستوى **الثالث**، فقد تجلّى في حكام السناجق والمقاطعات، وكان هؤلاء الحكام يمثّلون الوالي في إدارة مناطقهم وأقاليمهم، وكانوا مسؤولين في الوقت ذاته عن تأمين الضرائب للوالي. وبالانتقال إلى المستوى **الرابع**، فكان يتمثل في زعماء العشائر والقبائل، وأدّى هؤلاء دورًا مهمًا في ضبط المجتمعات المحلية، ولا سيّما البعيدة منها والنائية. يُنظر: المرجع نفسه، ص 39-40.

إبان عهدي الحكم العثماني الأول (1551-1711) والثاني (1835-1911)، تغيّرات سريعة في ولاتها، تحقيقًا لسياسة الباب العالي في الحفاظ على تبعيّتهم وولائهم، والحدّ من فرصة خروجهم عن نطاق السيطرة العثمانية[30].

كان هذا النوع من الحكم والإدارة عاملًا مساعدًا في تكريس القبلية والجهوية على الأراضي الليبية؛ إذ استمرت الوحدات السياسية (الأقاليم) في وجودها بحالة انفصال نسبي، بعضها عن بعض، إذا ما تم استثناء فترة حكم العائلة القرمانلية (1711-1835)[31]. وفي ظل هذا الواقع، برز دور الوكلاء المحليين الذين ساهموا في تعزيز الولاءات الضيّقة من جهة، واستفحال ظاهرتي الفساد والصراع على السلطة من جهة ثانية. وأدى ذلك إلى تراخي قبضة الباب العالي على بعض الأقاليم والولايات، وتجلّى، كما ذُكر سابقًا، في سيطرة القرمانليين على إيالة طرابلس وزيادة حدّة التدخّلات الخارجية في أراضي الدولة العثمانية نتيجة بروز الظاهرة الاستعمارية[32].

انتقلت الدولة العثمانية في عام 1835 إلى الحكم المباشر في ليبيا، وتبع ذلك ربط إقليم برقة بالباب العالي مباشرة، بعد فصله عن ولاية طرابلس في عام 1879، فمُنح حكمًا ذاتيًا، وأصبحت مدينة بنغازي مركزًا له. لكن هذا التغيّر في نمط الحكم والإدارة، لم يُخرج الليبيين من أزماتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[33]. وهنا بدأت تظهر في ليبيا، وتحديدًا في برقة، حركة دينية صوفية إصلاحية، عُرفت باسم الحركة السنوسية، نسبة إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي، صاحب الأصول الجزائرية[34].

كان الهدف المعلن من نشأة السنوسية، محاولة تغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الأقاليم العربية الخاضعة للحكم العثماني من جهة، والتصدي للتغلغل الاستعماري في هذه الأقاليم من جهة ثانية. وتركّز نشاطها في المناطق الليبية البعيدة عن المركز، مثل الواحات والتجمعات البدوية والريفية، وبدأت تجلّياتها بإنشاء نظام الزوايا في هذه المناطق. فالزاوية هي نظام سياسي صغير، كان ذا بعد ديني، ارتكز على بنية قبلية. وقد شكّلت الزوايا في ليبيا وحدات شبه إقطاعية، وأصبحت مع مرور الوقت إمارة ذات طابع ثيوقراطي. استمر هذا الوضع السياسي المرتبط بحكم العائلة السنوسية حتى وقوع ليبيا تحت الاستعمار الإيطالي في عام 1911[35].

3. الجهويــة والقبلية بوصفهمــا أدوات استعمارية

لم تستَقلّ ليبيا بعد انتهاء الحكم العثماني على أراضيها، بل وقعت تحت الاحتلال الإيطالي لفترة زمنية قاربت الثلاثة عقود (1911-1940). وتُقسم هذه الفترة إلى قسمين: **الأول** فترة ما قبل الحكم الفاشي الإيطالي (1911-1922)، و**الثاني** فترة ما بعد الحكم الفاشي (1922-1940). فخلال الفترة الأولى، عانت ليبيا غياب الوحدة بين مكوّناتها، وتجلّى ذلك في نشوء حكم ذاتي للسنوسيين في برقة، بدعم إيطالي، ونشوء جمهورية صغيرة في طرابلس بضغط من الوجهاء السياسيين التقليديين في المدينة ومحيطها. كان هدف المستعمر من دعم إنشاء هذه الكيانات تفتيت الهوية الوطنية الليبية وزيادة حدة التناقضات السياسية والقبلية والجهوية في المجتمع الليبي. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الكيانات لم تستمر طويلًا، ففي الفترة الثانية، أنهى المستعمر الإيطالي الاستقلال الجزئي في برقة وطرابلس، وأخضع الأقاليم الليبية الثلاثة لحكمه المباشر، في محاولة منه للتوسع وزيادة رقعة سيطرته المباشرة[36].

عانت الحركة الوطنية الليبية غياب التماسك في صفوفها خلال الفترتين الاستعماريتين الأولى والثانية. تجلّى ذلك في انقسام الليبيين بين مؤيد للتفاوض والمهادنة مع المستعمر، مثل قيادة الحركة السنوسية بعد انقسامها في عام 1916[37]، ومعارض لهذا النهج السلمي في التعامل مع الاحتلال، مثل القبائل والزوايا السنوسية ومجموعات الطوارق التي انتظمت للقتال ضد المستعمر. كما عانت الحركة الوطنية تفوّق المصالح الضيّقة على المصالح الوطنية العليا، فمن جهة سعت الحركة السنوسية على نحو مستمر، وتحديدًا خلال الفترة الأولى التي سبقت الحكم الفاشي، للارتقاء بالحكم الذاتي وتحويله إلى إمارة دينية خاصة، ومن ثم الاستحواذ الكامل على إقليم برقة؛ ومن جهة ثانية، استفحل الخلاف والتنافس على الزعامة بين وجهاء الأعيان والقبائل

30 المرجع نفسه.

31 تجدر الإشارة إلى أن ليبيا شهدت في ظل حكم القرمانليين حكمًا مركزيًا، كان من أهم تجلّياته خضوع أقاليمها كلها لطرابلس المركز.

32 نصار، ص 108-109.

33 تجدر الإشارة إلى أن الأوضاع الصعبة التي شهدتها ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر، والتي تمثّلت في تفاقم أزماتها الاقتصادية والأمنية، وحدوث تفكك في أوساط نخبتها السياسية الحاكمة، وخروج بعض الأقاليم والمناطق، مثل فزّان، وانفصالها عن حكم العائلة القرمانلية، وعدم قدرة هذه النخبة على الإيفاء بالتزاماتها المالية والضريبية تجاه الباب العالي، واقتراب المستعمر الأوروبي من الحدود الليبية، دفع ذلك كله العثمانيين إلى التدخل المباشر لإنهاء حكم القرمانليين، ووضع ليبيا تحت إدارتهم المباشرة. يراجع: الجمل، ص 137-141.

34 بروشين، ص 58-59، 70.

35 المرجع نفسه، ص 69-72، 91.

36 بشرى خير بك وعقيل نمير، **تاريخ الوطن العربي المعاصر "المغرب العربي"** (دمشق: جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2015-2016)، ص 196، 206، 217.

37 تجدر الإشارة إلى أن الحركة السنوسية شهدت انقسامًا في عام 1916 بين الفريق الداعم للمقاومة المسلحة في مواجهة المستعمر، بقيادة أحمد شريف السنوسي، والفريق الداعم للتسوية السياسية مع المستعمر، بقيادة إدريس السنوسي، وقد حُسم هذا الخلاف لمصلحة الأخير.

على مستوى مدينة طرابلس، وإقليمي برقة وطرابلس على مستوى ليبيا. وعلى الرغم من هذا التشتت في المشهد السياسي الليبي، فإن مقاومة المستعمر كانت جليّة في بروز حركة عمر المختار في عشرينيات القرن العشرين[38].

وقد شهدت ثلاثينيات القرن العشرين تراجعًا في حركة المقاومة الليبية، وقد ارتبط ذلك بالحملة الإيطالية العنيفة على هذه الحركة وحاضنتها الشعبية، وتجلّى ذلك في إعدام زعيمها عمر المختار في عام 1931، ونفي قادة الحركة السنوسية إلى الخارج ووقف نشاط الزوايا السنوسية بإغلاقها، وفرض حكم عسكري مباشر على كامل الأراضي الليبية[39]. استمر هذا الواقع الليبي حتى بدأت الحرب العالمية الثانية في عام 1939، عندما اصطدمت إيطاليا مع كل من بريطانيا وفرنسا على الأراضي الليبية، وانتهى هذا الصدام بوقوع برقة وطرابلس تحت حكم المستعمر البريطاني في عام 1943، وكذلك وقوع إقليم فزّان الجنوبي تحت حكم المستعمر الفرنسي. ولم يختلف هذا الاستعمار الجديد لليبيا عن سابقه من حيث تغييب دور الليبيين في إدارة شؤونهم، وتعزيز الانقسام بين المكوّنات الليبية وفقًا لأسس قبلية وجهوية[40].

طرأت مستجدات عديدة على وضع ليبيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1945. فمن جهة، وللخروج بصيغة واضحة حول مستقبل ليبيا في ظل تسارع وتيرة الاستقلال في العالم العربي وأفريقيا، شهدت ليبيا حراكًا داخليًا بين مختلف مكوّناتها السياسية[41]. في إطار هذا الحراك، برز موقف الحركة السنوسية التي أعادت طرح رؤيتها السياسية، المتمثلة في إقامة إمارة في ليبيا، معتبرةً أن إقليم برقة سيشكل نواة هذه الإمارة. ومن جهة ثانية، أدّى عدم اتفاق القوى السياسية الليبية حول قضيتي الوحدة والإمارة السنوسية[42]، وكذلك عدم اتفاق القوى الاستعمارية على الترتيبات المتعلقة بمستقبل ليبيا، إلى تدويل الملف الليبي ونقله إلى هيئة الأمم المتحدة. وقبل صدور قرار دولي يُحدّد مستقبل ليبيا، اتّخذت الحركة السنوسية خطوة استباقية، أعلنت من خلالها عن استقلال إقليم برقة في آذار/ مارس 1949، وشرعت في خطوات عملية لترجمة إعلانها مثل إنشاء حكومة وبرلمان وإصدار جنسية خاصة بأهالي برقة. عزّزت هذه الخطوة التي حظيت بقبول بريطانيا ودعمها، انقسامَ المشهد السياسي الليبي، ودفعت الأمم المتحدة، في العام نفسه، إلى تحديد سقف زمني لاستقلال ليبيا بأقاليمها الثلاثة، لا يتجاوز عام 1952[43].

4. معضلة بنـــاء الدولة الحديثة: من البنى التقليدية إلى البناء الجامع

استقلّت ليبيا في عام 1951، في العام نفسه الذي وُضعت فيه أول مسوَّدة دستورية، بالتزامن مع تفاعلات داخلية وخارجية حدّدت الشكل الاتحادي للدولة الليبية، بنظامها الملكي. ووقع الاختيار على إدريس السنوسي ليصبح ملكًا على ليبيا، بأقاليمها الثلاثة. شهد العهد الملكي مرحلتين زمنيتين: **الأولى** امتدت من الاستقلال حتى عام 1963، في حين امتدت المرحلة **الثانية** حتى سقوط الملكية في عام 1969. أفرز هذا التقسيم تحوّلًا في البنية الدستورية والإدارية، وذلك بالانتقال من دولة اتحادية مركّبة، هي المملكة الليبية المتحدة، إلى دولة بسيطة موحَّدة في عام 1963 هي المملكة الليبية.

عانت الدولة الناشئة، قبل التعديل الدستوري في عام 1963، انقسامَ مركز قرارها السياسي والإداري بين مدينتي طرابلس وبنغازي، العاصمتين السياسيتين للدولة الليبية وفق دستور عام 1951. وقد أضعف ذلك قدرة النظام الملكي على ربط المكوّنات الليبية (الأقاليم) بالمركز، وشكّل نوعًا من عدم التوازن في التمثيل السياسي بين هذه المكوّنات، وأدّى إلى انقسام الولاءات السياسية والوطنية في بيئة تعاني النعرات القبلية والجهوية. وقد عزّز ذلك الانقسام من مظاهر التباعد والجهوية، وأضعف القدرة على بناء مجتمع سياسي حديث قائم على الديمقراطية والتعددية والمواطنة[44].

أدركت النخبة السياسية، في نهاية الحقبة الملكية، الحاجة إلى بناء مجتمع سياسي فاعل، يتجاوز المعوّقات القبلية والجهوية، فبدأ العمل على تحويل مدينة البيضاء الليبية عاصمةً للإجماع، بدلًا من طرابلس وبنغازي. لكن جاءت ثورة أيلول/ سبتمبر 1969 لتنهي هذه المحاولة. وبالمجمل، لم يخرج نمط الحكم عن طابعه التقليدي القبلي – الزبائني - الجهوي، على الرغم من البدء بتحديث الهياكل والمؤسسات الناظمة للتعليم والاقتصاد، خاصة مع دخول ليبيا نادي الدول المصدّرة للنفط

38 المرجع نفسه، ص 192-195، 211-215.

39 جيف سيمونز، **ليبيا والغرب من الاستقلال إلى لوكربي**، ترجمة وتقديم نقولا زيادة (أكسفورد: مركز الدراسات الليبية، 2013)، ص 19-20.

40 خليل حسين، **التاريخ السياسي للوطن العربي**، تقديم محمد المجذوب (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2012)، ص 643.

41 يجدر التوضيح هنا أن من أهم الفواعل السياسية الليبية التي نشأت في برقة كان المؤتمر الوطني الذي أُسّس في عام 1948 بتدخل مباشر من قائد الحركة السنوسية محمد إدريس السنوسي. وقد جمع هذا المؤتمر في إطاره الأطر والجمعيات السياسية كلها التي برز نشاطها في برقة بعد الحرب العالمية الثانية، لعل أبرزها جمعية عمر المختار ورابطة الشباب والجبهة الوطنية. أما في طرابلس، فقد برزت قوى سياسية عديدة لم تتفق في ما بينها مع رؤية المؤتمر الوطني في برقة، والقائمة على قبول هذه القوى بإقامة الإمارة السنوسية في ليبيا، وهو شرط مسبق لتحقيق الوحدة الليبية. وكان من أبرز القوى المعارضة لهذا الطرح الحزب الوطني في طرابلس، وكذلك الكتلة الوطنية الحرة. يراجع: سيمونز، ص 39.

42 المرجع نفسه، ص 36-39.

43 حسين، ص 644.

44 احميدة، ص 169-170.

في ستينيات القرن العشرين، وهي تحوّلات أفضت إلى ولادة طبقة وسطى، شكّلت تحديًا للوضع القائم. كما تأثر الفضاء السياسي الليبي بالتحوّلات الجذرية المحيطة في الوطن العربي، وأهمها سقوط الملكيات لمصلحة نُظم ثورية أقرب إلى الطبقة الوسطى، وهذا ما خلق تفاعلات ثقافية وسياسية وفكرية، أفضت إلى تقويض نظام الحكم الملكي، ودفع التحول إلى النظام الجمهوري في عام 1969[45].

5. القذافية السياسية: الجهوية والقبلية بوصفهما أدواتٍ للسيطرة

على الرغم من التحوّلات الدستورية التي جرت في العهد الملكي، فإن أزمات النظام السياسي الليبي بقيت حاضرة، مع عدم تحقيق التطلّعات السياسية والقومية لليبيين، خاصة تطلّعات الطبقة الوسطى الناشئة. فتمكّنت مجموعة من الضباط العسكريين، أطلقت على نفسها اسم "الضباط الوحدويون الأحرار"، بقيادة الملازم أول معمر القذافي، من إطاحة الحكم الملكي السنوسي في عام 1969. استندت الثورة التي أصبحت تُعرف بـ "ثورة الفاتح"، إلى ثلاثة مرتكزات؛ وهي: السياسي الداعي إلى وحدة البلاد والديمقراطية والتمثيل الشامل، والاجتماعي القائم على العدالة والتمكين، والاقتصادي القائم على محاربة الرأسمالية.

لم تُترجم هذه الوعود على الأرض، حيث اتّسم النظام الجديد بالسلطوية ومعاداة التحديث السياسي، وتجلّى ذلك في رفض التعددية السياسية والفكرية واستبعاد النخب التكنوقراطية وملاحقتها، والتعامل الأمني مع القوى المعارضة[46]. وفي الوقت نفسه، فرض القذافي نمطًا جديدًا من الحكم، تجلّى في نظريته العالمية الثالثة، التي تقوم في جوهرها على خليط من الماركسية والماوية والاشتراكية العربية[47].

اتّضحت سلطوية نظام القذافي في أسلوب الحكم الذي اتّبعه، على الرغم من محاولته إخفاء معاداته لعملية التحديث السياسي في ليبيا، حيث اخترع مُسمّيات جديدة في محاولة ضبط المجتمع الليبي وتطويعه، كان ظاهرها يبدو ديمقراطيًا، مع أن مضمونها كان سلطويًا. من أبرز تلك المُسمّيات: "الثورة الشعبية"، "الديمقراطية المباشرة"، "اللجان الشعبية"، "اللجان الثورية"، "الروابط الشبابية"[48]. وعمل القذافي على إعادة البنى التقليدية إلى الواجهة من جديد، وتجلّى ذلك في بناء تحالفات قبلية تُعزّز من سطوته الأمنية، من خلال منح القبائل الموالية له دورًا وظيفيًا في ضبط مجتمعاتها المحلية وكبح جماحها، بدلًا من حمايتها. كما لجأ إلى اللعب على وتر التناقضات في البنية الاجتماعية الليبية وإثارتها، سواء القبلية أم الجهوية، وذلك حتى تنشغل المجموعات المختلفة في نزاعات بينية تضمن له تحقيق طموحه السياسي في التفرّد بالحكم[49].

وعمد القذافي إلى التخلّص من هياكل ومراكز قوى الثورة، التي كانت تضغط في اتجاه التحوّل والانفتاح السياسي. فأطلق في نيسان/أبريل 1973 برنامجًا من خمس نقاط، قام على تعزيز مكانته قائدًا، وشمل البرنامج تعطيل القوانين، وشرعنة ملاحقة معارضيه تحت مسمى "تطهير البلاد من المرضى وأعداء الشعب"، وإعلان ما سمّاه الثورة الإدارية والثقافية، إلى جانب مخاطبة الشعب بمحاور شعبوية، مثل "حرية الشعب" و"تسليح الشعب"، وهذا ما قاده إلى استبدال بنى موالية معزّزة للسلطوية بالبنى المؤسسية، هندسها تحت مسمّيات "اللجان الشعبية"، وما نتج منها من تعزيز دور البنى القبلية والجهوية سياسيًا[50].

شكّل ارتكاز القذافي على الشخصية القبلية في الحكم تكبيلًا لفرص التحوّل إلى دولة حديثة؛ إذ نقل هذا النمط القبلي إلى الدولة[51]، وهو نمط ارتجالي غير مؤسساتي، عاطفي، يوظّف القبيلة والنمط الاجتماعي المحيط بها توظيفًا أداتيًا لخدمة النظام. فقد عمد النظام إلى استغلال القبيلة في التعبئة السياسية لمصلحته، التي تشمل استقطاب أفراد وجماعات داعمة، واستغلالها في الرقابة القائمة على الرصد والملاحقة والتتبع لخدمة السلطة[52].

وضمن مساعي القذافي للقضاء على العمل المؤسسي في الدولة، شهدت ليبيا في عام 1977 منعطفًا سياسيًا حادًا في التحوّل نحو حكم الفرد المطلق، بإعلانه تأسيس الجماهيرية الليبية[53]، واستبداله بالمؤسسات السياسية والإدارية في الدولة، هياكل جديدة

45 المرجع نفسه، ص 170-173.

46 يوسف محمد جمعة الصواني، **ليبيا الثورة وتحديات بناء الدولة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013)، ص 34-36.

47 علي محمد علي سالم، "ليبيا الحرة: ليبيا من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية"، في: **مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية**، عدد خاص: أبحاث المؤتمر العلمي الدولي (الثورة والقانون)، كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، كانون الأول/ ديسمبر 2011، ص 630.

48 الصواني، ص 40-42.

49 بلال عبد الله، **الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية بين ممكنات التكيف وأزمة الاندماج الوطني** (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014)، ص 25.

50 صادق حجال، **ليبيا وإشكالية بناء الدولة - الأمة: 1951-2017م** (عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2019)، ص 25.

51 عبد الله، ص 20-22.

52 المنصف ونّاس، **الشخصية الليبية: ثالوث القبيلة والغنيمة والغلبة** (تونس: الدار ية للنشر، 2014)، ص 28-29، 33.

53 يجدر التوضيح هنا أن الجماهيرية الليبية قامت على رؤية القذافي الـواردة في **الكتاب الأخضر**، التي اعتبرت بمنزلة الدستور الذي حكم بموجبه ليبيا طوال فترة حكمه (1969-2011)، حيث تم وقف العمل بدستور عام 1951 منذ إطاحة الحكم الملكي في عام 1969. وكما جاء في رؤية القذافي، يقوم نظام الحكم الجماهيري على الديمقراطية المباشرة التي تجسّدت، وفقًا لرؤيته، في مفهوم السلطة الشعبية، وقد ترجمها من خلال عقد المؤتمرات الشعبية التي حلّت محل السلطة التشريعية، وتشكيل اللجان الشعبية التي حلّت محل السلطة التنفيذية. هذا إلى جانب النوادي القبلية والروابط الشبابية والاتحادات المهنية. يراجع: سالم، ص 637-638.

تُعزّز سيطرته، وتجعل منه مرجعًا وحيدًا للنظام السياسي[54]، وتجلّى ذلك في احتكاره القرار السياسي، من خلال تركيز السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية في يده، وإضعاف الجيش بصفته مؤسسة وطنية عامة[55]، والاستعاضة عنه بتشكيل كتائب وروابط أمنية موالية له[56]، جُلّها من رجال القبائل. كما نشأت في هذا السياق النوادي القبلية، ذات البعد الأمني، التي فرضت سطوتها على الحياة السياسية الليبية، تنفيذًا لرؤية القذافي الواردة في **الكتاب الأخضر**[57].

فاقم أسلوب الحكم الذي اتّبعه القذافي في إدارة شؤون الدولة الليبية، على مدار أربعة عقود ونيّف (1969-2011)، الجهوية في علاقة الأقاليم الثلاثة – برقة وفزان وطرابلس - بعضها ببعض من جهة، وفي علاقتها بالدولة من جهة ثانية. فساهمت السياسات التمييزية في التعامل بين المكوّنات الليبية، وحرمانها من التمثيل السياسي، وغياب العدالة في توزيع الموارد، ومنح الأفضلية في الحصول على ريع السلعة النفطية لإقليم طرابلس، وكذلك للمناطق والمدن التي تتركز فيها قبيلة القذاذفة والقبائل الموالية، مثل مدينتي سرت وسبها، وتهميش الأقاليم الشرقية والجنوبية موطن الثروة الليبية، ومنحها حصصًا تضمن الحدّ الأدنى من الصمت لا الإسناد، في استفحال الفساد بمختلف أشكاله وتشظّي الولاءات وإعاقة تحقيق الاندماج المجتمعي؛ ما أدى إلى تعثر بناء مجتمع سياسي موحّد، وتهميش المكوّنات البعيدة عن المركز[58].

أدى تراكم مظاهر الاستبداد في فترة حكم القذافي، وعدم التسامح مع المعارضين، كما حدث في عام 1996 عندما أعدم حوالى 1200 معارض سياسي داخل سجن أبو سليم (غرب طرابلس)، والاستمرار بمحاباة القبائل والمناطق المناصرة، والتعامل مع المواطنين بصفتهم رعايا وأتباعًا، وعدم التعامل جدّيًا مع الدعوات المطالبة بالإصلاح والتغيير، إلى حراك مجتمعي صاحبه تدخل خارجي في عام 2011، انتهى بسقوط حكم العقيد معمر القذافي، ودخول ليبيا في مرحلة جديدة لا تقل في تعقيداتها عن المراحل السابقة[59].

6. ما بعد الثورة: سقوط نموذج هش

لم يؤدِ سقوط حكم القذافي إلى تحوّل تلقائي وسلس نحو نظام حكم ديمقراطي في ليبيا، وذلك لغياب البنية التحتية المؤسساتية والثقافة السياسية اللازمة لإحداث ذلك التحول. أدى ذلك إلى تفجّر الأزمات الليبية المتراكمة منذ الاستقلال، التي نجمت عن غياب المؤسسات والعمل الديمقراطي ووقف العمل بالدستور وطغيان القبلية والجهوية والفئوية على المشهد السياسي وضعف مؤسسة الجيش وإهدار الموارد وانتشار الفساد بأشكاله المختلفة، وهي قضايا برزت تجلّياتها بقوة في المشهد الليبي بعد ثورة السابع عشر من شباط/ فبراير 2011. وقد أدخلت هذه الأزمات المجتمع الليبي في حالة من التوتر والصدام الأمني والسياسي والأيديولوجي، التي ما زالت رحاها تدور حتى الآن[60].

عاد الانقسام السياسي بين المكوّنات الليبية إلى الواجهة من جديد، ليحمل في طياته بُعدًا جهويًا وقبليًا وفئويًا وآخر عرقيًا[61]، حتى بات المشهد الليبي مشابهًا لفترة ما قبل الاستقلال. فقد اختلف الليبيون، بعد رحيل القذافي، حول قضايا الوحدة الوطنية، وشكل الدولة، ونموذج الحكم، وتوزيع الموارد[62]. وتجلّى ذلك الاختلاف في تجدّد المطالبات، في إقليمي برقة[63] وفزان، الداعية إلى العودة إلى الدولة الاتحادية بصيغتها الفدرالية، وبرزت مطالبات ذهبت إلى أبعد من ذلك، طارحةً صيغة الكونفدرالية، تحقيقًا لرغبتها الانفصالية[64]. في المقابل، اتّجهت قوى طرابلس إلى التمسك باستمرار الشكل البسيط والموحَّد للدولة الليبية. كما اختلف الليبيون حول شكل النظامين

54 الصواني، ص 40.

55 تجدر الإشارة إلى أن القذافي قد أنفق في فترة حكمه حوالى 30 مليار دولار على التسليح، من دون أن يفضي ذلك إلى إنتاج مؤسسة وطنية وجيش كفوء. يُنظر: علي عبد اللطيف احميدة (معد)، **دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا: الواقع والتحديات والآفاق.. الجزء الثاني من دراسة أولية لمشروع الحوار الاجتماعي والاقتصادي الليبي**، إعداد علي عبد اللطيف احميدة (بيروت: الأمم المتحدة: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا 'الإسكوا'، 2020)، ص 23.

56 يجدر التوضيح أن نظام القذافي حاول تعزيز مقاربته الأمنية بشبكة موالاة قبلية، نظرًا إلى المحاولات المتعددة للانقلاب على حكمه، كما جرى في عامَي 1975 و1985، وبعد هزيمة تشاد في عام 1987، وهي محاولة أفضت إلى حل الجيش وتحويله إلى كتائب على أساس الولاء القبلي.

57 سهام الغضبان، "ليبيا ما بعد القذافي: معوقات بناء الدولة"، **مجلة الإسلام والعالم المعاصر**، مج 7، العدد 3-4 (2012)، ص 161، شوهد في 2022/1/21، في: https://bit.ly/3umiNOf

58 عبد الله، ص 27.

59 رمضان عبد السلام حيدر، "الانتقال من مرحلة الثورة إلى مرحلة بناء الدولة"، **مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية**، العدد 25 (2014)، ص 156 - 159.

60 محمد الشيخ، "إشكالية تعثر الانتقال الديمقراطي في ليبيا بعد 2011"، **مجلة دراسات شرق أوسطية**، مج 18، العدد 68 (صيف 2014)، ص 46 - 47.

61 يشير رمضان عبد السلام حيدر إلى أن الأقليات العرقية في ليبيا، التي لا تتعدى نسبتها 10 في المئة من مجموع السكان، غُيّبت عن المشهد السياسي في فترة حكم القذافي، الأمر الذي دفعها إلى الدخول في المشهد السياسي الجديد، في محاولة منها لتحسين مكانتها السياسية والاقتصادية، وكذلك حماية هويتها الثقافية، ولعل أبرز هذه الأقليات الأقلية الأمازيغية - البربرية، وأقلية التبو ذات الأصول الأفريقية، وأقلية الطوارق. يراجع: حيدر، ص 165.

62 كامل عبد الله، "لماذا تتعثر محاولات بناء نظام انتقالي في ليبيا؟"، **مجلة الديمقراطية**، العدد 75 (تموز/ يوليو 2019)، ص 198 - 199.

63 من الأمثلة المهمة على التوجه الانفصالي ما حدث في عام 2012، بإعلان مدينة بنغازي الواقعة في إقليم برقة تأسيس إقليم فدرالية في الشرق الليبي، وقد تم هذا الإعلان في مؤتمر عام، ضم الآلاف من الليبيين من سكان المدينة والإقليم. يراجع: حنان لبدي، "ليبيا بين التفكك الداخلي والاختراق الخارجي"، **دفاتر السياسة والقانون**، مج 13، العدد 3 (2021)، ص 624.

64 خالد حنفي علي، "دولة منزوعة السيطرة: محفزات وكوابح تفكك ليبيا بعد الثورة"، **مجلة السياسة الدولية**، مج 49، العدد 195 (كانون الثاني/ يناير 2014)، ص 21.

السياسي والاجتماعي وهويتهما، بين من يُطالب بحكم إسلامي[65]، وآخر بحكم علماني[66]. وفي ظل هذا المشهد، دخلت ليبيا في دوامة من العنف جرّاء الصدام بين مكوّناتها السياسية، سواء بين الأقاليم أم داخلها؛ ما أفرز ظاهرة الكتائب والميليشيات المرتبطة بالمدن، كما حدث في مدينتي مصراتة والزنتان، وكذلك في برقة، ببروز المشير خليفة حفتر وسيطرته العسكرية على مدينة بنغازي، وتوجّهه اللاحق لبسط نفوذه على كامل التراب الليبي[67].

أخفق المجلس الوطني الانتقالي الذي نشأ مباشرة بعد اندلاع ثورة 17 فبراير/ شباط، في لمّ شمل الليبيين والانتقال بليبيا نحو الاستقرار وتجاوز الأزمات المتراكمة وإيجاد حلولٍ للتناقضات التي برزت في المشهد السياسي الجديد. وكانت أهم خطواته الانتقالية إعداد مسوَّدة دستورية مؤقتة وإجراء انتخابات المؤتمر الوطني العام في عام 2012، وتسليم السلطة لهذا المؤتمر الذي اتخذ من طرابلس مركزًا له[68]. لكن غياب بنية مؤسساتية ناظمة، وتشظّي الخريطة السياسية والعسكرية في ليبيا، فرضَا تحديات صعبة على المؤتمر الوطني الذي لم يتمكّن هو الآخر من تجاوزها بتحقيق التقدم نحو الديمقراطية والوحدة الوطنية. تجلّى هذا التعثر في عام 2014 عندما أصبح المؤتمر الوطني جزءًا من الأزمة السياسية، برفضه تسليم السلطة للبرلمان الجديد المنتخب (مجلس النواب)[69]. وقد قادت هذه الأزمة إلى مزيد من التشظّي والتعقيد، حيث أصبح هناك برلمانان وحكومتان تتنازعان السلطة والمشهد السياسي؛ الأولى في طرابلس غربًا، يقودها المؤتمر الوطني، والثانية في طبرق شرقًا، يقودها مجلس النواب الذي حظي باعتراف دولي[70].

استمرت الأزمة الليبية، بصيغتها الحادة بين طبرق وطرابلس إلى أن تدخّلت الأمم المتحدة ودعت إلى عقد مؤتمر الصخيرات في المغرب، في نهاية عام 2015، الذي تمخض عنه اتفاق سياسي بين الجناحين، أو البرلمانين الليبيين، وتم بموجب هذا الاتفاق إنشاء مجلس الدولة الموحَّد، وكذلك حكومة الوفاق الليبية، لكن لم يُكتَب لهذه الخطوة الوحدوية النجاح في إنهاء الأزمة بين المكوّنات الليبية، في ظل طغيان المصالح الفئوية والاعتبارات الجهوية من جهة، وتنازع المشهد الليبي بين الفواعل الخارجية من جهة ثانية[71]. إقليميًا، برز دور كل من مصر والسعودية والإمارات في دعم القوى المسيطرة على شرق ليبيا، ولا سيّما العقيد خليفة حفتر في بنغازي، ومجلس النواب في طبرق، وذلك في مواجهة قوى الإسلام السياسي. في المقابل، صُنّف الدوران القطري والتركي على أنهما داعمان لقوى الإسلام السياسي في المؤتمر الوطني، ولاحقًا لحكومة الوفاق الليبية، بقيادة فائز السراج، في مواجهة ظاهرة حفتر وتمدّد نشاطه العسكري[72].

ثانيًا: عرقلة بناء الدولة الحديثة: عوامل مركزية

يُناقش هذا المبحث أهم معوّقات بناء الدولة الحديثة في ليبيا، التي ظهرت في الفترات الزمنية المتعاقبة، وتحديدًا في الفترة الراهنة، وذلك على النحو الآتي:

1. العامل القبلي

ينحدر المجتمع الليبي في غالبيته من أصول قبلية، حيث تعتبر القبيلة أساس تشكّل البنية الاجتماعية في ليبيا؛ إذ يصل عدد القبائل إلى نحو 140 قبيلة، تتفاوت في حجمها وتأثيرها، وكذلك في أصولها العرقية، وانتماءاتها المذهبية. وتتوزّع هذه القبائل على الأقاليم الثلاثة المكوّنة للدولة الليبية. ففي الجنوب، وتحديدًا في الشريط الحدودي المحاذي للدول الأفريقية غير العربية، تتركز قبائل الطوارق، وتعيش بالقرب منها، قبائل التبو، وهي أفريقية الأصل، في حين تتركز القبائل الناطقة بالأمازيغية في مرتفعات غرب ليبيا. أما بقية القبائل، التي تشكّل الغالبية السكانية والعددية، فتنتشر في إقليمي برقة وطرابلس، مثل: قبيلة بني سالم، والعبيدات، وبني هلال، ورفلة، وترهونة، وكراغلة، والتواجر. وبرزت قبيلة القذاذفة بعد وصول القذافي إلى الحكم في عام 1969، وأصبحت من القبائل المؤثرة في المشهد السياسي الليبي، على الرغم من صغر حجمها[73].

---

65 تشهد ليبيا منذ عام 2011 تنافسًا حادًا بين تيارات سياسية عدة، برزت بعد الثورة مباشرة، وهذه التيارات ذات توجهات متضاربة في رؤيتها لمستقبل الدولة والنظام السياسي في ليبيا. ولعل أبرزها: التيار الإسلامي المحافظ الذي يضم كلًا من حزب العدالة والبناء التابع لجماعة الإخوان المسلمين، والجماعة السلفية ذات الأذرع السياسية والعسكرية المتعددة، في حين يتمثل التيار الثاني في القوى الليبرالية التي تجلّت في تحالف القوى الوطنية في طرابلس. يُنظَر: الشيخ، "ليبيا بين الصراع السياسي والصراع المسلح: التحديات والآفاق"، ص 15.

66 المرجع نفسه.

67 عبد الله، "لماذا تتعثر محاولات بناء نظام انتقالي في ليبيا؟"، ص 200.

68 خالد حنفي علي، "سقوط الجماهيرية: من يحكم ليبيا بعد القذافي؟"، **مجلة السياسة الدولية**، مج 46، العدد 186 (تشرين الأول/ أكتوبر 2011)، ص 141.

69 يجدر التوضيح أن رفض المؤتمر الوطني تسليم السلطة كان سببه عدم قبول القوى الإسلامية المسيطرة عليه بنتائج انتخابات عام 2014. وأوقعت هذه الأزمة صدامًا بين هذه القوى من جهة، وجيش خليفة حفتر من جهة أخرى، الذي انحاز إلى مجلس النواب في طبرق ضد المؤتمر الوطني في طرابلس.

70 أحمد موسى بدوي، "تحوّلات الثورة الليبية: تفكيك الدولة وزرع الإرهاب"، **مجلة آفاق سياسية**، العدد 16 (نيسان/ أبريل 2015)، ص 86-87.

71 طلعت رميح، "ليبيا: الحل السياسي المأزوم والصراع العسكري الملغوم"، **مجلة البيان**، العدد 391 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2019)، ص 42-44.

72 كامل عبد الله، "ليبيا بين مفارقات المشهد الداخلي والمواقف الإقليمية والدولية"، **مجلة السياسة الدولية**، مج 52، العدد 205 (تموز/ يوليو 2016)، ص 152-153.

73 مصطفى شفيق علام، "القبلية والثورات العربية: نموذجا اليمن وليبيا"، **مجلة البيان**، العدد 9 (2012)، ص 136.

من الصعوبة قراءة تاريخ ليبيا السياسي، وكذلك تعثّر بناء الدولة الحديثة بمعزل عن قراءة النظام القبلي وفهمه، فهناك علاقة عضوية بينهما، وكذلك الحال بين الفرد الليبي والقبيلة التي شكّلت قبل الاستقلال التنظيم السياسي والاجتماعي الأكثر حضورًا في ليبيا، والإطار الناظم الذي يحدد حقوق الفرد وواجباته وعلاقاته مع التنظيمات والكيانات القبلية الأخرى. ويفسّر هذا الواقع جانبًا مهمًا من ابتعاد الفرد الليبي عن مفهوم الدولة الحديثة، وذلك في ظل عدم سعي الحكومات المتعاقبة لتغيير هذا الواقع، وتحقيق التقدم نحو الديمقراطية والعمل المؤسسي[74].

إذًا أخفقت الحكومات المتتالية في تجاوز البنى التقليدية، وتحديدًا الكيانات القبلية، وأبعادها الثقافية والسياسية والمناطقية، وذلك بإنشاء بنى وطنية جديدة قائمة على العمل المؤسسي ومدنية الحكم. فقد كان يجري توظيف هذه البنى والكيانات التقليدية من منظور زبائني في خدمة أجندة النخب الحاكمة، ودعم بقائها في السلطة. فخلال فترة حكم القذافي، أخذ دور القبائل بالاختفاء تارةً، والظهور تارةً أخرى. فقبل إعلان قيام النظام الجماهيري في عام 1978، كان هناك نوعٌ من التحجيم لدور القبائل بأشكاله كلها، لكن سرعان ما عاد دورها إلى البروز بعد قيام الجماهيرية، وتجلّى ذلك بظهور النوادي القبلية، ولاحقًا المؤتمرات واللجان الشعبية والثورية ذات التركيبة القبلية[75]. وهذا يعكس أن القبيلة كانت، وما زالت، تؤدي دورًا أساسيًا في العلاقة بين الفرد والمجتمع والدولة، وفي الحياة السياسية الليبية، حتى باتت أحد أهم السبل أمام الفرد للحصول على وظيفة أو دعم مالي من الدولة. وبهذا، يمكن النظر إلى القبيلة في ليبيا، على الأقل منذ وصول القذافي إلى الحكم، باعتبارها النقيض المقابل للمؤسساتية والمواطنة[76].

لم تحظَ القبائل الليبية كلها بالمعاملة نفسها من نظام القذافي، وذلك تحقيقًا لسياسته في تعزيز التناقضات وترسيخ الانقسامات التي تخدم بقاءه في السلطة. فهناك قبائل حظي زعماؤها بمعاملة تفضيلية، مثل قبيلة الورفلة والزنتان في الغرب، وأخرى حظيت بمعاملة تمييزية، مثل قبائل مصراتة وأولاد سليمان في الجنوب. وهذا ما يفسر جانبًا مهمًا من انقسامات القبائل واقتتالها بعد رحيله في عام 2011، كما جرى عندما اصطدمت قبيلة أولاد سليمان مع قبيلة القذاذفة التي ينحدر منها القذافي، وكذلك قبيلة الورفلة مع قبائل مصراتة. وقد شكّل هذا الحضور القبلي، في ظل غياب المرجعية المؤسساتية والدستورية، وغياب العدالة الاجتماعية والاقتصادية، عائقًا أمام تحقيق الاندماج والمواطنة من جهة، وأمام نشوء مجتمع مدني يساعد في الحدّ من سطوة البنى التقليدية من جهة ثانية. كما شكّل هذا الحضور أحد عوامل عدم الاستقرار[77] وتفشّي ظواهر الثأر والتعصّب والانتقام، وتعثّر مسار بناء الدولة في الحقبة الراهنة[78].

لعل ما وقع بين قبائل تاورغاء ومصراتة من مواجهة دموية إبان ثورة عام 2011، أفضى إلى تهجير عشرات الآلاف من أبناء تاورغاء، ويؤكد عودة الصراع القبلي إلى الواجهة بعد الثورة، نتيجةً لعملية التوظيف القبلي والمناطقي في الحقبة القذافية، كما يدل ذلك على حالة التفكك التي ظهرت بمجرد انهيار السلطة وبُناها[79].

2. العامل الجهوي

عانت ليبيا، تاريخيًا، علوّ الهويات الجهوية الفرعية على الهوية الوطنية الجامعة؛ إذ لم ينتقل الثقل السياسي والإداري إلى المركز طرابلس عند اختيارها عاصمةً للدولة الليبية، حيث بقي هناك ثقل نسبي مهم لبقية الأقاليم أو الأطراف، وتحديدًا لإقليم برقة الواقع في شرق ليبيا، وذلك على حساب ثقل المركز[80]. وقد تجلّت هذه الأزمة بعد اندلاع ثورة 17 شباط/ فبراير 2011، حيث عاد التباعد بين الأقاليم الليبية إلى الواجهة من جديد، وبات لها حضور في المشهد السياسي الليبي، ويظهر ذلك في تنازع القرار السياسي والإداري بين المركزين، بنغازي وطرابلس، في الوقت الراهن، في صورة مشابهة لفترة ما قبل الاستقلال، وبروزه في الحقبة الملكية أيضًا، حيث كانت الدولة بعاصمتين: بنغازي وطرابلس. وبناء عليه، أدّى مسار الثورة الذي بدأ في الشرق، إلى جعل بنغازي عاصمة لهذه الثورة، حيث تمركزت فيها لمؤسسات الجديدة، ومنها المجلس الانتقالي وقيادات الثورة الميدانية وبعض السفارات. أفقد هذا التحوّل تفرّد طرابلس بصفتها مركزًا سياسيًا وإداريًا حصريًا للبلاد، وأدى إلى مشاطرتها جزءًا من أدوارها وثقلها مع بنغازي؛ ما أظهر ليبيا وكأنها برأسين[81].

---

74 عدنان شبين، "النزاع الاجتماعي الممتد في ليبيا بين رهانات العنف وتداعيات انهيار الدولة"، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج 3، العدد 5 (2020)، ص 362.

75 المرجع نفسه، ص 364، 376.

76 Haala Hweio, "Tribes in Libya: From Social Organization to Political Power," *African Conflict and Peacebuilding Review*, vol. 2, no. 1 (Spring 2012), pp. 117-118.

77 يجدر التوضيح أن البعد القبلي كان، وما زال، حاضرًا في الصراع الدائر في ليبيا منذ عام 2011، ويظهر ذلك، على سبيل المثال، بعد عام 2014 عندما وقفت مجموعة من القبائل مع حفتر، مثل قبيلة الفرجان والعبيدات ورشفانة والمقارحة، ضد حكومة الوفاق الليبية. للمزيد، ينظر: كربال إبراهيم الخليل وخلاصي كعسيس خليدة، "إشكاليات اندماج القبيلة في مسار إعادة بناء الدولة الليبية بعد 2011 في ظل التحولات النظرية: مقاربة تحديثية بنائية"، **المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية**، مج 16، العدد 1 (2021)، ص 829-830.

78 شبين، ص 376-377.

79 علي، "دولة منزوعة السيطرة: محفزات وكوابح تفكك ليبيا بعد الثورة"، ص 20.

80 خالد محمد بن عمور، "عناصر الضعف الجيوبوليتيكية وأثرها على كيان الدولة الليبية: دراسة في الجغرافيا السياسية"، **مجلة أبحاث** (جامعة سرت)، العدد 13 (آذار/ مارس 2019)، ص 259-261.

81 عبد الله، **الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية بين ممكنات التكيف وأزمة الاندماج الوطني**، ص 27-28.

يعود هذا التفوّق للهويات الفرعية في جزءٍ منه إلى مجموعة من العوامل، تتصدّرها ثلاثة أساسية: **الأول**، التباعد الجغرافي بين الأقاليم الليبية، نظرًا إلى المساحة الواسعة التي تتّسم بها ليبيا (1,750,000 كيلومتر مربع)[82]، وعدد السكان المحدود الذي قُدر في عام 2021 بحوالى سبعة ملايين نسمة[83]، هذا إلى جانب الموقع الجيوسياسي الطرفي لطرابلس في أقصى شمال الغرب الليبي، على أطراف الدولة، وبعيدًا عن نقاط تأثيرها. أما العامل **الثاني**[84]، فيتمثل في غياب سياسات اجتماعية وسياسية واقتصادية جامعة لكل الليبيين، وهو ما أفشل الحكومات المتعاقبة في خلق هوية وطنية جامعة تحوي الهويات الجهوية وتصهرها في إطارٍ موحّد. ويكمن العامل **الثالث** في طبيعة التقسيمات الإدارية التي شهدتها ليبيا في الحقب الزمنية المختلفة بين أقاليمها الثلاثة (برقة، فزان، طرابلس)، وكذلك في المنظومة القبلية التي أفرزت مجتمعات محلية منغلقة على ذاتها، وتخوض صراعات ونزاعات في ما بينها. إضافة إلى أسلوب التسويات والتحالفات الزبائنية الذي استخدمته الحكومات الوطنية المتعاقبة في التعامل مع القبائل من جهة ثانية[85].

3. الثقافة السياسية

تعتبر الثقافة السياسية جزءًا من الثقافة العامة للمجتمع، وتكمن في قيم الأفراد وسلوكهم ومعارفهم وتوجّهاتهم السياسية تجاه مؤسسات الحكم والعمل السياسي. كما تحدد الثقافة السياسية مشاركات الأفراد وعلاقاتهم وتفاعلاتهم مع الأطر المجتمعية والسياسية المختلفة[86]. وتتشكل هذه الثقافة مع تعاقب الأجيال والأزمنة بفعل أدوات تنشئة عديدة تساهم في صقلها وتكوينها، بدءًا بالأسرة والعائلة، مرورًا بالمدرسة والأصدقاء، وصولًا إلى تأثير وسائل الإعلام والوحدات الاجتماعية والسياسية المختلفة[87].

لم يعمل القذافي خلال فترة حكمه على ربط الليبيين بمفهوم الدولة الليبية وترسيخ انتمائهم لها، بل كرّس لديهم مفاهيمه الخاصة، مثل مفهوم الثورة والنظام الجماهيري و**الكتاب الأخضر** ومفهوم الزبائنية، وذلك على حساب مفهوم الدولة الذي تعرّض للتهميش. شهدت الدولة الليبية خلال الحقبة القذافية فترة انقطاع استمرت أربعة عقود، من دون أن تشهد تنشئة سياسية تنتج فردًا ليبيًا مشاركًا وفاعلًا، وتُعزّز لديه الثقافة الوطنية، وكذلك قيم التسامح والديمقراطية وثقافة القانون والمؤسسات، بل عزّزت تلك الفترة الثقافة السياسية المفككة والموجهة. وقد ساهم هذا النمط من السلوك والحكم، إلى حدٍ ما، في طمس الشخصية السياسية للفرد الليبي، وعزّز الفواصل الاجتماعية والإدارية، القبلية والجهوية، لتبقى عائقًا أمام مشاركة الفرد في الحياة السياسية الليبية[88]. وعندما انهار النظام في عام 2011، وجد الأفراد في هذه الفواصل الملاذ الوحيد للاحتماء، في ظلّ حالة الفوضى العامة التي شهدتها ليبيا بعد ذلك.

ساهم النظام القبلي في تعميق الثقافة السياسية للفرد الليبي، إبان حقبة القذافي وما أعقبها، وبلورة جانب مهم من منظومته القيمية. يتضح ذلك في الصفات التي غُلّبت على السلوك الفردي؛ أهمها: الخضوع وطاعة ولي الأمر وعدم تقبل الرأي الآخر وبقاؤه ضمن دائرة القبيلة المغلقة، وهو ما جعل ثقافته السياسية تتأرجح ما بين المفككة والموجهة، كما ذكر سابقًا[89]. وهذا يفسر جانبًا من غياب المؤسسات والمواطنة في ليبيا، وتعثّر مسار التقدم نحو الديمقراطية وضعف الهوية الوطنية الجامعة أمام الولاءات والانتماءات الإرثية الضيقة.

4. العامل الخارجي

منذ اندلاع الصراع الحالي في ليبيا، جاء التدخل الخارجي بالشؤون الليبية بطريقتين: **الأولى**، على نحو مباشر، كما حدث في عام 2011 بتدخل حلف شمال الأطلسي "الناتو" مباشرةً في حسم المواجهة ضد نظام القذافي. أما **الثانية**، فأخذ الشكل غير المباشر، وذلك بتقديم جهاتٍ خارجية الدعم، كلٌ لطرفٍ حليفٍ من الأطراف الليبية المتناحرة. هذا التدخل بشكليه الأول والثاني يُعزى إلى أسبابٍ اقتصادية، كالاستحواذ على الثروة النفطية الليبية، وأخرى جغرافية عبر استغلال موقع ليبيا الجيوسياسي في كبح جماح ظاهرتي الهجرة غير الشرعية والتطرف، وكذلك لمواجهة التغلغل الصيني والروسي في القارة الأفريقية. وأبرز الفواعل الدولية المؤثرة في الأزمة الليبية الحالية هي فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا،

---

82 عمور، ص 261.

83 "Libya," The World FactBook, CIA, accessed on 13/5/2022, at: https://bit.ly/48k5QCC

84 عمور، ص 260-261.

85 محمد نجيب بوطالب، **الظواهر القبلية والجهوية في المجتمع العربي المعاصر: دراسة مقارنة للثورتين التونسية والليبية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 143-144.

86 سليم ناصر بركات، "الثقافة السياسية: مفهوم وممارسة"، **مجلة الموقف الأدبي**، مج 50، العدد 606 (تشرين الأول/ أكتوبر 2021)، ص 5.

87 يوسف سالم عبد العالي امطير، "العوامل الداخلية وأثرها على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا"، **المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية**، العدد 1 (2021)، ص 131.

88 زايد عبيد الله مصباح، "إشكاليات بناء الدولة الديمقراطية في ليبيا: القيم واتخاذ القرار"، **المستقبل العربي**، السنة 35، العدد 403 (أيلول/ سبتمبر 2012)، ص 76-79.

89 الفيتوري صالح السطي، "الثقافة السياسية في المجتمع الليبي"، **مجلة شؤون اجتماعية**، العدد 135 (2017)، ص 191.

وهي القوى نفسها التي تحكّمت في ليبيا قبل الاستقلال، حتى بات المشهد الليبي الراهن مشابهًا لذاته بتعقيداته الآنفة[90].

بنت القوى الكبرى، السالفة الذكر، شبكة حلفائها ومصالحها وفق أولويات حضورها الجغرافي على أرض ليبيا، ويتضح ذلك في الدعم الإيطالي والأميركي لحكومة طرابلس، حفاظًا على مصالح كل منهما النفطية في الإقليم الغربي[91]. أما فرنسا، فقد ركزّت حضورها في الإقليم الشرقي بدعمها العسكري والسياسي لقوى الكرامة التي يقودها حفتر[92].

شكّل التضارب في مصالح القوى الكبرى عاملًا مهمًا في الأزمة الليبية؛ إذ حدّ من إمكانية تحوّلها إلى دولة حديثة[93]. وقد سعت كل قوةٍ من هذه القوى لجعل ليبيا جزءًا من نفوذها، وفضائها الجغرافي والاقتصادي والعسكري. وشكّل تدخل هذه القوى في الأوضاع الليبية عاملًا مساعدًا في إحداث حالة من الفراغ السياسي والأمني بانتقال ليبيا من حالة الدولة إلى حالة اللادولة (حالة الفوضى العامة)، وذلك بتفشّي ظواهر حمل السلاح والتعصّب والتفتت وعودة طغيان الهويات الفرعية (الجهوية والقبلية).

وفي إطار هذا المشهد الخارجي، برزت أيضًا قوى إقليمية، تحاول أن تجعل لنفسها موطئ قدم في ليبيا، ومنها: قطر والسودان وتركيا والسعودية والإمارات ومصر. وبتدخلاتها المتفاوتة، عزّزت هذه القوى الإقليمية الانقسام الداخلي في ليبيا، من خلال دعم بعضها حفتر، مثل مصر والإمارات والسعودية[94]، في شرق ليبيا، ودعم بعضها الآخر حكومة الوفاق الليبية، مثل تركيا وقطر والسودان، في غرب ليبيا[95].

خاتمة

إن أزمة تكوين الدولة الحديثة في ليبيا ذات جذور اجتماعية وسياسية. فقد غابت الوحدة الوطنية، بين المكوّنات الليبية، في جُل الحقب المتعاقبة، وصولًا إلى اليوم؛ إذ انتقلت الدولة الليبية الهشّة من حالة الضعف، المغطّى بسلطوية القذافي، إلى حالة الفشل[96] والتفكك، وهو ما ارتبط بمحددات قبلية وجهوية أضعفت الثقافة السياسية الموحِّدة، وتقاطعت مع عوامل خارجية مفتِّتة.

ارتبطت الأزمة، في الأساس، بالنشأة غير الطبيعية للدولة الليبية؛ إذ لم تنشأ على نحو تدريجي انسيابي، أو بموجب تفاهم مجتمعي أفضى إلى تعاقد معيّن، إنما أُسقط نموذج الدولة على ليبيا وفق ترتيبات استعمارية خاصة، استثمرت الجهوية والقبلية للسيطرة، وهذا ما عزّز غياب المركز وضعف المواطنة بالارتكاز على العلاقة الزبائنية في الحكم خلال الفترات اللاحقة.

لم تنتهِ الأزمة الليبية بنيل الاستقلال في عام 1951؛ إذ فشلت الحكومات الوطنية المتعاقبة في تجاوز الأزمات البنيوية المذكورة أعلاه، وبناء نموذج حكم قائم على قاعدة مؤسساتية وقانونية راسخة، تحقق من خلالها المواطنة، وتخلق نموذجًا للتكامل والاندماج والتعايش السلمي. كما أخفقت في بناء قاعدة إنتاجية، تستغل الموارد المالية المتأتية من قطاع النفط[97].

أوجد الفشل في إدارة شؤون الدولة، بتنوّعها العرقي والقبلي والجهوي، بيئة داعمة لبقاء عناصر الأزمة الليبية ومظاهرها، ومنها: غياب التعاقد الاجتماعي، وضعف المؤسسات وتفككها، والاعتماد على نمط الحكم السلطوي - المستبد وطغيان الاعتبارات القبلية والجهوية والعرقية على المشهد السياسي، وانقسام الولاءات وفقًا للاعتبارات الآنفة الذكر، وبروز ظاهرة التطرف والعنف وابتعاد الليبيين عمومًا، عن الثقافة السياسية المشاركة، ومن ثم عن مفهوم الدولة الحديثة

---

90 عبد الله، "ليبيا بين مفارقات المشهد الداخلي والمواقف الإقليمية والدولية"، ص 153.

91 المرجع نفسه، ص 153.

92 شبين، ص 375.

93 كان هناك أهداف أخرى أرادت القوى الغربية أن تحققها من التدخل في الأزمة الليبية؛ منها: الحد من التغلغل الصيني في القارة الأفريقية بعامّة، وفي ليبيا بخاصّة. للمزيد ينظر: محمد عبد الحفيظ المهدي، "أثر التدخل الخارجي على الثورة الليبية 2011"، **مجلة شؤون عربية**، العدد 162 (صيف 2015)، ص 178-179.

94 للمزيد، ينظر:
Jonathan M. Winer, "Origins of The Libyan Conflict and Options For Its Resolution," *Policy Paper*, Middle East Institute (May 2019), p. 8, accessed on 13/5/2022, at: https://bit.ly/3HL8RAS

95 للمزيد، ينظر: حجال، ص 136.

96 تجدر الإشارة إلى أن الدولة الفاشلة تتّسم بمجموعة من الخصائص، أهمها: وجود جهات أخرى تنازع الحكومة استخدام العنف، ووجود صراعات داخلية تأخذ أشكالًا متعددة (حرب أهلية، تمرد، نزاعات حول الموارد المتاحة)، وفقدان الحكومة المركزية السيطرة على جزء من الإقليم، وفشلها في إدارة التنوع في البنية الاجتماعية المكونة للدولة، وتعرض الأقليات للاضطهاد من الغالبية، وغياب الرضا المجتمعي تجاه النظام السياسي القائم. يراجع:
Robert I. Rotberg (ed.), *State Failure and State Weakness in a Time of Terror* (Washington DC: Brookings Institution Press, World Peace Foundation, 2003), ch. 1, p. 5.

97 يجدر التوضيح أن الثروة النفطية اكتشفت، في ليبيا، في نهاية خمسينيات القرن الماضي، وبدأ العمل بإنتاجها وتصديرها في مطلع الستينيات، لتنتقل ليبيا نقلة كبيرة من الدول الفقيرة إلى الدول الغنية بالثروة النفطية، وباتت تحتل المركز الخامس عالميًا في احتياطياتها من النفط الصخري، وتشكل حصتها 2 في المئة من الحصة العالمية، وأصبحت دولة ريعية تعتمد على السلعة النفطية في إيراداتها المالية. لكن لم يوظف هذا الانتقال من الحكومات الوطنية المتعاقبة في التحديث الاقتصادي والسياسي، وكذلك في بناء بنية تحتية تقلل المسافة بين المركز والأطراف، فقد استخدم ريع السلعة النفطية من العقيد معمر القذافي في دعم تشبثه بالسلطة، وتعزيز تحالفاته مع الأطراف المحلية، وشراء الولاءات القبلية، بدلًا من استثمارها في عملية التحديث، وتحقيق التنمية بأشكالها كلها. يراجع: يوسف محمد الصواني، "الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي"، **المستقبل العربي**، العدد 431 (كانون الثاني/ يناير 2015)، ص 9-11.

والحكم الديمقراطي، واصطفافهم خلف هوياتهم المحلية الضيقة، ومصالحهم الخاصة، على حساب الهوية الوطنية الجامعة، والمصلحة الوطنية العامة. فالأزمة الراهنة في ليبيا هي ليست وليدة فترة حكم القذافي، المسؤول على نحو مباشر عن مفاقمة أسباب الأزمة التي تمر بها البلاد حاليًا، فحسب، إنما تعود بالتراكم إلى ما قبل حصول ليبيا على الاستقلال، مرورًا بفترة الحكم الملكي فيها.

ازداد المجتمع الليبي، في فترة ما بعد القذافي، تفتتًا، حيث أخذ البعد العرقي دورًا أكبر من السابق، وذلك ببروز دور المكونات الأمازيغية - البربرية[98] والتبو والطوارق بوصفها فواعل تدافع عن خصوصيتها الثقافية، وهويتها العرقية "الإثنية" في مواجهة التمييز والإقصاء اللذين عانتهما، بحسب ادّعاءاتها. ولعل نظام التسويات الذي اتّبعته القوى الليبية بعد الثورة، لم يحقق الرضا لدى هذه المكونات، بما في ذلك المكونات القبلية ذات العقلية المنغلقة على السعي خلف مصالحها الضيقة.

ترتبط حالة عدم الاستقرار التي تشهدها ليبيا في الوقت الراهن، إلى حدٍ كبير، بغياب العمل المؤسسي في فترة حكم القذافي الذي ألغى مؤسسات الدولة ولم يُتح لها المجال للتطور والارتقاء طوال فترة حكمه. أضف إلى ذلك، عدم الاحتكام في الحكم إلى دستور رسمي، ومنع عمل الإعلام المستقل، وكذلك المجتمع المدني، وتجلى ذلك في حظر نشوء الأحـزاب السياسية التي تعتبر أهم أدوات الفعل السياسي[99].

هناك **انعكاسات محتملة** على مستقبل ليبيا في ظل استمرار هذا الواقع المعقد، فحالة عدم الاستقرار تهدد بقاء ليبيا دولة موحدة ضمن حدودها الحالية لمصلحة كيانات جهوية، تستند إلى الهوية الفرعية أمام الأطر السياسية الجامعة. كما يسهل في ظل هذا الواقع تعمّق العامل الخارجي المستفيد من هشاشة الكيان الجامع، إذ استطاع العديد من الدول العمل في ليبيا كنقطة ارتكاز إقليمي، متجاوزةً هياكل الدولة، عبر التحالف مع قبائل ومكونات جهوية، وهذا مرشح للتصاعد.

ختامًا، يوجد دائمًا **فرصة للخروج** من الأزمة الليبية الراهنة، وبناء ليبيا جديدة، وذلك من خلال الترفع عن الخلافات القائمة، وفتح صفحة جديدة، والانطلاق إلى المستقبل برؤية وطنية جامعة وعقد اجتماعي جديد، والمصالحة الوطنية. وتعتبر ليبيا دولة واعدة إذا ما تم استغلال مواردها جيدًا، وهذا يتطلّب استخلاص العبر من الماضي، وبناء مستقبل آمن متقدم يتم فيه استغلال الموارد البشرية والطبيعية التي يتمتع بها هذا البلد. إن مستقبل ليبيا السياسي في حاجة إلى دراسات متخصصة، تشتبك مع أسئلة التحوّل السياسي المركزية، ومنها سؤال العقد الاجتماعي، والهوية الوطنية، ومسارات التسوية الجامعة المفضية إلى البناء، والعلاقات الوطنية وإعادة إنتاج تعقيدات هذه العلاقات بما يخدم بناء الدولة الحديثة. فالتحول نحو الديمقراطية قد يأخذ وقتًا طويلًا، لكن هناك إمكانية لفكفكة الأزمة الراهنة تدريجيًا من خلال البدء بخطوات عملية لإنهاء الصراع السياسي، وتحييد النزعات القبلية والجهوية لمصلحة دولة المواطنة، والهوية الوطنية الجامعة، وهذا ما يتطلب التوصل إلى اتفاقٍ بين مختلف الأطراف المتصارعة على عقد اجتماعي جديد.

---

98 برز دور المكوّن الأمازيغي مبكرًا في مشهد ما بعد القذافي، وتجلّى ذلك في إنشاء المؤتمر الوطني الأمازيغي الليبي في عام 2011. تمحورت مطالب الأمازيغيين القومية في منحهم حصة في التمثيل السياسي بمؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية، وكذلك إدراج اللغة الأمازيغية ضمن النصوص الدستورية بوصفها لغة رسمية في ليبيا، إلى جانب العربية، والاعتراف بالمذهب الديني الخاص بهم (الإباضي)، ومنحه حيّزًا خاصًا في ممارسة الطقوس الدينية. وانطلقت هذه المطالبات من خصوصية عرقية ومذهبية، وهذا الطرح قد يؤدي إلى إنشاء نظام سياسي ليبي يقوم على المحاصصة والزبائنية، الأمر الذي يتعارض مع مفهوم الدولة المدنية الحديثة القائمة على المساواة في الحقوق والواجبات، بغض النظر عن الاعتبارات الثقافية والدينية والإثنية. يراجع: عبد الله، **الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية بين ممكنات التكيف وأزمة الاندماج الوطني**، ص 46-49.

99 Michelle Muita (ed.), *Libya Conflict Insight*, IPSS Peace & Security Report, vol. 1, Institute for Peace and Security Studies, Addis Ababa University, 2018.

المراجع

العربية

أبو حسن، ياسر. "الدولة القومية الحديثة الراشدة: المفاهيم والمعايير والمتطلبات". **مجلة دراسات مجتمعية**. العدد 15 (حزيران/ يونيو 2016).

احميدة، علي عبد اللطيف. "دولة ما بعد الاستعمار والتحوّلات الاجتماعية في ليبيا". **تبين**. مج 1، العدد 1 (آب/ أغسطس 2012).

_____ (معد). **دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا: الواقع والتحديات والآفاق.. الجزء الثاني من دراسة أولية لمشروع الحوار الاجتماعي والاقتصادي الليبي**. بيروت/ الأمم المتحدة: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، 2020.

امطير، يوسف سالم عبد العالي. "العوامل الداخلية وأثرها على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا". **المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية**. العدد 1 (2021).

الأنصاري، محمد جابر. **تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية: مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.

الدولة الوطنية المعاصرة: أزمة الاندماج والتفكيك. تحرير أحمد عوض الرحمون. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.

الأيـوبي، نزيه نصيف. **العرب ومشكلة الـدولـة**. بيروت: دار الساقي، 1992.

بدوي، أحمد موسى. "تحوّلات الثورة الليبية: تفكيك الدولة وزرع الإرهاب". **مجلة آفاق سياسية**. العدد 16 (نيسان/ أبريل 2015).

بركات، سليم ناصر. "الثقافة السياسية: مفهوم وممارسة". **مجلة الموقف الأدبي**. مج 50، العدد 606 (تشرين الأول/ أكتوبر 2021).

بروشين، نيكولاي إيليش. **تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969**. ترجمة عماد حاتم. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2001.

بشارة، عزمي. **في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.

_____. **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

بلقزيز، عبد الإله. "مشكلات ما بعد سقوط نظام القذافي". **المستقبل العربي**. السنة 34، العدد 393 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2011).

بن عمور، خالد محمد. "عناصر الضعف الجيوبوليتيكية وأثرها على كيان الدولة الليبية: دراسة في الجغرافيا السياسية". **مجلة أبحاث** (جامعة سرت). العدد 13 (آذار/ مارس 2019).

بوطالب، محمد نجيب. **الظواهر القبلية والجهوية في المجتمع العربي المعاصر: دراسة مقارنة للثورتين التونسية والليبية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

التامر، عبادة محمد. **سياسة الولايات المتحدة وإدارة الأزمات الدولية: إيران – العراق – سورية - لبنان أنموذجًا**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

التير، مصطفى عمر. **صراع الخيمة والقصر: رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي**. بيروت: منتدى المعارف، 2014.

الجرباوي، علي. **المعرفة، الأيديولوجية، والحضارة: محاولة لفهم التاريخ**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2021.

الجمل، شوقي عطا الله. **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر: ليبيا – تونس – الجزائر - المغرب الأقصى (مراكش)**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2009.

حجال، صادق. **ليبيا وإشكالية بناء الدولة - الأمة 1951-2017م**. عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2019.

حسين، خليل. **التاريخ السياسي للوطن العربي**. تقديم محمد المجذوب. بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2012.

حيدر، رمضان عبد السلام. "الانتقال من مرحلة الثورة إلى مرحلة بناء الدولة". **مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية**. العدد 25 (2014). في: https://bit.ly/49iTPht

الخليل، كربال إبراهيم، وخلاصي كعسيس خليدة. "إشكاليات اندماج القبيلة في مسار إعادة بناء الدولة الليبية بعد 2011 في ظل التحولات النظرية: مقاربة تحديثية بنائية". **المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية**. مج 16، العدد 1 (2021).

خير بك، بشرى، وعقيل نمير. **تاريخ الوطن العربي المعاصر "المغرب العربي"**. دمشق: جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2015-2016.

رميح، طلعت. "ليبيا: الحل السياسي المأزوم والصراع العسكري الملغوم". **مجلة البيان**. العدد 391 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2019).

سالم، علي محمد علي. "ليبيا الحرة: ليبيا من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية". **مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية**. عدد خاص: أبحاث المؤتمر العلمي الدولي (الثورة والقانون). كلية الحقوق. جامعة الإسكندرية (كانون الأول/ ديسمبر 2011).

السطي، الفيتوري صالح. "الثقافة السياسية في المجتمع الليبي". **مجلة شؤون اجتماعية.** العدد 135 (2017).

سيمونز، جيف. **ليبيا والغرب من الاستقلال إلى لوكربي.** ترجمة وتقديم نقولا زيادة. أكسفورد: مركز الدراسات الليبية، 2013.

شبين، عدنان. "النزاع الاجتماعي الممتد في ليبيا بين رهانات العنف وتداعيات انهيار الدولة". **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية.** مج 3، العدد 5 (2020).

الشرجبي، عادل مجاهد. "أزمة عجز الدولة وخطر انهيارها: حالة اليمن"، في: **أزمة الدولة في الوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مركز كارنيغي للشرق الأوسط والجمعية العربية للعلوم السياسية.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011.

الشيخ، محمد عبد الحفيظ. "ليبيا بين الصراع السياسي والصراع المسلح: التحديات والآفاق". **مجلة دراسات شرق أوسطية.** مج 19، العدد 71 (2015).

الشيخ، محمد. "إشكالية تعثر الانتقال الديمقراطي في ليبيا بعد 2011". **مجلة دراسات شرق أوسطية.** مج 18، العدد 68 (صيف 2014).

الصواني، يوسف محمد جمعة. **ليبيا الثورة وتحديات بناء الدولة.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.

_____. "الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي". **المستقبل العربي.** العدد 431 (كانون الثاني/ يناير 2015).

عبد الله، بلال. **الحراك الأمازيغي وديناميات الحياة السياسية الليبية بين ممكنات التكيف وأزمة الاندماج الوطني.** أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014.

_____. "ليبيا بين مفارقات المشهد الداخلي والمواقف الإقليمية والدولية". **مجلة السياسة الدولية.** مج 52، العدد 205 (تموز/ يوليو 2016).

_____. "لماذا تتعثر محاولات بناء نظام انتقالي في ليبيا؟". **مجلة الديمقراطية.** العدد 75 (تموز/ يوليو 2019).

علام، مصطفى شفيق. "القبلية والثورات العربية: نموذجا اليمن وليبيا". **مجلة البيان.** العدد 9 (2012).

علي، خالد حنفي. "سقوط الجماهيرية: من يحكم ليبيا بعد القذافي؟" **مجلة السياسة الدولية.** مج 46، العدد 186 (تشرين الأول/أكتوبر 2011).

_____. "دولة منزوعة السيطرة: محفزات وكوابح تفكك ليبيا بعد الثورة". **مجلة السياسة الدولية.** مج 49، العدد 195 (كانون الثاني/ يناير 2014).

الغذامي، عبد الله. **القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة** ط 2. بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2009.

الغضبان، سهام. "ليبيا ما بعد القذافي: معوقات بناء الدولة". **مجلة الإسلام والعالم المعاصر.** مج 7، العدد 3-4 (2012).

غليون، برهان. **المحنة العربية: الدولة ضد الأمة.** ط 4. بيروت/ الدوحة. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

الفاخري، مبروكة سعيد. "المملكة الجرمية في فزان منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي". **مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية.** مج 14، العدد 2 (2015).

الفاضي، جمال خالد. "مقاربة نظرية حول أزمة الدولة في المنطقة العربية". **تسامح.** العدد 67 (كانون الأول/ ديسمبر 2019).

لبدي، حنان. "ليبيا بين التفكك الداخلي والاختراق الخارجي". **دفاتر السياسة والقانون.** مج 13، العدد 3 (2021).

المجمعي، محمد شطب عيدان. "النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية". **مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية.** السنة 1، العدد 4 (2009).

مصباح، زايد عبيد الله. "إشكاليات بناء الدولة الديمقراطية في ليبيا: القيم واتخاذ القرار". **المستقبل العربي.** السنة 35، العدد 403 (أيلول/ سبتمبر 2012).

المقريف، محمد يوسف. **ليبيا بين الماضي والحاضر: صفحات من التاريخ السياسي، ج 1: ميلاد دولة الاستقلال.** مج 1. أكسفورد: مركز الدراسات الليبية، 2004.

المهدي، محمد عبد الحفيظ. "أثر التدخل الخارجي على الثورة الليبية 2011". **مجلة شؤون عربية.** العدد 162 (صيف 2015). في: https://bit.ly/3waTL52

موران، إدغار. **في مفهوم الأزمة.** ترجمة بديعة بوليلة. بيروت: دار الساقي، 2018.

موسى، هاني. "أزمة الدولة في العالم العربي: دراسة مقارنة لحالتي العراق والسودان". أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه. تونس. جامعة تونس المنار. 2018. (غير منشورة)

نصار، فتحي حسن. **ليبيا من الاحتلال الأسباني حتى الاستقلال 1510-1951.** القدس: دار الجندي للنشر والتوزيع، 2015.

ونّاس، المنصف. **الشخصية الليبية: ثالوث القبيلة والغنيمة والغلبة.** تونس: الدار المتوسطية للنشر، 2014.

الأجنبية

Hweio, Haala. "Tribes in Libya: From Social Organization to Political Power." *African Conflict and Peacebuilding Review* (Indiana University Press). vol. 2, no. 1 (Spring 2012).

Muita, Michelle (ed.). *Libya Conflict Insight*. IPSS Peace & Security Report. vol. 1. Institute for Peace and Security Studies. Addis Ababa University, 2018.

Rotberg, Robert I. (ed.). *State Failure and State Weakness in a Time of Terror*. Washington DC: Brookings Institution Press, World Peace Foundation, 2003. at: https://bit.ly/42ndYRs

Winer, Jonathan M. "Origins of The Libyan Conflict and Options Forfor Its Resolution." *Policy Paper*. Middle East Institute. May 2019. at: https://bit.ly/3HL8RAS

Yahaya, Jibrin Ubale, Jibrin Jibrin & Musa Mohammed Bello. "Libyan Crisis and The Escalation of Conflict and Insecurity in Africa." *International Journal of Humanities and Social Sciences*. vol. 18, no. 4 (March 2020).

صـدر حديـثًا

تـأليف: مجموعة مؤلفين

الدســاتير والانتقال الديمقراطي: قضايا وإشــكالات في ســياق الربيع العربي

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ضمن سلسلة "دراسات التحوّل الديمقراطي"، التي تصدر عن مشروع "التحول الديمقراطي ومراحل الانتقال في البلدان العربية"، الذي دشنه المركز في عام 2016، كتاب **الدساتير والانتقال الديمقراطي: قضايا وإشكالات في سياق الربيع العربي**، في إطار رسالته الداعمة للجهود البحثية في قضايا تطور المجتمعات العربية وتحولاتها نحو الوحدة والديمقراطية، فضلًا عن قضايا الحكم الرشيد، وإدارة شؤون المجتمع، والمواطنة، والمشاركة السياسية، والتطور الدستوري، والتنمية والعدالة الاجتماعية، والاقتصاد السياسي وغيرها. حرر الكتاب عبد الفتاح ماضي وعبده موسى البرماوي، وهو يقع في 816 صفحة، شاملة ببليوغرافيا وفهرسًا عامًا.

التسلم Received 2023-2-20
التعديل Revised 2023-5-10
القبول Accepted 2023-7-2
المعرّف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430/HVVD7517

وديع العرابيد | Wadee Alarabeed*

نهج دول الخليج المانحة عبر الرابطة الثلاثية في السياقات الهشة والمتضررة من الصراع: الواقع والتحديات والآفاق

The Approach of Gulf Donor Countries Through the HDP Triple Nexus in Fragile and Conflict-affected Contexts: Reality, Challenges, and Prospects

ظهرت دول الخليج الأربع، السعودية والإمارات والكويت وقطر، خلال العقود الماضية، بوصفها دولًا مانحة نشطة، تقوم بأدوار بارزة في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراعات في المجالات الإنسانية والتنموية والمرتبطة بالسلام. وفي حين تبرز معظم مساعداتها الخارجية في المجالين الإنساني والتنموي، فقد بقيت مساعداتها المتعلقة بالسلام مجهولة الاتجاه وينقصها التحليل الكافي نتيجة لغياب نظام توثيق رسمي يصدر عن المانحين الخليجيين في هذا المجال. ولسدّ هذه الثغرة، تتناول هذه الدراسة تدفقات المساعدات الخارجية للدول الخليجية المانحة عبر عدسة الرابطة الثلاثية أو نهج الإنسانية والتنمية والسلام. ويشير التحليل إلى أن دول الخليج المانحة لا تتصرف مع المساعدات المقدّمة بطريقة تتوافق مع حركة الإصلاحات التي قادتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الخاصة بنهج الرابطة الثلاثية. وتظهر النتائج أن تحديات التطبيق الكامل لهذا النهج في سياسات المساعدة الخارجية لهذه الدول تتمثل في ضعف التنسيق بين المانحين الخليجيين وغيابه، وضعف تبادل البيانات والمعلومات والتحليلات المشتركة، إضافة إلى عمل المانحين ضمن إطار التمويل الثنائي.

كلمات مفتاحية: دول الخليج المانحة، الرابطة الثلاثية، سياسات المساعدات الخارجية، المناطق الهشّة والمتضررة من الصراعات.

Over the past decades, the four Gulf states—Saudi Arabia, the United Arab Emirates, Kuwait, and Qatar—have emerged as active donor countries, playing prominent roles in fragile and conflict-affected areas in the humanitarian, developmental, and peace-related fields. While most of their foreign aid is visible in humanitarian and development sectors, their peace-related assistance remains directionally unclear and lacks sufficient analysis due to the absence of an official documentation system issued by Gulf donors in this area. To address this gap, this paper examines the foreign aid flows of Gulf donor countries through the lens of the Humanitarian-Development-Peace Triple Nexus. The analysis suggests that Gulf donor countries do not align their aid with the reform movement led by the Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD) regarding the HDP Triple Nexus. The results reveal that the challenges to fully implementing this approach in the foreign aid policies of these countries include weak coordination among Gulf donors, the absence thereof, inadequate exchange of data, information, and joint analysis, in addition to operating within a framework of bilateral funding.

Keywords: Gulf Donor Countries, Triple Nexus, Foreign Aid Policies, Fragile and Conflict-Affected Areas.

* باحث، مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني.
Researcher, Center for Conflict and Humanitarian Studies. Email: wadee.alarabeed@chs-doha.org

مقدمة

على مدى السنوات الماضية، برزت دول الخليج المانحة الأربع، السعودية والإمارات والكويت وقطر، بوصفها مساهِمة رئيسة في المساعدات الإنسانية والإنمائية والمتعلقة بالسلام خارج المنتدى التقليدي لأعضاء منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وقد تميزت مساعداتها للسياقات الهشّة والمتضررة من الصراعات المختلفة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأماكن أخرى، بكونها تُعبّر في الأساس عن تعهدات ومساهمات استراتيجية متأصّلة وبوصفها جزءًا لا يتجزأ من أدوات السياسة الخارجية لهذه الدول، فضلًا عن أنها "مدفوعة بمبادئ دينية راسخة، قوامها الأعمال الخيرية التي كثيرًا ما تُصاغ وفقًا للأهداف السياسية الوطنية للبلدان المانحة على وجه الخصوص"[1]. وإضافةً إلى ذلك، فهي تعكس المواقف المبدئية المتعلقة بالأمن البشري والتكامل الثقافي وسيادة الدولة" والمصلحة الوطنية[2]، بالتزامن مع تأطير هذه المساعدات باعتبارها تهدف على نحو واضح إلى تحقيق السلام والأمن الدوليَين. وغالبًا ما يجري تهميش مثل هذه الحقائق - تحديدًا تلك المتعلقة بدوافع تحقيق الأمن والسلام للمساعدات الخليجية - في الدراسات الأكاديمية، خصوصًا عند مقارنة توجهات دول الخليج المانحة في المساعدة الخارجية بالمانحين الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أجندة "الإصلاح الهيكلية" الخاصة بالرابطة الثلاثية تستهدف الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، لذلك فهي لم تكن ملزمة لدول الخليج المانحة[3]. وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات الجوهرية في عمل المنظمة ودول الخليج المانحة، مع الأخذ في الحسبان وجود خصائص مشتركة، مثل اهتمام الأخيرة التاريخي بتوجيه التمويل إلى برامج البنية التحتية الاجتماعية، فإن السنوات الأخيرة شهدت بعض أوجه التقارب بين الجهتين (ما يعرف في الدراسات التعاون بين الشمال والجنوب). وتُعدّ مشاركة دول الخليج العربية المانحة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (الإمارات في عام 2014، وقطر في عام 2016، والكويت والسعودية في عام 2018[4]، مع بروز توجّهات للعمل ضمن عدسة الرابطة الثلاثية، خصوصًا في السياقات الهشّة والمتضررة من الصراعات، من أبرز تمظهرات هذا التقارب[5].

تُظهر البيانات أن هناك ميلًا نسبيًا لدى دول الخليج إلى تأطير سياسات المساعدة الخاصة بها وعملياتها عبر عدسة الرابطة الثلاثية، وفي هذا تبرز بعض المزايا النسبية بوصفها من الفاعلين المحتملين لتمويل برامج ضمن هذا الفضاء، لكنها تواجه تحديات كبيرة باعتبارها مانحة في التبني الكلي لمثل هذا الدور. هذه التحديات مترابطة ومتعددة الأبعاد. على سبيل المثال، تشمل بعض العوائق التي تحول دون قيام دول الخليج بدور في تعزيز الرابطة الثلاثية، غياب وجود مفهوم واضح لما يعنيه نهج الرابطة الثلاثية، وتحديدًا من الناحية العملية، ومن ثمّ يؤدي ذلك إلى خلل في التنفيذ. وفي حين تُعبّر دول الخليج عن المساعدات الخارجية بأنها تهدف إلى تحقيق السلام، في التصريحات الرسمية، فإنّها غالبًا ما تؤطر مساهماتها في ظل "الصوامع التقليدية" التي تفضّل الربط بين المساعدات الإنسانية والتنموية (الرابطة الثنائية)، وليس نهج العلاقة الثلاثية بين المساعدة الإنسانية والتنمية والسلام. ومن العوائق أيضًا أن تبنّي نهج الرابطة الثلاثية يحمل في طيّاته العديد من المخاوف، خاصة عند التفكير في المعاني المختلفة التي تعكسها مساعدات السلام. وهناك من عبّر عن أن هذا النهج قد يثير العديد من الحساسيات السياسية التي قد تُعرّض حياد المنظمات الإنسانية للخطر، إلى جانب عدم وضوح النهج حين تطبيقه على آليات المساعدات الخارجية لدول الخليج بسبب غياب بعض الحقائق حول طبيعتها، لذلك فإن مسألة تبنّيه بالكامل في السياسات تُعدّ صعبة ومعقّدة جدًا. علاوة على ما سبق، فإن ضعف آليات التنسيق والإبلاغ وأطر السياسات المتباعدة بين العمل الإنساني والتنموي والسلام، والخطوط غير الواضحة التي تحدد بدقة نماذج العمل الإنساني والتنموي والمشاريع المتعلقة بمساعدات السلام، وضعف التنسيق وتبادل المعلومات وغياب التحليلات المشتركة الصادرة عن دول الخليج، كما سنوضح لاحقًا بالتفصيل، يجعل ذلك كله من التتبع الدقيق لوجهة المساعدة في ضوء الرابطة الثلاثية موضوع بحث صعب، وبالغ الأهمية في آنٍ معًا[6].

1 Elia Zureik, "Qatar's Humanitarian Aid to Palestine," *Third World Quarterly*, vol. 39, no. 4 (2018), p. 794.

2 Sultan Barakat & Stephen Zyck, "Gulf State Assistance to Conflict-Affected Environments," Kuwait Programme on Development, Governance and Globalisation in the Gulf States, The Centre for the Study of Global Governance, LSE (2010).

3 Sultan Barakat & Ghassan Elkahlout, "Gulf State Donors across the Humanitarian-Development-Peace Nexus," Gulf Research Center Cambridge (2022), accessed on 26/3/2023, at: https://bit.ly/3ns9mJ6

4 Ibid.

5 Pauline Veron & Volker Hauck, "Connecting the Pieces of the Puzzle: The EU's Implementation of the Humanitarian-Development-Peace Nexus," *Discussion Paper*, no. 301, The European Centre for Development Policy Management (ECDPM) (June 2021).

6 ينظر: "فعالية "إطلاق تقرير الأثر السنوي 2021 لقطر الخيرية"، مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني، يوتيوب، 2022/9/12، شوهد في 2023/3/26، في: https://bit.ly/42mIwTf

ومع مرور أكثر من عقد على صعود أجندة الرابطة الثلاثية على المستوى العالمي، فإن هناك حاجة ملحّة إلى دراسة توجهات المساعدات الخارجية عبر عدسة الرابطة الثلاثية، التي بدأت تظهر حديثًا في بيانات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، لدى دول الخليج المانحة تحديدًا، وتبيان موقعها في ما يتعلق بالعلاقة الثلاثية، ومناقشة التحديات التي تواجهها في تبنّي مثل هذا النهج. وللقيام بذلك، تقدّم هذه الدراسة بعض التأملات النظرية التي توضح ماهية الرابطة الثلاثية، ومن ثم تحلّل طبيعة الدور الحالي لدول الخليج بوصفها جهات فاعلة في تعزيز نهج الرابطة الثلاثية ومدى قدرتها على الظهور باعتبارها من الناشطين التحوّليين في هذا المجال. وتتّبع الدراسة تقنية تحليل المحتوى، التي تُمكّن من توثيق مشاركة دول الخليج المانحة في الرابطة الثلاثية في السياقات الهشّة والمتضررة من الصراعات، وتحليل البيانات المعروضة على نظام التتبع الخاص بمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، واعتمادًا على مسح للأدبيات ذات الصلة، والتي تتضمن مجموعة من الدراسات الأكاديمية وأوراق السياسات الصادرة عن المنظمات الدولية وملخصات التقارير الإعلامية التي جرى تحليلها من الصحف الإنكليزية والعربية. وتفيد تقنية تحليل المحتوى في كونها تضع المساعدات الخارجية الموثّقة في الجداول المرفقة في هذه الدراسة ضمن سياق، وتعوّض عن عدم إمكانية الحصول على البيانات الرسمية للمساعدات الخارجية بسبب انعدام نظام توثيق رسمي يصدر عن المانحين الخليجيين في هذا المجال[7]. وتعتمد الدراسة أيضًا على الخبرة التراكمية للباحث في المجال، نظرًا إلى انخراطه في المنطقة خلال السنوات الماضية. تبدأ الدراسة بمراجعة أدبية لتصوّر نهج الرابطة الثلاثية، ثم تحلّل دور دول الخليج في تعزيز هذا النهج، ومن ثم تبيّن موقع دول الخليج في ما يتعلق به، وتختم بمناقشة التحديات أمام تنفيذ هذا النهج في العالم العربي ودول الخليج المانحة.

أولًا: المراجعة الأدبية: نهج الرابطة الثلاثية

شهد العالم بعد الحرب الباردة مجموعة من التحوّلات السياسية والاجتماعية التي أثّرت في سياق ومفهوم تدخلات الأطراف الثالثة في الاستجابة في المناطق الهشة والمتأثرة بالنزاعات والأزمات. وأخذت تدخلات الأمم المتحدة ووكالاتها والحكومات المانحة والمنظمات غير الحكومية الدولية والوطنية والمحلية في المجالات كلها، الإنسانية والتنموية وبناء السلام، نصيبها من هذه التحولات؛ إذ توجّه تركيزها على نحوٍ متزايد إلى الاستجابة ضمن نهج يربط بين العمل الإنساني والتنمية والسلام، وخصصت موارد وجهودًا كبيرة لهذا الغرض. وكذلك شجّعت النكسات التي واجهتها الاستجابات الطارئة والقصيرة الأجل في العديد من السياقات الهشّة والمتضررة من الصراعات، مثل رواندا والبوسنة والهرسك في تسعينيات القرن الماضي، نظرًا إلى الفشل في معالجة الأسباب الجذرية للنزاعات وتركيزها على أنشطة الإغاثة فحسب، على أن تكون الرابطة الثلاثية على رأس جدول الأعمال العالمي طوال العقد المنصرم. وقد تَبدّت الرابطة الثلاثية بدايةً بوصفها نهجًا إصلاحيًا لنظام المعونة الإنسانية والتنموية لدى دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، ثم تحوّلت إلى نهج عالمي. وقد شكّل قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2282 (2016) بشأن مراجعة هيكل الأمم المتحدة لبناء السلام، والخطاب الافتتاحي للأمين العام للأمم المتحدة في عام 2016، الأرضية الصلبة لدعم نهج الرابطة الثلاثية وتبنّيه على نطاق واسع من خلال تأكيد أهمية العمل معًا من أجل "إعطاء الأولوية للوقاية من الأسباب الجذرية ومعالجتها، ولمؤسسات الدعم من أجل السلام والتنمية المستدامين"[8]. ويشير هذا التركيز إلى أن نهج الرابطة الثلاثية لا يُعدّ جزءًا من جدول أعمال يتجاوز المنطقة المألوفة للعمل الإنساني فحسب، لكن الأهم من ذلك أنه يُعترف به الآن عنصرًا أساسيًا في تحقيق الاستقرار والأمن العالميَين والقضاء على الفقر في القرن الحادي والعشرين.

يتمثّل أحد أبرز العوامل التي دفعت بهذا النهج إلى الأمام في معالجة أوجه القصور المتجذّرة في نظام المساعدة الإنسانية والإنمائية لدول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، البالغ عددها 38 دولة حول العالم. وتتمثل أوجه القصور هذه في فشل آليات الاستجابة الإنسانية والتنموية في معالجة الآثار الطويلة للأزمات والحروب، وانعدام آليات استجابة متكاملة للنزاع، وعدم القدرة على إثبات فاعلية المعونة في الانتقال من الحرب إلى السلام وتحقيق التنمية الطويلة المدى، وضعف التنسيق بين الفاعلين في المنظومة الإنسانية والتنموية وبناء السلام، وضعف آليات التمويل الجيدة والمرنة والمتعددة الأطراف[9]. واستجابةً لأوجه القصور هذه، نُصِح

7 لمزيد من المعلومات حول مقاربة تحليل المحتوى المستخدمة في هذا الشكل من الدراسات، ينظر: Zureik, p. 789.

8 Elizabeth Ferris, "The Humanitarian-Peace Nexus," *Research Briefing Paper*, UN Secretary-General's High-Level Panel on Internal Displacement (August 2020), accessed on 26/3/2023, at: https://bit.ly/3RjpNST

9 "Sumarry Report and a Roadmap for Future Action," Joint Workshop between the Iasc Task Team on Humanitarian-Development Nexus in Protracted Crises and the UN Working Group on Transitions on the Humanitarian-Development-Peace Nexus, 20-21/10/2016, New York, 22/11/2016, accessed on 26/3/2023, at: https://bit.ly/3LwjRp8

المساهمون في النظام الإنساني الذين لديهم إشكالات في الهياكل التنظيمية لنظم الاستجابة بإجراء المزيد من الإصلاحات الهيكلية وزيادة "الإجراءات التعاونية والتكميلية الإنسانية والإنمائية والسلام، ولا سيما في السياقات الهشة والمتأثرة بالصراعات"[10]. وينادي أنصار الرابطة الثلاثية بتعزيز الصلة بين المساعدة الإنسانية والتنمية وبناء السلام معًا، بما في ذلك إنهاء القطيعة بين أنشطة الإغاثة القصيرة الأجل والتنمية الطويلة الأجل، والتي قوّضت، على مدى سنوات، فاعلية عمليات الاستجابة للنزاعات حول العالم[11]. وتشير الدراسات النظرية كذلك إلى أن ظهور مفهوم "الهشاشة" Fragility و"المرونة" Resilience، في بدايات هذه الألفية، قد عزّز الحوارات والنقاشات الدائرة حول النماذج الشاملة والمتكاملة في الاستجابة للنزاعات[12].

وقد بادر اتجاه آخر إلى نقد نهج الرابطة الثلاثية من ناحية أنه يحمل العديد من المخاوف، خاصة عند التفكير في المعاني المختلفة التي يعكسها السلام. ويجادلون بأن هذا "قد يزيد من استغلال العمل الإنساني ويساهم في مزيد من تقلص الحيّز الإنساني، لأنه قد يمنح، على سبيل المثال، الجهات الفاعلة الحكومية دورًا مهيمنًا في برامج المنظمات وسياساتها"[13]. يركّز جزء كبير من هذا النقد على طبيعة برامج بناء السلام التي غالبًا ما تتضمن "عمليات من أعلى إلى أسفل وتتجاهل المجتمعات والثقافات والقدرات المحلية"[14]. وقد دفع ذلك العديد من الجهات الفاعلة إلى الدعوة إلى مزيد من التنسيق والتعاون بين الجهات الفاعلة الإنسانية والإنمائية - "رابطة العمل الإنساني والتنمية أو العلاقة المزدوجة أو الثنائية"[15]. وعلى هذا النحو، يُنظر إلى فئة مساعدات السلام باعتبارها أحد أبرز التحديات التي تحول دون اعتماد العلاقة الثلاثية، حيث إنها أقل وضوحًا من المساعدات الإنسانية والتنموية، خاصة من جانب الجهات الفاعلة الإنسانية. وقد جادلنا سابقًا بأن هذا التوجّه ناجم عن الخلل الهيكلي في آليات التنسيق والتعاون بين الأطراف الفاعلة في المنظومة الإنسانية، والناتج على نحو رئيس من انعدام التخطيط والبرمجة المشتركة الشاملة بين القطاعات الثلاثة على المستوى الوطني والإقليمي والدولي[16]. فالتنسيق والتعاون يؤديان إلى تبادل المعلومات وتحسين الجودة والمساءلة في العمل وتبادل الخبرات والتعلم بين الجهات الفاعلة الإنسانية والتنمية والسلام، ما يُقلّل من الفجوة بين القطاعات الثلاثة. يتضمن مكوّن السلام مجموعة من الجهات الفاعلة والمؤسسات الدولية والإقليمية والمحلية، بما في ذلك الجانب "الناعم"، لبناء السلام وحل النزاعات والهيكل الدبلوماسي للنظام الدولي، والجانب "الصعب" من حيث الأمن والاستقرار وجهود حفظ السلام[17]. أحد التفسيرات لنقص آليات التنسيق والتعاون المحددة بين الجهات الفاعلة الإنسانية والإنمائية والسلام هو عدم وجود تعريف واضح ومتماسك لإطار السياسات الإنسانية والإنمائية والسلام في بعض البلدان، وهذا يجعل تفسير دوافع الجهات الفاعلة للانخراط في سياقات النزاع في القطاعات الثلاثة أكثر صعوبة، وقد يُلقي بظلال من الشك على آليات الجودة والمساءلة المتّبعة في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراعات[18]. ومع ذلك، فقد استمرت الحركة الدولية في الدعوة إلى تبنّي نهج الرابطة الثلاثية.

جرى تأكيد أهمية هذا النهج خلال القمة العالمية للعمل الإنساني في عام 2016، حيث اتفق المشاركون (الدول والمنظمات)، بالإجماع، على الحاجة إلى تعزيز العلاقة بين العمل الإنساني والتنمية والسلام، لتحدي العوائق والعقبات المؤسسية والتنسيقية والتمويلية. كان التزام الجهات المانحة خلال القمة العالمية بما يسمى "طريقة جديدة للعمل" NWOW، يشبه حافزًا قويًا أيضًا للعمل الإنساني الناشئ مع التنمية والسلام. على الطرف الآخر، جادل تيار بأن القيام بالمهمات الإنسانية ينبغي له ألّا يتوقف عند التركيز على التدخلات الطويلة الأمد، ومع ذلك، فإن التفكير في الاستجابة الطويلة الأمد مهم، ويجب أن تجري هذه الأنشطة بالتزامن وضمن خطط وسياسات واضحة، قائمة على الجهود الجماعية والتعددية والتنسيق والتعاون المشترك بين أعضاء المجتمع الدولي[19]. وعمومًا، شكّل التزام الدول والمنظمات الدولية خلال مؤتمر القمة العالمية بما سُمي "طريقة

10 Gloria Nguya & Nadia Siddiqui, "Triple Nexus Implementation and Implications for Durable Solutions for Internal Displacement: On Paper and in Practice," *Refugee Survey Quarterly*, vol. 39, no. 4 (2020), pp. 466-480.

11 Sultan Barakat & Sansom Milton, "Localisation across the Humanitarian-Development-Peace Nexus," *Journal of Peacebuilding & Development*, vol. 15, no. 2 (2020).

12 Sultan Barakat & Anna Larson, "Fragile States: A Donor-Serving Concept? Issues with Interpretations of Fragile Statehood in Afghanistan," *Journal of Intervention and State Building*, vol. 8, no. 1 (2014), pp. 21-41.

13 Ralf Südhoff, Sonja Hövelmann & Andrea Steinke, "The Triple Nexus in Practice: Challenges and Options for Multi-Mandated Organisations," Center for Humanitarian Action (CHA) (2020), accessed on 26/3/2023, at: https://bit.ly/3xNrFdu

14 Sultan Barakat, "Gulf States and Peacebuilding: Key Characteristics, Dynamics, and Opportunities," Center on International Cooperation (April 2022).

15 Wadee Alarabeed, "Qatar's Approach across the Triple Nexus in Conflict-Affected Contexts: The Case of Darfur," *Third World Quarterly*, vol. 54, no. 1 (2024), pp. 6-23.

16 Ibid., pp. 8-9.

17 Ibid.

18 Ibid.

19 Ibid.

العمل الجديدة"، نقطة التحول لربط العمل الإنساني بالتنمية والسلام[20]. في جوهر الأمر، تُستخدم العلاقة بين العمل الإنساني والتنمية والسلام خطابيًا، إلى حدٍ بعيد، من الجهات المانحة للدلالة على الالتزام بأشكال مبتكرة ومتكاملة للاستجابة للصراعات التي تعمل عبر المجالات الإنسانية والتنمية وبناء السلام. لذلك، فإن التحدي الحاسم في ما يتعلق بهذا التحول هو الانتقال من التصوّر إلى التنفيذ العملي من أجل تقليص الفجوة غير المقبولة والقائمة بين الخطاب والواقع[21]. في عام 2017، بادر قطاع التنمية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي، في البدء، بمعالجة هذا التحدي من خلال وضع العلاقة بين التنمية والعمل الإنساني وبناء السلام ودور برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في مناطق ما بعد الصراعات، على رأس جدول أعمال مناقشة الأنشطة التنفيذية للشروع في تنفيذ النهج على أرض الواقع. وبناءً على هذه المناقشات، جرى التشديد على أن جوهر نجاح التحوّل إلى الرابطة الثلاثية، يرتكز على عاملين رئيسين: أولًا، ضرورة الانتقال من النُهج المنسقة إلى المتكاملة من أجل الحفاظ على السلام، وثانيًا أن التغيير على مستوى النظام بأكمله يتطلّب وجود إرادة سياسية لدى الفاعلين الدوليين[22].

تجدر الإشارة إلى أن الشعبية التي حازها مفهوم الرابطة الثلاثية، والتي دُفعت بسلسلة التغيرات السياسية والاجتماعية في النظام الإنساني العالمي خلال السنوات الماضية، أدّت إلى أن يتغير في سياقها معنى "الرابطة" نفسه، وجعلته يشهد تطورًا كبيرًا. ففي البداية، تمثّلت الدعوة في الإصلاح بربط العمل الإنساني بالتنمية "الرابطة المزدوجة أو الثنائية"، وبعد ذلك برز المفهوم على نحو أكثر وضوحًا انطلاقًا من أن السلام يتطلّب تدخّلات ناجحة على المستوى الإنساني والتنموي[23]. في الوقت الحالي، تميل جهات فاعلة دولية عديدة في المنظومة الإنسانية إلى اعتبار الرابطة الثلاثية ركيزة رئيسة في الاستجابة للسياقات الهشّة والمتضررة من الصراعات[24]. وتعني الرابطة الثلاثية الصلة بين مجالات العمل الإنساني والتنمية وبناء السلام، حيث يُطلب من الجهات الفاعلة في العمل الإنساني والتنموي والأنشطة المتعلقة بالسلام العمل معًا أكثر وزيادة مستوى التنسيق لمعالجة الأزمات الطويلة الأمد والمعقدة وتعزيز قدرة المجتمع على الصمود، وتحديدًا المجتمعات الهشّة[25]. من الناحية التشغيلية، يمكن أن يجري التكامل والاتساق والتنسيق بين هذه الركائز الثلاث، على سبيل المثال لا الحصر، من خلال: 1. تعزيز آليات التنسيق بين الفاعلين في المنظومة الإنسانية والتنموية والسلام، "2. تطوير تحليلات السياق المشتركة وتقييمات الحاجات والنتائج المشتركة بين الجهات الفاعلة، 3. التغييرات في التمويل، مثل التحرك نحو التمويل المتعدد السنوات، والمساعدة المخصصة أقل، 4. التمويل المرن وتبسيط آليات التمويل"[26].

ثانيًا: دور دول الخليج في تعزيز نهج الرابطة الثلاثية

يقدم هذا المبحث لمحة موجزة عن الطرائق التي تساهم بها دول الخليج في تعزيز نهج الرابطة الثلاثية: الإنسانية والتنمية والسلام.

1. المساعدات الإنمائية الثنائية الرسمية الخليجية للسياقات الهشة عبر الرابطة الثلاثية[27]

يقدّم هذا الجزء بيانات دول الخليج العربية المانحة الأربع، السعودية والإمارات والكويت وقطر، التي جرى جمعها أساسًا وفقًا لنظام التتبع الخاص بمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وذلك لإظهار طبيعة المساعدات المقدّمة عبر عدسات الرابطة الثلاثية للسياقات الهشّة فحسب، وعرض نطاقها. يعرض الجدول (1) المساعدات الإنمائية السعودية الثنائية الرسمية للسياقات الهشّة عبر الرابطة الثلاثية بين عامي 2015 و2020، حيث بلغ مجموع مساهماتها نحو 2.25 مليار دولار أميركي للمساعدات الإنسانية، و6 مليارات دولار أميركي للمساعدات التنموية، في حين بلغت مساعدات السلام 158.6 مليون

20 Sebastian Weishaupt, "The Humanitarian-Development-Peace Nexus: Towards Differentiated Configurations," *UNRISD Working Paper*, no. 2020-8, The United Nations Research Institute for Social Development (UNRISD) (2020), accessed on 26/3/2023, at: https://cutt.ly/LTAseDM

21 "Demystifying the Humanitarian, Development and Peace Nexus," International Council of Voluntary Agencies (ICVA), accessed on 16/3/2023, at: https://bit.ly/4bUXW5N

22 Alarabeed.

23 Barakat & Milton.

24 Barakat & Elkahlout.

25 Veron & Hauck.

26 "The Triple Nexus: Questions and Answers on Integrating Humanitarian, Development and Peace Actions in Protracted Crises," ReliefWeb, 6/8/2020, accessed on 20/4/2023, at: https://rb.gy/0l18mw

27 وفقًا لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تُعرّف الهشاشة بأنها "مزيج من التعرض للمخاطر وقدرات التكيّف غير الكافية للدولة والنظام و/ أو المجتمعات لإدارة هذه المخاطر أو استيعابها أو التخفيف منها. يحدث في مجموعة من الشدة Spectrum of Intensity عبر ستة أبعاد: الاقتصادية والبيئية والسياسية والأمنية والمجتمعية والبشرية. ثم أضيف البعد السادس للهشاشة - البعد الإنساني - عام 2022 ليعكس أهمية الاستثمار في رفاهية الناس وسُبل عيشهم. يساعد إطار الهشاشة المتعدد الأبعاد، من خلال تصويره توازن المخاطر وقدرات المواجهة عبر ستة أبعاد، في فهم دوافع الهشاشة وعواقبها، بما في ذلك الاستجابات لها في السياقات الهشّة. وهو يوفر أساسًا تحليليًا لسلسلة تقارير حالة الهشاشة". ينظر: "States of Fragility 2022," OECD, accessed on 20/4/2023, at: https://bit.ly/40OPz5A

دولار أميركي في الفترة المحددة[28]. الحصة الأكبر من المساعدات كانت للمساعدات الإنمائية، ثم المساعدات الإنسانية ومساعدات السلام على التوالي. ويتبيّن من الجدول (1) أيضًا أن مساهمات السعودية لمساعدات السلام تأتي في المرتبة الثانية من بين الدول الخليجية المانحة الأربع، تسبقها الإمارات بحوالى 838.8 مليون دولار أميركي بين عامي 2009 و2020، مع الأخذ في الحسبان النقص في بيانات السعودية. ومع ذلك، وحتى عام 2020، ووفقًا لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، احتلت السعودية المرتبة الأولى من حيث حجم المساعدات الإنمائية الرسمية، مقارنةً ببقية دول الخليج العربية[29]. وبالعودة إلى مساهماتها للسياقات الهشّة، فقد بلغت 45.5 في المئة من إجمالي المساعدة الإنمائية الرسمية في عام 2020 (نحو 864.7 مليون دولار أميركي). في حين بلغت نسبة المساعدات الإنسانية 24 في المئة من إجمالي المساعدة الإنمائية الرسمية، وهو ما شكّل انخفاضًا من 43 في المئة في عام 2019، وفي المقابل جرى تخصيص 4 في المئة لمساعدات السلام في عام 2020، بزيادة بلغت حوالى 2.4 في المئة على العام السابق. ارتفعت المساهمات المخصصة للوقاية من النزاعات، وهي "مجموعة فرعية من المساهمات في السلام" إلى 3.6 في المئة، وهي زيادة على عام 2019 بنسبة 1.6 في المئة.

يشير الجدول (2) إلى أن الإمارات تمزج إلى حدٍ بعيد بين الأهداف الإنسانية والتنمية والسلام في مساعداتها الخارجية للسياقات الهشّة، مع تقلّد المساعدات التنموية الترتيب الأول، مقارنةً بالمساعدات الأخرى؛ إذ وصلت إلى مبلغ قدره 9.58 مليارات دولار أميركي، وإلى 3.614 مليارات دولار أميركي مساعدات إنسانية، في حين وصلت مساعدات السلام إلى أكثر من 838 مليون دولار أميركي، وذلك بين عامي 2009 و2020. وفي عام 2019، بلغت مساهمة الإمارات حوالى 71.6 في المئة للسياقات الهشّة، وهو يشكّل أكثر من 1.3 مليار دولار أميركي، منها 13.6 في المئة قُدّمت للمساعدات الإنسانية، وهي زيادة بنسبة 27.4 في المئة، عما كانت عليه في عام 2019، بينما جرى تخصيص 0.5 في المئة لمساعدات السلام، بزيادة 0.1 في المئة على الدعم المخصص في عام 2019. وبمقارنة البيانات في الجدول (2) بالبيانات في الجداول (1 و3 و4)، نجد أن الإمارات تُولي اهتمامًا كبيرًا في تخصيص الدعم لمساعدات السلام، مقارنةً بالدول الأخرى. ويمثل ذلك بوضوح بروز العمل عبر الرابطة الثلاثية في سياسة المساعدات الخارجية الإماراتية. ويوضح الجدول (2) أن أعلى نسبة من مساعدات السلام قد جرى تخصيصها في عام 2009 بأكثر من 177 مليون دولار أميركي، وفي عام 2015 بأكثر من 124 مليون دولار أميركي، إلّا أنه كان من الصعب تنبؤ وجهتها في ذلك الحين، وذلك بسبب غياب البيانات الرسمية للمساعدات الخارجية الصادرة عن الإمارات في هذا الشأن. ومع ذلك، أحد أقرب التفسيرات إلى اهتمام الإمارات، بما في ذلك السعودية وقطر، لتخصيص الدعم لمساعدات السلام، هو تداعيات هجمات 11 سبتمبر 2001، من أجل صرف النظر عن مزاعم تمويلهم الإرهاب في ذلك الوقت[30]. وقد قدّمت دول الخليج العديد من التبرعات السخية للعديد من البرامج الفرعية التي تُدرج تحت نطاق مساعدات السلام للأمم المتحدة من أجل هذا الغرض، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، بحسب البيانات المتوافرة، تبرّع السعودية في عام 2011، بأكثر من 100 مليون دولار لتأسيس مركز الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب، الذي أُدرج رسميًا تحت إشراف إدارة الشؤون السياسية وبناء السلام (إدارة الشؤون السياسية التابعة للأمم المتحدة سابقًا)[31].

الجدول (1)

المساعدات الإنمائية السعودية الثنائية الرسمية في السياقات الهشة عبر الرابطة الثلاثية بين عامي 2015 و2020 (مليون دولار أميركي)

الفئة / العام	المساعدات الإنسانية	المساعدات التنموية	مساعدات السلام
2015	244.8101846	319.8074403	0.557887479
2016	214.2016253	435.4536668	5.032473975
2017	66.01234092	648.4723789	37.28792615
2018	805.1732288	3134.078162	42.92378629
2019	706.0289338	883.6405018	38.34270176
2020	207.2660357	622.9555728	34.478234
المجموع	**2243.492349**	**6044.407723**	**158.6230097**

المصدر:

"Saudi Arabia: Development Co-operation Profiles," OECD, accessed on 20/4/2023, at: https://bit.ly/3l8K0zz

28 "Saudi Arabia: Development Co-operation Profiles," OECD, accessed on 20/4/2023, at: https://bit.ly/3l8K0zz

29 Ibid.

30 Barakat.

31 United Nations, Office of Counter-Terrorism, "Funding and Donors," accessed on 23/3/2023, at: https://bit.ly/3u6vJYD

الجدول (2)

المساعدات الإنمائية الإماراتية الثنائية الرسمية في السياقات الهشة عبر الرابطة الثلاثية بين عامي 2009 و2020 (مليون دولار أميركي)

الفئة / العام	المساعدات الإنسانية	المساعدات التنموية	مساعدات السلام
2009	127.3310532	417.5754856	177.3540394
2010	86.00409945	246.8130628	12.2011941
2011	125.1998016	190.1347801	0.857384584
2012	49.70770967	458.0646227	0.815717687
2013	26.54904353	337.8208746	2.179344111
2014	208.3952006	281.0852416	0.540044297
2015	406.7508115	1050.303737	124.6778717
2016	441.6772516	1150.168019	0.355414707
2017	345.0093338	1064.203837	420.7418834
2018	1150.582908	1997.940141	90.70622956
2019	464.6838134	1229.642417	1.287600351
2020	182.661001	1156.25246	7.181093891
المجموع	**3614.552028**	**9580.004677**	**838.8978178**

المصدر:

"United Arab Emirates: Development Co-operation Profiles," OECD, accessed on 20/4/2023, at: https://bit.ly/3MjXMdJ

الكويت أيضًا ناشط فاعل في سياسات المساعدة الإنمائية في دول الخليج، وأول دولة عربية خليجية تؤسس كيانًا مخصصًا لهذا الغرض، تحت اسم "الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية" في عام 1961، وبذلك فهي تمتلك خبرة أكثر من 60 عامًا في هذا المجال[32].

وتشير البيانات في الجدول (3) إلى ضعف تمويلها المخصص لمساعدات السلام للسياقات الهشّة، حيث بلغت بين عامي 2010 و2020 حوالى 2.5 مليون دولار أميركي فقط، والنسبة الأعلى من تمويلها، تُوجّه إلى المساعدات الإنمائية، حيث بلغت أكثر من 2.646 مليار دولار أميركي، في حين بلغت المساعدات الإنسانية أكثر من 35 مليون دولار أميركي. وقد مثّلت المساهمات الكويتية للسياقات الهشّة حوالى 12.7 في المئة، بمبلغ قدره حوالى 96 مليون دولار أميركي من إجمالي المساعدات الإنمائية الرسمية الثنائية البالغة 388 مليون دولار أميركي في عام 2020، منها 2.6 في المئة قُدمت على شكل مساعدات إنسانية، والباقي جرى تخصيصه للمساعدات التنموية. وبالنظر إلى بيانات الجداول الأربعة، يتّضح أن المساهمات المقدّمة من الكويت للسياقات الهشّة هي الأقل، مقارنةً بمساهمات دول الخليج الأخرى. ويشير الجدول (3) إلى أن الكويت تُفضّل العمل الذي يربط ما بين المساعدات التنموية والإنسانية، إلّا أن أبرز الخصائص التي تميّز الدولة في هذا السياق، الفهم الواضح في التصريحات الرسمية لطبيعة العمل عبر الرابطة الثلاثية، ويُستدل على ذلك من التصريحات الرسمية العلنية لدولة الكويت. وكما ذكر نائب وزير الخارجية، خالد الجار الله، في المنتدى الدولي الأول للاجئين، في جنيف في كانون الأول/ ديسمبر 2019، معلّقًا على الاستجابة لأزمات اللاجئين، فإن "هذا الأمر يتطلّب خلق رؤية دولية موحَّدة، مقرونة بدعم دولي للمساعدة في تخفيف الضغط على البلدان المضيفة وتعزيز اعتماد اللاجئين على أنفسهم والعمل وفق رؤية مشتركة تستند على منهج الرابطة الثلاثية التي أجمع عليها المجتمع الدولي في القمة الإنسانية العالمية في عام 2016 والقائمة على الإنسانية والتنمية والسلام لمعالجة جذور هذه الأزمات"[33]. وما يؤشر أيضًا على تبني الكويت الواعي لخطاب الرابطة الثلاثية، توقيع الصندوق الكويتي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي اتفاقية شراكة في منتصف عام 2021، تهدف إلى تبادل المعرفة والخبرة بشأن زيادة المساهمات المخصصة للبلدان والمجتمعات المتضررة من الأزمات والمساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة SDGs من خلال الدعم عبر الرابطة الثلاثية[34].

32 Ghassan Elkahlout, "'Hearts and Minds': Examining the Kuwaiti Humanitarian Model as an Emerging Arab Donor," *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies*, vol. 14, no. 1 (2020), pp. 141-157.

33 "خالد الجار الله: الكويت حريصة على مشاطرة المجتمع الدولي المسؤوليات والأعباء"، **القبس**، 2019/12/17، شوهد في 2023/3/28، في: https://bit.ly/3TQ5yxv

34 UNDP, "Kuwait Fund and UNDP Join Forces to Support the Most Vulnerable People in Countries Affected by Crisis: Joint Efforts to Focus on Humanitarian-Development-Peace Nexus," 5/5/2023, accessed on 5/5/2023, at: https://bit.ly/3nxvAJK

الجدول (3)

المساعدات الإنمائية الكويتية الثنائية الرسمية للسياقات الهشّة عبر الرابطة الثلاثية بين عامي 2010 و2020 (مليون دولار أميركي)

الفئة / العام	المساعدات الإنسانية	المساعدات التنموية	مساعدات السلام
2010		152.5433519	0.676523345
2011		141.1277946	
2012		177.4734403	
2013		142.9618453	
2014	22.40589911	114.3920801	
2015	2.868322688	242.8008819	1.815367843
2016		582.4369631	
2017	7.803080646	235.201083	
2018		509.2572982	0.067603374
2019		255.2465248	
2020	2.52	93.44154795	
المجموع	**35.59730244**	**2646.882811**	**2.559494563**

المصدر:

"Kuwait: Development Co-operation Profiles, Kuwait," OECD, accessed on 20/4/2023, at: https://bit.ly/40FCafQ

تعد قطر ناشطًا جديدًا في الدبلوماسية الإنسانية والتنموية والسلام. ويُبيّن الجدول (4) أن الجزء الأكبر من المساعدات الخارجية كان موجّهًا إلى المساعدات التنموية، بأكثر من 469 مليون دولار أميركي، وأكثر من 315 مليون دولار أميركي للمساعدات الإنسانية، في حين وُجّه أكثر من 7.5 ملايين دولار أميركي لمساعدات السلام، وذلك في الفترة 2019-2020 فحسب. وقد مثّلت نسبة المساعدات الخارجية المخصصة للسياقات الهشّة حوالى 66.5 في المئة من إجمالي المساعدات الإنمائية الرسمية في عام 2020، في حين وُجّه 1.3 في المئة لمساعدات السلام، بزيادة 0.7 في المئة على عام 2019[35]. وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، أصبحت قطر مزوّدًا مهمًا للمساعدات الخارجية، وأظهرت التزامًا متزايدًا لتخصيص الأموال عبر الرابطة الثلاثية. وعلى الرغم من أن هذه الأموال المقدّمة مباشرة لقطاع السلام تعكس حصة منخفضة (في البيانات المعروضة هنا)، مقارنةً بإجمالي المساعدات التنموية والإنسانية، فإن المسؤولين القطريين يبرهنون عن مساعداتهم الإنسانية والإنمائية بوصفها أشكالًا لتعزيز السلام في البيانات العامة. بعبارة أخرى، تعترف قطر بالمساعدات الخارجية التي تقدّمها بوصفها مساهمة مباشرة في السلام. وعلى مستوى المؤسسات الوطنية، بُذلت جهود للعمل عبر الروابط الإنسانية والإنمائية والسلام[36]. وأظهرت المنظمات القطرية اتجاهًا في السنوات الأخيرة نحو تمويل التنمية وتخصيص الأموال لإعادة الإعمار والسلام، وتوزّعت مساعدتها في أكثر من 100 سياق متضرر من الأزمات حول العالم. فمثلًا، نفّذت قطر الخيرية سلسلة من المشاريع التي تُدرج تحت الرابطة الثلاثية، منها على سبيل المثال لا الحصر، مبادرة "الرياضة من أجل السلام والتنمية في دارفور"، التي اعتبرها مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة "نموذجًا ناجحًا لمكافحة التطرف"[37]. ويُعدّ مشروع "تمكين الشباب وإنقاذ أحلام الأطفال الصوماليين من خلال الرياضة"، الذي أطلقه صندوق قطر للتنمية وقطر الخيرية بالتعاون مع المركز الدولي للأمن الرياضي في عام 2023، إحدى المبادرات التي يجري تنفيذها عبر عدسة الرابطة الثلاثية في المناطق الهشّة والمتأثرة بالصراعات. وعلى المستوى الكلي، يمكن تفسير الدور الدبلوماسي لدولة قطر في دارفور، المتمثل في الوساطة، مع التزامها بتقديم حزمة من المساعدات لتحفيز الأطراف على تنفيذ وثيقة الدوحة للسلام، بأنه عبارة عن إطار حكم يشكّل صلةً بين العمل التنموي والسلام. صحيح أن هذه الممارسات تُظهر تقدمًا ملحوظًا في فهم نهج الرابطة الثلاثية لدى القطاعات الثلاثة، فإن تحديد الخط الفاصل بين هذه القطاعات في حاجة إلى مزيد من الوضوح داخل هذه المنظمات، مع الأخذ في الحسبان أن تنفيذ الأنشطة التي تصل العمل الإنساني والتنموي والسلام عشوائي في المؤسسات الخليجية عمومًا، ولا توجد سياسات واضحة تُبيّن كيفية العمل عبر عدسة الرابطة الثلاثية. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن دولة قطر نشطت في مجال الوساطة وحل النزاعات في العديد من مناطق الصراع حول العالم، فإن تكاليف هذه الجهود أو الأنشطة المبذولة لم يجرِ التعبير عنها في أيٍّ من ملفات بياناتها، في حين أن مثل هذه الأنشطة غالبًا ما تُدرج تحت عنوان مساعدات السلام في ملفات تعريف المانحين التقليديين[38].

35 "Kuwait: Development Co-operation Profiles, Kuwait," OECD, accessed on 23/3/2023, at: https://bit.ly/40FCafQ

36 Peter Salisbury, "Aiding and Abetting? The GCC States, Foreign Assistance, and Shifting Approaches to Stability," James A. Baker III Institute for Public Policy of Rice University (2018).

37 "إدراج مبادرة 'الرياضة من أجل السلام والتنمية بدارفور' نموذجًا لمقاومة التطرف"، **العرب**، 2020/7/6، شوهد في 2023/3/24، في: https://bit.ly/3Gq6PWE

38 Alarabeed.

الجدول (4)

المساعدات الإنمائية القطرية الثنائية الرسمية للسياقات الهشّة عبر الرابطة الثلاثية بين عامي 2019 و2020 (مليون دولار أميركي)

الفئة / العام	المساعدات الإنسانية	المساعدات التنموية	مساعدات السلام
2019	103.4854348	325.9628195	3.05653387
2020	212.4120662	143.1611072	4.68603832
المجموع	**315.897501**	**469.1239267**	**7.74257219**

المصدر:

"Qatar: Development Co-operation Profiles," OECD, accessed on 20/4/2023, at: https://rb.gy/3ilk1e

2. موقع دول الخليج المانحة في ما يتعلق بالرابطة الثلاثية

يعالج هذا الجزء موقع دول الخليج في ما يتعلق بالعلاقة الثلاثية.

أولًا، تُعرف دول الخليج المانحة، على مدار العقود الماضية، بأنها مانحة غير تقليدية ونشطة وفاعلة ومؤثرة في منظومة العمل الإنساني والتنموي، وقد انخرط بعضها، مثل الكويت وقطر، في أنشطة عديدة، تُدرج تحت غطاء مساعدات السلام، وتحديدًا الجهود الدبلوماسية والوساطة وحلّ النزاعات في العديد من المناطق المتضررة من الصراعات. وفي حين يجري تأطير المساعدات الإنسانية والتنموية في البيانات بصراحة ووضوح، فإنه نادرًا ما تُؤطّر الدول الأربع مساعداتها تحت مفاهيم بناء السلام، إلّا في السنوات الأخيرة. وتؤكد ذلك البيانات في الجداول (1 و2 و3 و4) التي توضح أن معظم مساهماتها المالية تُسجَّل باعتبارها مساعدات إنسانية وتنموية، في حين تُمثّل مساهماتها المالية في بناء السلام نسبة منخفضة إلى حدٍ بعيد من إجمالي مساعداتها الخارجية.

هناك إشكاليات عديدة في تأطير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية لمساهمات دول الخليج، تحديدًا حينما يوثّق الدعم الموجّه إلى السياقات الهشّة عبر عدسات الرابطة الثلاثية. وعلى الرغم من أن نظام التوثيق هذا يوضح المساعدات عبر عدسة الرابطة الثلاثية، فإننا قد نجد أن دول الخليج نفسها توثّق المساهمات نفسها في بياناتها المالية، باعتبارها مساعدات إنسانية وتنموية. على سبيل المثال، لو تتبّعنا البيانات المالية التي توثّقها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، باعتبارها مساعدات سلام تُقدّمها الإمارات، فسنجد أنها توثّقها باعتبارها مساعدات لتحقيق هدف التنمية المستدامة رقم 16 (السلام والعدالة)، وفي بعض الحالات وُثّقت بعض المساعدات باعتبارها موجّهة إلى بعثات حفظ السلام، لكنها قليلة مقارنةً بالمساعدات الموجّهة إلى تحقيق هدف التنمية المستدامة رقم 16 التي تجاوزت مليار دولار أميركي في عام 2017 وفقًا للتقرير السنوي للمعونة الخارجية الصادر عن الدولة[39]. ويوضح ذلك، بلا شك، الاختلاف النسبي في فهم المساعدات الخارجية وتصنيفها بين دول الخليج ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

ثانيًا، من المهم أن ندرك أن دول الخليج لم تشارك رسميًا في نهج الرابطة الثلاثية السائد في الإصلاحات الإدارية والمؤسسية، كما هي الحال في ممارسات الدول الأعضاء في منظمة التعاون. وجدير بالإشارة هنا أن نهج الرابطة الثلاثية لم ينفذ على نحو كامل أصلًا في ممارسات الدول الأعضاء في منظمة التعاون نفسها، وفي حالات معيّنة يُنفّذ انتقائيًا. ومع ذلك، نجادل بأن أنماط العمل لدى دول الخليج، وإن كانت غير متجانسة مع المنظمات الغربية، فممارساتها يمكن أن تتطوّر لتشكيل نهج عربي للرابطة الثلاثية، انطلاقًا من أن جذور هذا العمل موجودة ومتأصّلة في العمل العربي الإنساني والتنموي والمتعلق بالسلام الذي يهدف في الأصل إلى نشر رسالة الخير، التي يُعدّ الأمن والسلام من أهم دوافعها، إلى جانب الدوافع الأخرى المشار إليها سابقًا. في حين تشير بعض الدراسات إلى أن دول الخليج المانحة، "لا تميل إلى دعم بناء السلام المجتمعي على المستوى الجزئي، كما تمارسه مجموعة واسعة من المنظمات غير الحكومية والمجموعات المجتمعية والجمعيات الدينية وغيرها على مستوى العالم"، إلّا أن هذا التوصيف ليس مكتملًا. ويكمن الجواب، أقلّه جزئيًا، في أنّ بناء السلام المجتمعي على المستوى الجزئي متجذّرٌ في المجتمعات الخيرية والإنسانية في المنطقة العربية. وعلى صعيد الدول الخليجية المانحة، فإن دولة مثل قطر تتّسم بوجود نظام مجتمعي منسجم ومتماسك جدًا، كان له دور كبير جدًا في بناء دولة مستقرة ومرنة ومزدهرة ومحبّة للسلام[40]. وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض التفسيرات التي تدمج السلام الليبرالي في العمل الخيري والإنساني والتنموي، تتغاضى عن مثل هذه الأمور، بقصد التقليل من أهمية المساعدات الخارجية التي تنطلق من المنطقة العربية. وكذلك على المستوى الوطني، تُظهر التصريحات العلنية للقيادات في هذه الدول، رسوخ هدف تحقيق السلام في مساعداتها الخارجية المقدّمة للدول المتأثرة بالصراعات.

39 ينظر: الإمارات العربية المتحدة، وزارة الخارجية، "التقرير السنوي للمعونة الخارجية"، شوهد في 2023/4/20، في: https://bit.ly/40jB7C4

40 Mehran Kamrava, "Qatari Foreign Policy and the Exercise of Subtle Power," *International Studies Journal (ISJ)*, vol. 14, no. 2 (Fall 2017), pp. 91-123.

ويظهر ذلك بوضوح في دعم الدول الخليجية تطوير البنية التحتية في مناطق ما بعد الصراع، وصنع السلام والوساطة في المناطق المتضررة من الصراعات. الفرق في هذا الإطار بين الدول الخليجية المانحة لهذه القضايا والدول الغربية، أن الأخيرة تسجل نفقات أنشطة حفظ السلام وبنائه على نحوٍ مكتمل وتعرضها على شكل مساعدات سلام، في حين تفتقر دول الخليج النشطة في مجال حفظ السلام وبنائه إلى وجود نظام توثيق خاص بمبادراتها في هذه المجالات، وتحديدًا في الكويت وقطر.

ثالثًا، على الرغم من غياب قرار واضح من جانب صنّاع السياسات في دول الخليج بتوجيه التمويل عبر عدسة الرابطة الثلاثية، فإن البيانات تشير إلى وجود ممارسة، وإن كانت نسبية، في توجيه المساعدات الخارجية عبر العلاقة الثلاثية بين المساعدة الإنسانية والتنمية والسلام[41]. تدحض هذه النقاط مقولة إن "دول الخليج تتجاهل دعم مشاريع السلام باعتبارها شكلًا من أشكال العمل الخيري، وليس مجالًا للممارسة، يقوم على بناء التماسك الاجتماعي والثقة واستعادة العلاقات المجتمعية، كما هي الحال في العالم الغربي"[42]. وغالبًا ما يُساء فهم ممارسات دول الخليج في المساعدات الخارجية على حساب المعايير التي تفرضها المنظمات الدولية، مثل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. فمثلًا، يُعتبر الدعم الذي تقدّمه منظمات المجتمع المدني في العمل الإنساني والتنموي، بما في ذلك التمويل غير المخصص المقدم من المانحين الغربيين، دعمًا للنهج الثلاثي في العالم الغربي، إلّا أنه في المقابل، يُهمَّش دور القوى المحلية الاجتماعية والدينية، منظماتٍ وجماعاتٍ وأفرادًا، في حشد مصادر التمويل المنوعة وغير المخصصة والمرنة في دول الخليج خصوصًا، والعالم العربي عمومًا. ويتميز الخليج بوجود هياكل مجتمعية منوعة تدعم العمل الإنساني والتنموي والسلام، وتشكّل مدخلًا مهمًا لفهم المساعدات الخليجية. وينبغي النظر إلى ممارسات هذه الأطراف باعتبارها مختلفة ومنوعة، مع الأخذ في الحسبان التنوّعات من حيث السياق والثقافة بصورة إيجابية، بدلًا من إجبار الطرف الآخر على معايير لا تُلائمه. وفي السياق نفسه، ثمة من ينظر إلى أن التزام دول الخليج باحترام السيادة وتقديم المنح غير المشروطة، يتناقض مع غايات عمليات بناء السلام وحفظه ومكافحة الإرهاب وإصلاح قطاع الأمن المتجذّرة في المساعدات الغربية[43]، بينما ينظر في الاتجاهات الحديثة في دراسات المساعدة الإنمائية وتوجّهاتها باعتبارها تهدف إلى تحقيق السلام. ومن ذلك ما تشير إليه الباحثة راشيل جيسيلكويست من أن "المساعدة الإنمائية للدول الهشّة والمناطق المتأثرة بالصراعات هي عنصر أساسي في بناء السلام"[44]. ومن المعروف أن دول الخليج هي مانح رئيس للمساعدات الإنمائية، وتحديدًا للبلدان الهشّة والمتضررة من الصراعات، كما رأينا.

رابعًا: لمعرفة موقع الدول الخليجية المانحة في الرابطة الثلاثية، والبدء في التفكير في نهج تحوّلي شامل في هذا المجال، لا بد من الابتعاد عن المقارنة السلبية لتفضيلات دول الخليج وتصنيفاتها وخصائصها بدول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وتؤدي هذه المقارنة إلى العديد من القضايا الإشكالية. في حين أن ممارسات العمل الخيري الخليجي متأثرة بعوامل متعددة، منها ثقافية ودينية، قد تكون مختلفة عن الدول المانحة التقليدية، إلّا أن التركيز على المعايير التي تروّج لها الأخيرة قد يصطدم في حالات كثيرة مع الهوية الثقافية والوطنية والاجتماعية للعمل الإنساني والتنموي الخليجي الذي تميز طوال سنوات بنشاطه وفاعليته في العالم العربي وخارجه. وقد أصبحت سياسات العمل الإنساني والتنموي المتعلق ببناء السلام في دول الخليج المانحة متأثرة بعوامل أخرى وأكثر قوة، مثل اعتبارها جزءًا رئيسًا من أدوات السياسة الخارجية في هذه الدول. إضافة إلى أن العمل الإنساني والتنموي الخليجي يتميز بأن قيم الإسلام التي تحث على حب الخير والتعاون وتحقيق السلم الأهلي والسلام الإقليمي والعالمي متجذرة فيه، ومتأثرة به كما أشير سابقًا. وبناءً عليه، يجب أخذ هذه الميزّات كلها في الحسبان حين دراسة سياسات المساعدات الخارجية في دول الخليج المانحة. ويشير الاختلاف في الأولويات القطاعية للمانحين الخليجيين، مثل دعم مشاريع البنية التحتية، وخاصة في مجال النقل وتوفير الطاقة والحصول على المياه، عن أولويات لجنة المساعدة الإنمائية، مثل دعم تقديم المساعدة لقطاع الخدمات، بما في ذلك التعليم والرعاية الصحية وتطوير الحوكمة (غالبًا من خلال دعم الميزانية) ودعم الاستقرار الاقتصادي، إلى مسألة إيجابية، حيث يكمّل بعض هذه الخصائص بعضها الآخر، بدلًا من المقارنة السلبية. وهذا واضح من خلال تقرير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في عام 2019 الذي أشاد بالأهمية التنموية الكبيرة لتركيزات المانحين العرب، من بينهم المانحون الخليجيون، وذلك بالقول: "وتمثل أربعة قطاعات 59 في المئة من إجمالي مدفوعات المساعدة الإنمائية الرسمية العربية. يستحوذ النقل والتخزين على الحصة الأكبر (25 في المئة)، تليها الطاقة (17 في المئة) والزراعة والغابات وصيد الأسماك (9 في المئة) وإمـدادات المياه والصرف الصحي (8 في المئة). وتمثل فئة القطاعات المتعددة 16 في المئة من مخصصات القطاع العربي، وتتركز على نحو رئيس في أنشطة التنمية الحضرية. وعلى الرغم من أن

41 Barakat & Elkahlout.

42 Barakat.

43 Ibid.

44 Rachel M. Gisselquist, *Development Assistance for Peacebuilding* (London: Routledge, 2018).

غالبية هذه القطاعات تُدرَج ضمن فئة البنية التحتية الاقتصادية، فإن مقدّمي الخدمات العرب لديهم أيضًا مساهمة كبيرة في قطاعات البنية التحتية الاجتماعية، التي تعتبر أقل أهمية من الناحية المالية، لكن لها نتائج تنموية مهمة"، ومن ثم فهي مهمة في دعم السلام وتعزيزه[45].

ثالثًا: تحديات تنفيذ نهج الرابطة الثلاثية في العالم العربي ودول الخليج المانحة

هناك مجموعة من التحديات التي تعوق تقديم دول الخليج المانحة للمساعدات الخارجية عبر عدسة الرابطة الثلاثية. فبغض النظر عن غياب قرار من جانب قيادات القطاعات الثلاثة في هذه الدول لتنفيذ هذا النهج، فإن هناك تحديات أخرى مهمة يجب أخذها في الحسبان حين مناقشة الرابطة الثلاثية في هذا السياق[46]. من الضروري الإشارة إلى أن معالجة هذه التحديات قد تكون مدخلًا مهمًا لخلق رؤية مشتركة لنهج الرابطة الثلاثية في العالم العربي. وتتمثل هذه التحديات في التنسيق المحدود بين المانحين الخليجيين، وضعف تبادل البيانات والمعلومات وإجراء التحليلات المشتركة في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراع، والافتقار إلى التبادل الإقليمي لأفضل الممارسات والخبرات في ما يتعلق بالتمويل المتعدد الأطراف والمرن، وكلها نناقشها في هذا المبحث.

1. ضعف التنسيق بين المانحين الخليجيين وغيابه

يُعدّ بناء التعاون بين الأطراف الفاعلة في العمل الإنساني والتنموي والسلام من خلال آليات التنسيق أمرًا بالغ الأهمية للاستجابات الفعالة في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراعات. وتبرز أهمية توافر آليات تنسيق قوية بين الفاعلين في الحقل الإنساني والتنموي وبناء السلام في تقسيم المسؤوليات بين هذه الجهات في مختلف مراحل الاستجابة، بما في ذلك "توفير الأساس للتخطيط والبرمجة" المشتركة والشاملة[47]. ويشهد التنسيق على المستوى العالمي تحديات كبيرة على المستوى التنفيذي بين المنظمات الدولية الرئيسة، مثل منظمات الأمم المتحدة، والمنظمات العالمية غير الحكومية. وبالمثل، فإن كثيرين من المراقبين انتقدوا دول الخليج بسبب ضعف التنسيق، وفي الكثير من الحالات يُلاحظ غياب آليات التنسيق والتعاون بينهم بالكامل. وعلى الرغم من أن تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية في بداية الثمانينيات مثّل فرصة أمام تعظيم جهود التنسيق العربية الإقليمية في مجال المساعدات الخارجية، فإن التنسيق خلال الاستجابات في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراعات بقي ضعيفًا بينها. ويرجع أحد أبرز أسباب ذلك إلى سمة التنافس التي ظهرت بين أعضاء المجلس، والتي أدّت في حالات كثيرة إلى غياب التنسيق الفعلي للاستجابات الفعّالة في المنطقة. صحيح أن دول الخليج، وأبرزها الكويت وقطر، قد استضافت العديد من المنصّات والمؤتمرات العالمية للاستجابة للأزمات في المنطقة العربية، مثل العراق وسورية وفلسطين، وهو ما يمكن أخذه في الحسبان بوصفه عاملًا مهمًا في تعزيز أواصر العلاقة بين العمل الإنساني والتنموي والسلام، إلّا أن تنفيذ هذه المساعدات من الناحية العملية بقي منفردًا بينها، مع ضعف مشاركة البيانات والاتصالات. في هذا السياق، قد يكون لوجود منصّة عربية موحَّدة لتنسيق الاستجابات الإنسانية في السياقات الهشّة والمتأثرة بالصراعات والأزمات أهمية كبرى لمواجهة تحديات ضعف التنسيق العربي في الاستجابة الإنسانية أو غيابه. وعمومًا، يمكن القول إنه حتى مع وجود بعض الدراسات التي تتعامل مع المانحين في الخليج العربي بصفتهم مانحين "جددًا"، أو "ناشئين"، ما يعني أنهم في حاجة إلى مزيد من الوقت على صعيد إيجاد قنوات تنسيق قوية، إلّا أن انخراطهم في الاستجابة الإنسانية للأزمات والصراعات قد امتد على مدار عقود، وأصبحت لديهم خبرة طويلة في العمل الميداني، وذلك بلا شك يجعل الفرص أمام وجود آليات تنسيق راسخة في العالم العربي تجمع المانحين في المنطقة العربية كبيرة جدًا.

2. ضعف تبادل البيانات والمعلومات والتحليلات المشتركة في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراع

مثّلت قضية ضعف تبادل البيانات والمعلومات والتحليلات المشتركة بين الفاعلين في مجال العمل الإنساني والتنموي وبناء السلام أحد أوجه القصور في النظام الإنساني العالمي والإقليمي. وقد تم الانتباه إلى هذه القضايا منذ التقييم المشترك للاستجابة الإنسانية في رواندا في عام 1996، حيث لوحظ غياب تبادل البيانات والمعلومات والتحليلات المشتركة فيها، وهو ما أدّى إلى اضطراب المنظومة الإنسانية في الاستجابة، ولم تصل حتى إلى حدّها الأدنى في ما يتعلق بتبادل المعلومات ومشاركتها بين الأطراف الفعالة في العمل

45 "How Arab Countries and Institutions Finance Development," *Report*, OECD (2019), accessed on 20/4/2023, at: https://shorturl.at/begoQ

46 Barakat & Elkahlout.

47 "Development Actors at the Nexus: Lessons from Crises in Bangladesh, Cameroon and Somalia," *Synthesis Report*, The Food and Agriculture Organization of the United Nations, Development Initiatives & Norwegian Refugee Council (April 2021), accessed on 24/3/2023, at: https://bit.ly/3lqlDxi

الإنساني والتنموي والسلام حينما اندلع الصراع في المنطقة[48]. وقد أشار التقييم المشترك حينها إلى أهمية التنسيق في تبادل البيانات والمعلومات، ومن ذلك تقسيم العمل بين الوكالات الإنسانية العاملة في السياق نفسه، وأثره الإيجابي أو السلبي في ديناميات السلام والصراع في المنطقة[49]. العامل الرئيس الآخر في هذا السياق هو توافر آليات التحليل المشترك داخل نظام المساعدة الخارجية، الذي بدوره يشكّل "أساسًا قائمًا على الأدلّة للوقاية من النزاعات العنيفة وحلّها بشكل فعال"[50]، كما يُسهم في تمكين استجابة المنظومة العاملة في الحقل الإنساني والتنموي والسلام لتصميم تدخلات أكثر فاعلية وشمولية وحساسة للنزاع[51].

على صعيد دول الخليج، لا يزال المانحون الخليجيون يعتمدون في الاستجابة الإنسانية على التحليلات التي تصدر منفردة عنها ومنظماتها العاملة في المجال الإنساني والتنموي، والتي غالبًا ما تفتقر إلى التكامل والشمولية في تحليل الأزمات في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراعات، مع ملاحظة غياب كبير للبيانات والمعلومات والتحليلات التي تدمج بين القطاعات الثلاثة، لتمكينها من الاستجابة عبر عدسة الرابطة الثلاثية. في بعض الحالات، قد تعتمد المنظمات على التحليلات الصادرة عن منظمات الأمم المتحدة، أبرزها خطط الاستجابة الإنسانية السنوية الصادرة عن الأمم المتحدة، نظرًا إلى الافتقار إلى الموارد اللازمة لإجراء التحليلات الخاصة أو المشتركة في هذا السياق. وفي هذا الشأن، يساعد وجود نظام مشترك لتبادل البيانات والمعلومات، والقيام بتحليلات مشتركة للأزمات دولَ الخليج على تقوية التنسيق للاستجابات، والأهم من ذلك يمكّن منظمات العمل الإنساني والتنموي ومنظمات بناء السلام من العمل معًا من أجل مواجهة التحديات التي كثيرًا ما برزت في الفضاء الإنساني، أهمها الوقاية من النزاعات متى كان ذلك ممكنًا، حيث يمكّن وجود نظام لتبادل البيانات والمعلومات، وكذلك توافر التحليلات المشتركة، من رفع مستوى الاستجابة للنزاعات، الأمر الذي ييسّر مهمات الوقاية منها على المستوى التشغيلي من خلال توجيه البرامج المخصصة لهذا الغرض. وفي حالات نشوب النزاع، يمكّن وجود هذا النظام من معالجة جذور النزاع وحساسيته، وكذلك وضع خطط استجابة طويلة الأمد عبر القطاعات الثلاثة من المتلازمة الثلاثية.

3. التحول من التمويل الثنائي نحو التمويل المتعدد الأطراف المرن

يُعدّ التمويل الثنائي و/ أو الموجه أو المخصص أحد الأنماط السائدة في منظومة المساعدة الخارجية لدول الخليج المانحة، حيث توجد ثلاث طرائق وقنوات رئيسة لمساعدة المانحين الخليجيين، تتمثل في: 1. المساعدة والتعاون الثنائي الذي تقدّمه الحكومة إلى الحكومة، 2. المساعدة المتعددة الأطراف الموجهة أو المخصصة المقدمة إلى المنظمات الدولية، وتحديدًا منظّمات الأمم المتحدة، 3. التبرعات الخيرية من المنظمات غير الحكومية والمجتمع الخليجي من المتبرعين وفاعلي الخير والقطاع الخاص، التي غالبًا ما تكون موجّهة ومخصصة. وقد بدأ المانحون الخليجيون في تطوير أنظمة المساعدة الخاصة بهم منذ عام 1960، حيث تُقدّم مساعداتهم بطريقة أساسية من خلال المؤسسات الوطنية المُنشأة لهذا الغرض. فالكويت هي الدولة الأولى التي أنشأت كيانًا مؤسسيًا مخصصًا لهذا المسعى، تليها الإمارات والسعودية وقطر. وهذه الكيانات هي: الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، وصندوق أبوظبي للتنمية، والصندوق السعودي للتنمية، ووزارة الخارجية في قطر قبل تأسيس صندوق قطر للتنمية[52]. إلى جانب هذه الصناديق الحكومية، أُسّست مجموعة واسعة من المؤسسات الخيرية الخليجية في المجال الإنساني والتنموي، التي تُقدّم المساعدة أيضًا مباشرة من خلالها، أبرزها، على سبيل المثال لا الحصر، مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، ومؤسسة زايد للأعمال الخيرية والإنسانية، وجمعية النجاة الخيرية في الكويت، ومؤسسة قطر الخيرية، وغيرها الكثير. وإضافة إلى ذلك، تشتهر منطقة الخليج بوجود منظمات الهلال الأحمر، مثل الهلال الأحمر السعودي والإماراتي والكويتي والقطري. وتعتمد غالبيتها على التمويل الثنائي المخصص. وعلى صعيد المساعدات المتعلقة بالسلام، تشير البيانات المتاحة إلى أنه تقدّم من خلال التعاون الثنائي الذي تقدّمه الحكومة إلى الحكومة، وأحيانًا تُوجَّه إلى الوكالات المتعددة الأطراف، مثل منظمات الأمم المتحدة التي تعمل في مشاريع بناء السلام. وعمومًا، فإن دول الخليج المانحة تُوجّه التمويل المتعدد الأطراف عبر منظمات الأمم المتحدة، مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم

48 John Eriksson et al., "The International Response to Conflict and Genocide: Lessons from the Rwanda Experience," *Synthesis Report*, Joint Evaluation of Emergency Assistance to Rwanda (March 1996), accessed on 20/4/2023, at: https://bit.ly/3vXpyXd

49 Ibid.

50 البرمجة المشتركة في سياقات الهشاشة والصراع والأزمات: "في سياق البرمجة المشتركة، يمكن استكشاف خيارين رئيسين: 1. تحليل الصراع/ الموقف في المرحلة الأولى من عملية البرمجة المشتركة. يمكن مسح النزاع من خلال دراسة مكتبية وورشة عمل، على سبيل المثال، أن يسبق تحليل البرمجة المشتركة والاستجابة لها. 2. تحليل الصراع/ الوضع لإثراء عملية البرمجة المشتركة الحالية. يمكن مراجعة مبادرة البرمجة المشتركة الراسخة ومراجعتها، على سبيل المثال إذا دعت الحاجة إلى صوغ استجابة إنسانية وإنمائية مشتركة". للمزيد ينظر: "Section 2 JP: Joint Programming in contexts of Fragility, Conflict and Crisis," European Union, accessed on 28/3/2023, at: https://shorturl.at/zjw58

51 Ibid.

52 Salisbury.

والثقافة "اليونسكو"، ووكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا"، ومنظمة الأغذية العالمية، وغيرها.

في الآونة الأخيرة، برزت أبحاث عديدة تبشّر بتحول تركيز دول الخليج المانحة بعد عام 2012 نحو التمويل المتعدد الأطراف، إلّا أن ذلك لا يعني التحول الكامل؛ إذ بقي الجزء الأكبر من التمويل مخصصًا، وليس مرنًا. يعني التمويل المرن "التمويل غير المخصص لمشروع معيّن، أو مجال نشاط معيّن، الذي يمكن التنبؤ به عبر سنوات عديدة، ويمكن نشره بسرعة"[53]. ومع مقارنة التمويل الثنائي المتعدد الأطراف الصادر عن دول الخليج المانحة ودول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، نجد أن التمويل المتعدد الأطراف لا يزال ضئيلًا، مقارنةً بالدول المانحة الغربية التي توجّه حوالى 90 في المئة من مساعداتها عبر الوكالات الدولية، في حين أن التمويل المتعدد الأطراف في دول الخليج يراوح بين الحد الأدنى 1 في المئة من إجمالي المساعدات المقدمة، وفي أحسن حالاته يصل إلى 6 في المئة فقط، وهو ما يتناقض مع إحدى أبرز أولويات إصلاحات الرابطة الثلاثية الداعية إلى التحوّل من التمويل الثنائي والتمويل المتعدد الأطراف المخصص إلى التمويل المتعدد الأطراف المرن[54].

رابعًا: آفاق التمويل الموجّه عبر عدسة الرابطة الثلاثية من دول الخليج المانحة

طوال سنوات عديدة، كان من المفهوم أن المساهمات المالية التي تقدمها دول الخليج، تركز على المساعدات الإنسانية القصيرة الأجل والمساعدات التنموية. ومنذ عام 1990، كانت دول الخليج من بين الدول الأعلى تمويلًا للدول الهشّة والمتضررة من الصراعات، لكن حتى لو كانت دولًا مانحة سخيّة، فمن غير الواضح إذا ما كان هناك تحوّل حقيقي في عقلية المانحين الخليجيين لتوجيه المساعدات الخارجية نحو الرابطة الثلاثية، وتحديدًا التي تربط المساعدة الإنسانية والتنموية بمساعدات بناء السلام[55]. ومع ذلك، يرصد بعض الباحثين نقطة تحوّل في توجّهات دول الخليج نحو المساعدات الطويلة الأجل في المناطق الهشّة والمتضررة من الصراع تحت مسميات، مثل التنمية وإعادة الإعمار بعد الحرب والتعافي وصنع السلام، من بين العديد من المجالات الأخرى[56]، وهو ما يدل، نسبيًا، إلى جانب البيانات التي أشرنا إليها في الجداول السابقة، على الرغبة المتزايدة لدول الخليج المانحة للعمل عبر عدسة الرابطة الثلاثية[57]. وعلى الرغم من أن البيانات في الجداول السابقة تشير إلى توجيه المساعدات الخارجية في السياقات الهشّة للربط بين المساعدات الإنسانية والتنموية والسلام، فإن التمويل المخصص لمساعدات السلام يبقى ضئيلًا، كما يوضح ذلك نقص التمويل الموجّه خصوصًا تحت عنوان الرابطة الثلاثية.

يمكن تفسير أحد أسباب الاهتمام النسبي لدول الخليج، وتحديدًا السعودية والإمارات، بالرابطة الثلاثية، وتحديدًا ارتفاع مساهمات مساعدات السلام بعد عام 2014، إلى الصراع في اليمن (التي تُصنّفها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية دولةً هشّةً)، حيث اهتمت بعض الدول المانحة بتمويل برامج تحت عنوان الرابطة الثلاثية على نحوٍ متزايد. وقد كان البَلدان نشطَين في اليمن، وقدّما مساعدات مالية عبر الرابطة الثلاثية منها، على سبيل المثال لا الحصر، مبلغ 48 مليون دولار أميركي لدعم العلاقة بين السلام والتنمية الإنسانية في الملف الصحي، وهو مبلغ يمثل 15 في المئة من إجمالي صناديق الصحة اليمنية في عام 2019[58]. وهناك من يفسّر أنّ هذا الاهتمام برز كذلك بالتزامن مع التوسع الجغرافي لنطاق المستفيدين من المساعدات الخارجية للمانحين الخليجيين الذي يتجاوز البلدان العربية إلى مناطق مختلفة من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وبقية أنحاء العالم، حيث شهدت الدول الخليجية المانحة انخراطًا واضحًا في برامج تندرج تحت بناء السلام، مثل المشاركة في بعثات حفظ السلام وتمويل برامج مكافحة الإرهاب ومكافحة التطرف الديني[59]. ومع ذلك، يشار إلى أن هذه التوجهات لا تعبّر عن التزام حقيقي من جانب دول الخليج المانحة للعمل عبر عدسة الرابطة الثلاثية، فآفاق هذا الدور الخليجي حتى اللحظة غامضة جدًا، تحديدًا مع غياب قرار سياسي بالتحول نحو تمويل الرابطة الثلاثية، إضافةً إلى عدم وضوح هذا النهج في العالم العربي وتحدياته[60].

53 Ed Laws, "Financing Peacebuilding and the Triple Nexus: Organizational Structures and Incentives to Improve Coherence," Center on International Cooperation, 4/4/2022, accessed on 28/3/2023, at: https://bit.ly/3P3wqsR

54 Zureik.

55 B. Momani & C. A. Ennis, "Between Caution and Controversy: Lessons from the Gulf Arab States as (Re-) Emerging Donors," *Cambridge Review of International Affairs*, vol. 25, no. 4 (2012), pp. 605-627.

56 M. Evren Tok, "Gulf Donors and the 2030 Agenda: Towards a Khaleeji Mode of Development Cooperation," Centre for Policy Research, United Nations University (2015).

57 Barakat.

58 "Humanitarian-Development Peace Nexus for Health Profile: Yemen," World Health Organization (October 2020), accessed on 28/3/2023, at: https://bit.ly/3zLLWBq

59 لقراءة المزيد عن انخراط دول الخليج في مساعدات بناء السلام، ينظر: Barakat.

60 Ibid.

تُظهر السنوات الأخيرة اهتمامًا كبيرًا من دول الخليج بمعالجة القضايا الإشكالية في أنظمة المساعدة الإنسانية والتنموية الخاصة بها، مع التحوّلات البطيئة في أنماط المساعدة المقدمة إلى المناطق الهشّة والمتضررة من الصراع واتجاهاتها، لربطها بالمساعدات المتعلقة بالسلام، مع الأخذ في الحسبان حقيقة تجاهل دول الخليج توثيق نفقاتها الخاصة بالوساطة والوقاية من النزاعات، تحديدًا قطر والكويت. ومع أن بعض الدول الخليجية المانحة، مثل السعودية وقطر والكويت، نشطت في مجالات تُدرج تحت مساعدات السلام، مثل مكافحة الإرهاب والوساطة وحلّ النزاعات في العديد من مناطق الصراعات حول العالم، فإنها لم تُعبّر في أيّ من بياناتها عن نفقات هذه الجهود أو الأنشطة على أنها مساعدات سلام في حين أن هذه المساهمات نفسها كثيرًا ما أُدرجت تحت أنشطة بناء السلام في تقارير المانحين التقليديين في العالم الغربي. صحيح أن دول الخليج لم تلتزم بالتمويل العلني لمساعدات السلام، كما هو مفهوم في تصنيفات الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، أو منظمات الأمم المتحدة، فإنه في الكثير من الحالات، يجري تهميش أن هذه الدول قد أصبح لها دور كبير في مجال بناء السلام[61]. ويظهر ذلك في حالتي الكويت وقطر، حيث تُدمج عملياتهما في الوساطة في محافظ كبيرة من المساعدات الإنسانية والتنموية، وتشير كلتاهما إلى تأطير هذا الدعم في إطار تحقيق التنمية والسلام. ويشار هنا إلى الفرق في العقلية بين الكويت وقطر والسعودية والإمارات في ما يتعلق بالمشاركة في ما يسمى مساعدات السلام ضمنيًا في هذه الدراسة، حيث إن الأخيرة، وتحديدًا بعد التدخّل العسكري في اليمن، أظهرت انخراطًا واضحًا في الأنشطة التي يمكن أن تُدرج تحت مساعدات السلام الصلبة (ذات النزعة العسكرية التدخلية)، مثل المشاركة العسكرية في اليمن، والمشاركة في قوات حفظ السلام في مناطق أخرى، مثل أفغانستان وجيبوتي وإريتريا والصومال، بينما في حالتي الكويت وقطر، ما عدا الحالات التي شاركت فيها قطر في قوات حفظ السلام في جيبوتي وإريتريا واليمن ثم انسحبت بعد الأزمة الخليجية، فإن توجّههما هو تبني أنشطة بناء السلام الناعمة، أبرزها الوساطة والدبلوماسية الإنسانية والمساعدات الخارجية[62]. أخيرًا، ينبغي الإشارة إلى الخطاب الأكاديمي والإعلامي الغربي الموجّه إلى منطقة الشرق الأوسط، بأنها غارقة في الفوضى ومنتجة للدمار، وتلقائيًا تُهمّش مسألة الدور الذي تحققه المساعدات الخارجية المقدّمة من دول عربية في بناء السلام. تحتاج هذه الإشكاليات والتحديات حقًا إلى الابتكار الذكي عندما يتعلق الأمر بإدارة المانحين الخليجيين لمساعداتهم الخارجية وتنفيذها.

61 Ibid.

62 Ibid.

خاتمة

سعت الدراسة لتوثيق حجم المساعدات الخارجية المقدّمة من دول الخليج المانحة للمناطق الهشّة والمتضررة من الصراعات، وفقًا لما هو معلن من جانب منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وتحليلها عبر عدسة الرابطة الثلاثية. وبيّنت أن دول الخليج محل الدراسة قد حافظت على وتيرة هذه المساعدات عالية، مع توثيق معظم الدعم الموجّه تحت عنوان المساعدات الإنسانية والتنموية، وندرة توثيقها تحت عنوان مساعدات السلام. ومن غير الواضح أن هناك توجهًا جادًا يأتي في سياق أجندة إصلاحية شاملة لنظام المساعدات الخارجية للمانحين الخليجيين لتوجيه مساهماتهم عبر عدسة الرابطة الثلاثية، فلا تزال أنماط هذه المساعدات لم تتغير إلّا على نحوٍ طفيف، ومع هذا لا يمكن القول بوجود تحوّل جذري في سياسات المساعدات الخارجية لهذه الدول. فضلًا عن أن دعمها الموجّه نحو مساعدات السلام في حاجة إلى أن ينعكس باعتباره تعهدًا استراتيجيًا وطويل الأجل مستمدًا من عملية واضحة لصنع السياسات، تعمل على توطيد الرابطة الثلاثية صراحةً. ولذلك، تقدّم هذه الدراسة دروسًا مستفادة قيّمة لصُنّاع القرار والعاملين في المجال الإنساني والتنموي والسلام للبناء عليها في الجهود المستقبلية لتعزيز نهج الرابطة الثلاثية. وتظهر البيانات أن دول الخليج المانحة قادرة على الاضطلاع بدور رفيع المستوى في المستقبل عبر الرابطة الثلاثية. وعلى الرغم من أن هذه المجالات تمثّل علامات ومؤشرات قوية على موقع دول الخليج المانحة في ما يتعلق بالعلاقة الثلاثية، فإن دورها في تعزيز العلاقة بين القطاعات الإنسانية والتنموية والسلام في حاجة إلى ضبط.

إجمالًا، يمكن القول إن السنوات العشر الماضية شهدت تحوّلًا نسبيًا نحو توجيه التمويل، تحت عنوان المساعدات الإنسانية والتنموية، وعلى نحو أقل لمساعدات السلام، وهناك الكثير الذي يتعيّن القيام به في هذا الصدد، أبرزه معالجة التحديات المتعلقة بضعف التنسيق وتبادل البيانات والمعلومات والتحليلات المشتركة أو غيابها، والتحول من التمويل الثنائي إلى التمويل المتعدد الأطراف والمرن، وتوجيه التمويل صراحةً نحو الرابطة الثلاثية، مع الإشارة إلى أن ذلك يحتاج إلى قرار من قيادات العمل الإنساني والتنموي وبناء السلام للقيام بحركة الإصلاحات في سياق الرابطة الثلاثية. وأخيرًا، تجدر الإشارة إلى أنّ اتجاهات المساعدات الخارجية المقدمة من دول الخليج المانحة، لو جرى ضبطها بسياسات وأطر تنظيمية واضحة، ونظام توثيق رسمي يدمج بين مساهمات هذه القطاعات الثلاثة، فإنها يمكن أن تقدّم نموذجًا عربيًا فريدًا من نوعه في سياق الرابطة الثلاثية لو جرى صوغ هذا المفهوم وبلورته وتنميته، انطلاقًا من رؤية عربية – عربية، تعكس تعاونًا عربيًا مستدامًا ومتكاملًا للاستجابة لأزمات المنطقة.

المراجع

Alarabeed, Wadee. "Qatar's Approach Across the Triple Nexus in Conflict-Affected Contexts: The Case of Darfur." *Third World Quarterly*. vol. 54, no. 1 (2024).

Barakat, Sultan & Anna Larson. "Fragile States: A Donor-Serving Concept? Issues with Interpretations of Fragile Statehood in Afghanistan." *Journal of Intervention and State Building*. vol. 8, no. 1 (2014).

Barakat, Sultan & Ghassan Elkahlout. "Gulf State Donors Across the Humanitarian-Development-Peace Nexus." Gulf Research Center Cambridge (2022). at: https://bit.ly/3ns9mJ6

Barakat, Sultan & Sansom Milton. "Localisation across the Humanitarian-Development-Peace Nexus." *Journal of Peacebuilding & Development*. vol. 15, no. 2 (2020).

Barakat, Sultan & Stephen Zyck. "Gulf State Assistance to Conflict-Affected Environments." Kuwait Programme on Development, Governance and Globalisation in the Gulf States. The Centre for the Study of Global Governance. LSE (2010).

Barakat, Sultan. "Gulf States and Peacebuilding: Key Characteristics, Dynamics, and Opportunities." Center on International Cooperation (April 2022).

"Development Actors at the Nexus: Lessons from Crises in Bangladesh, Cameroon and Somalia." *Synthesis Report*. The Food and Agriculture Organization of the United Nations, Development Initiatives & Norwegian Refugee Council (April 2021). at: https://bit.ly/3lqlDxi

Elkahlout, Ghassan. "'Hearts and Minds': Examining the Kuwaiti Humanitarian Model as an Emerging Arab Donor." *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies*. vol. 14, no. 1 (2020).

Eriksson, John et al. "The International Response to Conflict and Genocide: Lessons from the Rwanda Experience." *Synthesis Report*. Joint Evaluation of Emergency Assistance to Rwanda (March 1996). at: https://bit.ly/3vXpyXd

Ferris, Elizabeth. "The Humanitarian-Peace Nexus." *Research Briefing Paper*. UN Secretary-General's High-Level Panel on Internal Displacement (August 2020). at: https://bit.ly/3RjpNST

Gisselquist, Rachel M. *Development Assistance for Peacebuilding*. London: Routledge, 2018.

"How Arab Countries and Institutions Finance Development." *Report*. OECD (2019). at: https://shorturl.at/begoQ

"Humanitarian-Development Peace Nexus for Health Profile: Yemen." World Health Organization (October 2020). at: https://bit.ly/3zLLWBq

Kamrava, Mehran. "Qatari Foreign Policy and the Exercise of Subtle Power." *International Studies Journal (ISJ)*. vol. 14, no. 2 (Fall 2017).

Laws, Ed. "Financing Peacebuilding and the Triple Nexus: Organizational Structures and Incentives to Improve Coherence." Center on International Cooperation. 4/4/2022. at: https://bit.ly/3P3wqsR

Momani, B. & C. A. Ennis. "Between Caution and Controversy: Lessons from the Gulf Arab States as (re-) Emerging Donors." *Cambridge Review of International Affairs*. vol. 25, no. 4 (2012).

Nguya, Gloria & Nadia Siddiqui. "Triple Nexus Implementation and Implications for Durable Solutions for Internal Displacement: On Paper and in Practice." *Refugee Survey Quarterly*. vol. 39, no. 4 (2020).

Salisbury, Peter. "Aiding and Abetting? The GCC States, Foreign Assistance, and Shifting Approaches to

Stability." James A. Baker III Institute for Public Policy of Rice University (2018).

Südhoff, Ralf, Sonja Hövelmann & Andrea Steinke. "The Triple Nexus in Practice: Challenges and Options for Multi-Mandated Organisations." Center for Humanitarian Action (CHA) (2020). at: https://bit.ly/3xNrFdu

Tok, M. Evren. "Gulf Donors and the 2030 Agenda: Towards a Khaleeji Mode of Development Cooperation." Centre for Policy Research. United Nations University (2015).

UNDP. "Kuwait Fund and UNDP Join Forces to Support the Most Vulnerable People in Countries Affected by Crisis: Joint Efforts to Focus on Humanitarian-Development-Peace Nexus." 5/5/2023. at: https://bit.ly/3nxvAJK

Veron, Pauline & Volker Hauck. "Connecting the Pieces of the Puzzle: The Eu's Implementation of the Humanitarian-Development-Peace Nexus." *Discussion Paper*. no. 301. The European Centre for Development Policy Management (ECDPM) (June 2021).

Weishaupt, Sebastian. "The Humanitarian-Development-Peace Nexus: Towards Differentiated Configurations." *UNRISD Working Paper*. no. 2020-8. The United Nations Research Institute for Social Development (UNRISD) (2020). at: https://cutt.ly/LTAseDM

Zureik, Elia. "Qatar's Humanitarian Aid to Palestine." *Third World Quarterly*. vol. 39, no. 4 (2018).

Received التسلم 2022-10-3
Revised التعديل 2023-4-20
Accepted القبول 2023-6-18
DOI المعرف الرقمي https://doi.org/10.31430/KAXY2330

عمـاد قــدورة | Emad Y. Kaddorah*

موقع دول الخليج العربية في مبادرة الحزام والطريق الصينية

The Position of the Gulf States in the Belt and Road Initiative

مع أن المواقع الجغرافية للدول ومواردها وإمكاناتها مهمةٌ في استراتيجية الصين العالمية، فإن دول الخليج العربية لم تكن جزءًا من الخريطة الأصلية لمبادرة الحزام والطريق. لكن، بدأت الصين وهذه الدول بالعمل على الربط بالمبادرة ومشاريعها من خلال توقيع شراكات استراتيجية، والمواءمة مع رؤى التنمية الوطنية الخليجية. ومع أن المبادرة تعكس إنتاجية الصين وتجارتها الهائلة وعلاقاتها الواسعة، فإنها تخلق أيضًا تحديات لنهجها السلمي القائم على ما تسميه "مجتمع المصالح". وقد أثار هذا التوسّع الولايات المتحدة وحلفاءها، واعتبر بعضهم أن الصين تمثل تحديًا خطيرًا. وترتّب على ذلك محاولة عرقلة مشاريع المبادرة من خلال مسألة فخ القروض، وتحالفات جيوسياسية، وطرح مشاريع اقتصادية بديلة. تجادل الدراسة في أن الخليج يقع في صلب اهتمام الصين ومتطلبات مبادرة الحزام والطريق، وتوضّحُ موقعَ دول الخليج العربية في خريطة المبادرة، وتعرضُ الكيفية التي من خلالها اندمجت كل دولة في مشاريعها بالتدريج. وتناقش وسائل الغرب ومشاريعه البديلة للرد على المبادرة وعرقلتها، ومدى انطباق هذه الوسائل على دول الخليج العربية. وتقدّم ملاحظات استنتاجية حول نهج الصين المحتمل، إذا ما عُرقلت المبادرة وتعرّضت مصالحها للضرر؛ فهل ستُغيِّر نهجها الخارجي؟ وهل سيتأثر الخليج بذلك؟

كلمات مفتاحية: مبادرة الحزام والطريق، دول الخليج العربية، مجتمع المصالح، الواقعية، الشراكة الاستراتيجية، مواجهة الاحتواء، الممر الاقتصادي.

This paper agrues that although the Arab Gulf is strategically located and of economic importance to China, the Gulf Cooperation Council (GCC) states did not fall along the original routes demarcated by the Belt and Road initiative roadmap. Nevertheless, both China and these states have begun to engage with the initiative and its projects by signing strategic partnerships, and to enmesh these projects with perspectives on national development in the Gulf. This has unsettled the United States and its allies, some of whom have begun to view this expansion as a serious challenge. As a result, there has been an attempt to impede the initiative's projects through debt-trap debate, geopolitical alliances, and putting forth alternative economic proposals. This study argues that the Gulf is of great concern to China and the requirements of the Belt and Road initiative, identifying where the GCC states are located on the initiative map and illustrating the way in which each state has gradually become involved in associated projects. It considers Western mechanisms and alternative projects in response to respond to and impede the initiative and the degree to which these mechanisms may apply to the GCC states. The paper presents deductive observations as to China's likely approach in the event that the initiative is obstructed and its interests undermined. Will it modify its foreign strategy – and will this impact the Gulf?

Keywords: BRI, GCC States, Interest Community, Realism, Strategic Partnership, Anti-Containment, IMEC.

* باحث ومدير قسم التحرير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
Researcher & Head of Editing Department, Arab Center for Research and Policy Studies.
Email: emad.kaddorah@dohainstitute.org

مقدمة

منذ إطلاق مبادرة الحزام والطريق في عام 2013، استطاعت الصين، خلال عقدٍ واحدٍ، تنفيذ معظم التصورات التي خططت لها للربط بين المواقع الجغرافية ضمن استراتيجيتها العالمية. فاعتمادًا على طريقي الحرير البرية والبحرية، أنشأت الصين واستثمرت في خطوط اتصالٍ وبنى تحتية مادية تشمل قوة بحرية، وسفنًا تجارية، ومحطات تزويد، وسككًا حديدية، وموانئ، ومدنًا صناعية، عبر أوراسيا من جهة، والمحيط الهندي وأفريقيا من جهة أخرى؛ لتصل إلى أوروبا.

لكن لم تكن دول الخليج العربية جزءًا من المسارات الأصلية في خريطة مبادرة الحزام والطريق رغم تمتّع الخليج العربي بموقع استراتيجي وأهمية اقتصادية للصين. وحتى مع مرور الطريق البحرية من البحر الأحمر، لم يجرِ تضمين المملكة العربية السعودية، المطلة على امتداد هذا البحر، في خطط المبادرة وبناها التحتية.

بدأت الصين بتحديث طرق المبادرة بعد النجاحات الأولى التي حققتها، وأصبحت تدمج دولًا لم تكن ضمن الخرائط الأصلية؛ فبدأت تربط بين شبكتها العالمية الناشئة والشبكة الإقليمية الخليجية من خلال مجالات التعاون الستة للمبادرة؛ وهي: الطاقة التقليدية، والبنية التحتية والنقل، والتجارة والاستثمار، والطاقة النووية، والأقمار الصناعية، والطاقة المتجددة. وتجلى الاندماج في الاتفاقات مع دول خليجية راوحت بين مستويي "الشراكة الاستراتيجية" و"الشراكة الاستراتيجية الشاملة"، وكذلك في المواءمة بين المبادرة ورؤى التنمية الوطنية الخليجية، فضلًا عن الاستثمار في الموانئ والمدن الصناعية الخليجية، حتى صارت هذه الدول كأنها تقع في قلب المبادرة.

في الواقع، تعكس مبادرةُ الحزام والطريق تطورَ الصين وإنتاجيتها الهائلة وتجارتها الواسعة وعلاقاتها ونفوذها، لكنها تخلق أيضًا تحديات لنهجها السلمي الخارجي القائم على ما تسميه "مجتمع المصالح" بديلًا من السياسة الواقعية الغربية. فتوسّع مشاريعها وبناها التحتية في العالم، جعل الولايات المتحدة الأميركية وبعض حلفائها يسعون لعرقلة المبادرة من خلال الدعاية، والتحالفات، ومشاريع اقتصادية بديلة. وإذا ما تحوّلت هذه السياسات إلى نهج هجومي وتوترات عسكرية أو عقوبات، فسيكون سلوك الصين محل تساؤل؛ هل سيبقى سلميًا دفاعيًا؟ أم سيتحول إلى واقعي هجومي؟

تجادل الدراسة بأن دول الخليج العربية تقع في بؤرة تركيز مبادرة الحزام والطريق حاليًا، لأن أهداف الصين أوسع من مسارات طرق المبادرة الأصلية؛ فهي تسعى عمليًا لتعزيز تأثيرها الخارجي وحضورها في العالم، وفي المناطق التي تتوافر فيها أسواق وموارد حيوية. ومن ثمّ، فإن الخليج يقع جيوسياسيًا في صلب التفكير الخارجي للصين ومتطلبات المبادرة. ويدل النشاط السياسي المتزايد للصين في المنطقة، مثل رعاية مفاوضات إعادة العلاقات السعودية – الإيرانية، على الاهتمام بالانخراط فيها. وفي المقابل، تتمتع دول الخليج العربية بمركز قوة مهم دوليًا، وموقع استراتيجي يصعب تجاوزه؛ ما يعزز فرص هذه الدول في تحقيق هدفها في تنويع شركائها واقتصاداتها.

تنقسم الدراسة إلى خمسة محاور، تعرّف، **أولًا**، باختصار، بهدف مبادرة الحزام والطريق وممراتها، لتبيّن أن معظم هذه الممرات بعيدة عن دول الخليج العربية. وتوضح، **ثانيًا**، نهج الصين الخاص تجاه الخارج من خلال مفهومي "مجتمع المصالح" و"الشراكة"، وذلك للتمهيد لمناقشة سلوكها المتوقع مستقبلًا، وبخاصة في الخليج. وتحلّل، **ثالثًا**، موقع دول الخليج في المبادرة، وجهود الصين لضمها عبر مجالات التعاون الستة، ومصالح هذه الدول في المبادرة، والكيفية التي اندمجت بها كل دولة في مشاريعها. وتناقش، **رابعًا**، وسائل الغرب ومشاريعه البديلة للرد على المبادرة، ومدى انطباقها على دول الخليج العربية. وتقدّم الدراسة، **أخيرًا**، ملاحظات استنتاجية حول نهج الصين المحتمل في الخليج، إذا جرت عرقلة مشاريع المبادرة. وتناقش كيفية تصرّفها إذا ما تعرضت مصالحها للضرر؛ فهل سيتغير نهجها الخارجي؟ وهل سيتأثر الخليج بذلك؟ وأين تكمن أولويات دول الخليج العربية؟

أولًا: هدف مبادرة الحزام والطريق وممراتها

تعد مبادرة الحزام والطريق مشروعًا ضخمًا فريدًا في تاريخ الاقتصاد العالمي، ونهجًا يتماشى مع أفكار الرئيس شي جين بينغ Xi Jinping بشأن الصين بصفتها قوة عالمية في القرن الحادي والعشرين ومع رؤيته "التجديد العظيم للصين". وارتبطت المبادرة بالإشارة الواضحة إلى رغبة الصين في أن يكون لها مكان بين الأمم؛ فقد قال في أول خطاب ألقاه عندما أصبح رئيسًا في عام 2012: "مسؤوليتنا هي [...] تحقيق النهضة الكبيرة للأمة الصينية ووقوفها بقوة أكبر بين جميع الدول في جميع أنحاء العالم"[1].

1 أُعلنت المبادرة في مناسبتين: الأولى، خلال زيارة الرئيس شي إلى كازاخستان في أيلول/سبتمبر 2013، حيث أعلن عن "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير البرية"، والثانية، بعد شهر، حيث أعلن من إندونيسيا عن "طريق الحرير البحرية". ونشرت وكالة **شينخوا** في أيار/مايو 2014، أول خريطة جغرافية للمبادرة، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية الصين الخارجية. ينظر:

Pelagia Karpathiotaki et al., "China's Belt and Road Initiative: Contributions to Connectivity," in: Christopher Findlay & Somkiat Tangkitvanich (eds.), *New Dimensions of Connectivity in the Asia-Pacific* (Canberra: ANU Press, 2021), pp. 41-42, 45-46.

تتضمن المبادرة جوانب رئيسة تشمل منشآت البنية التحتية واستثمارات في الموانئ والنقل وشبكات الطاقة، والتجارة، والتمويل، والتواصل بين الدول. وتبلغ قيمة الاستثمار فيها حتى خريف 2023 نحو 4 تريليونات دولار[2]، وتهدف إلى جعل الصين مركزًا للاتصال في المنطقة وخارجها، وتأمل أن تستوعب مشاريعُ المبادرة والبلدانُ التي تستضيف منشآتها فائضَ الصين الكبير من الإنتاج المحلي[3]؛ إذ تربط المبادرة كثيرًا من الدول في قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا بالصين؛ ما يُظهر قوتها وحضورها[4]. ومن الأمثلة على انتشار المبادرة عالميًا على أرض الواقع، توقيع 147 دولة و31 منظمة دولية، حتى الآن، وثائق تعاون (مذكرات تفاهم) مع الصين متعلقة بالمبادرة[5].

للمبادرة طريقان أساسيتان، الأولى طريق الحرير البرية التي تمتد من مدينة شيان Xi'an عبر آسيا الوسطى وإيران وتركيا إلى مدينة روتردام في هولندا. والثانية طريق الحرير البحرية التي تمتد من مدينة جوانزو Quanzhou عبر عدة محطات رئيسة في المحيط الهندي، ثم البحر الأحمر وقناة السويس إلى إيطاليا.

الخريطة (1)
موقع الخليج بعيدًا عن طريقي الحرير البرية والبحرية

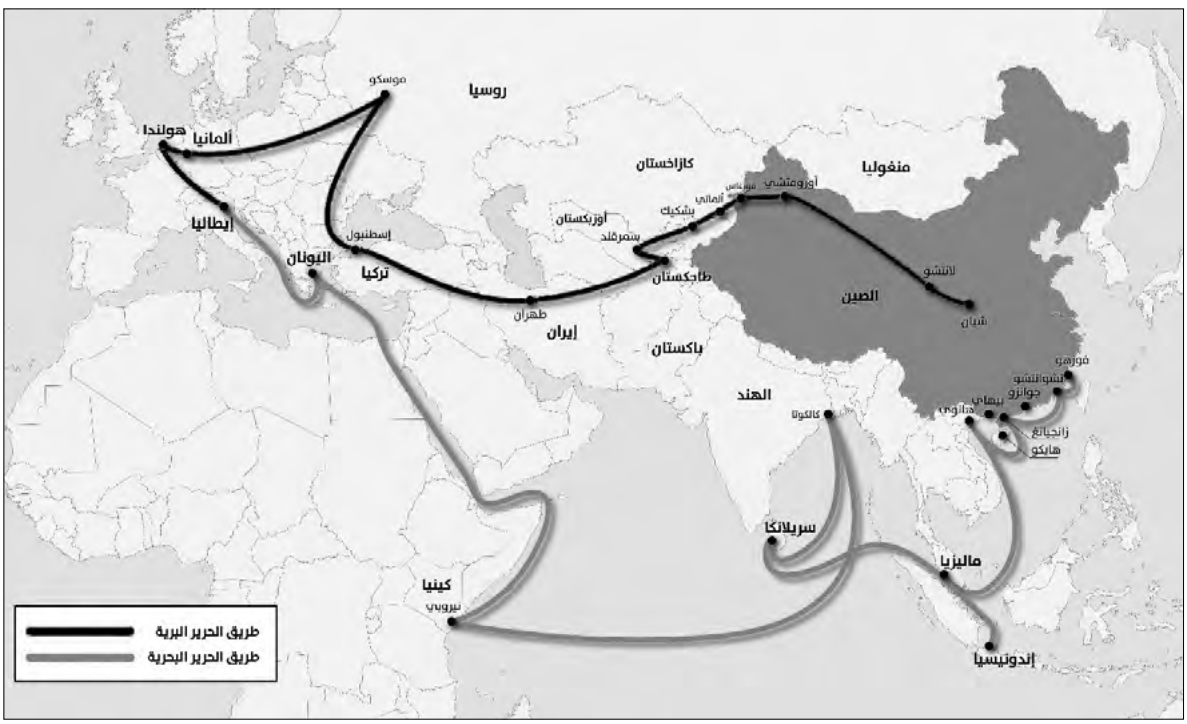

المصدر: من إعداد الباحث، بمساعدة سهيل جلاوي من قسم التصميم بالمركز العربي للأبحاث، واستنادًا إلى الخريطة الأصلية، في:

"The Belt and Road Initiative," Silk Road Briefing, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/3rCrfrj

2 "The Belt and Road Initiative," Silk Road Briefing, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/3rCrfrj

3 David M. Lampton, "China and America," *Great Decisions* (January 2018), pp. 42-43.

4 Anoushiravan Ehteshami, "The BRI and its Rivals," *PRISM*, vol. 10, no. 1 (2022), p. 28.

5 Yike Fu & Ovigwe Eguegu, "Mapping the Future of China-Africa Relations: How the Continent can Benefit," South African Institute of International Affairs, *Occasional Paper*, no. 333 (October 2021), p. 3; "The Belt and Road Initiative."

الخريطة (2)
الممرات الاقتصادية الستة لمبادرة الحزام والطريق

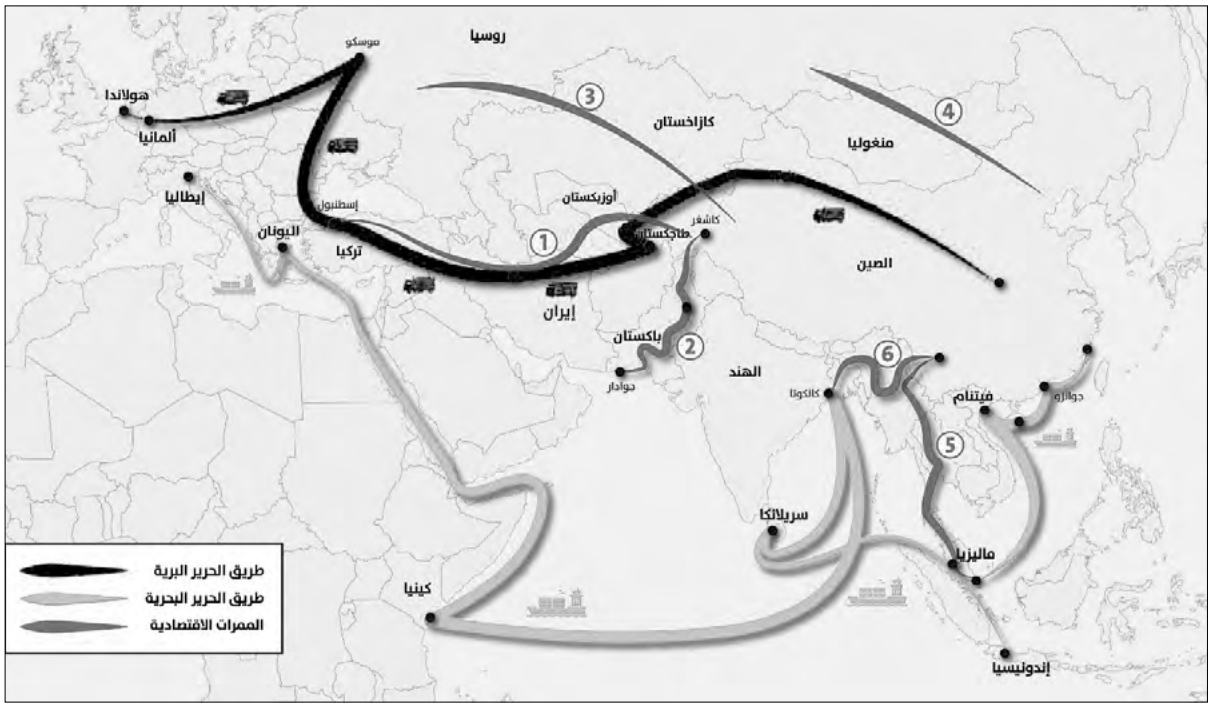

المصدر: من إعداد الباحث، بمساعدة سهيل جلاوي.

ويمكن ملاحظة أن دول الخليج العربية بعيدة عن الممرات الاقتصادية الأساسية المنبثقة من المبادرة، وهي[6]:

- الممر الاقتصادي بين الصين وآسيا الوسطى وغرب آسيا، الذي يبدو بعيدًا عن شبه الجزيرة العربية.
- الممر الاقتصادي بين شمال الصين وميناء جوادار في باكستان، ويربط طريقي الحرير البرية والبحرية.
- الجسر البري الأوراسي الجديد: يربط المحيط الهادي بالمحيط الأطلسي.
- الممر الاقتصادي بين الصين ومنغوليا وروسيا.
- الممر الاقتصادي بين الصين وشبه الجزيرة الهندية الصينية.
- الممر الاقتصادي بين بنغلاديش والصين والهند وميانمار.

ثانيًا: رؤية الصين ونهجها الخارجي في ظل الحزام والطريق

تحاول الصين التمايز عن الإرث الغربي الحديث، الذي يُوسم بالإمبريالية ويتبنى الواقعية التي توظّف الصراع والتنافس على مناطق النفوذ. وبوصف الصين الحديثة تنتمي إلى دول الجنوب النامية، وتتشارك المظالم مع هذه الدول نظرًا إلى أنها كانت ضحية للسياسات الاستعمارية، فإنها تحاول طرح منظور جديد لسياساتها. فبدلًا من تلك المفاهيم، تسعى الصين لترسيخ مفهوم "مجتمع المصالح" الذي يَعِد باستفادة الجميع بدلًا من الدولة الكبرى فقط، والشراكة بدلًا من التحالف. واستند صعودها الاقتصادي المتسارع وهدوءها في تنفيذ استراتيجياتها وتمدُّد نفوذها التجاري والجيوسياسي إلى إظهار الرغبة في التنمية والسلام والمشاركة في المنافع والابتعاد عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو في النزاعات الإقليمية. وقد حصدت ثمار هذا النهج، الذي لم يتعرّض لصدمات جوهرية حتى الآن، من خلال منافع عظيمة مكنتها من عقد شراكات واتفاقات مع مئات الدول.

6 "What are Six Economic Corridors under Belt and Road Initiative?" China.org.ch, 4/8/2020, accessed on 31/3/2023, at: https://t.ly/Q1l6g

وبحسب رؤيتها، تسعى الصين من خلال مبادرة الحزام والطريق لإحياء روح طريق الحرير القديمة التي كانت قائمة على "السلام والتعاون، والانفتاح وتمثيل الجميع، والتعلّم من الآخرين، والمنافع المشتركة، والنتائج التي تعود بالفائدة على الجميع". ويعكس هذا التوجه الرغبة في إعادة التوازن من "الشؤون السياسية بين الدول" إلى "الشؤون السياسية بين الشبكات" بالتركيز على "التواصل" بدلًا من "السيطرة"[7].

فإلى جانب مبادرة الحزام والطريق، اقترح الرئيس شي فكرة "مجتمع المصالح" Interest Community في عام 2014. ثمّ بدأ المسؤولون الصينيون توضيح معنى هذا المجتمع بأنه "مجتمع قائم على المسؤولية المشتركة"، وأنه "مجتمع المصير المشترك للبشرية"، وأنه يُعتبر بمنزلة رؤية الصين للنظام العالمي. وتمثل هذه الفكرة، وفقًا لوزير الخارجية الصيني وانغ يي Wang Yi، اختراقًا نظريًا كبيرًا "يتجاوز أكثر من 300 عام من النظرية الغربية للعلاقات الدولية"[8].

ونلاحظ التركيز بشدة في جميع العبارات السابقة على كلمتي "المشترك" و"المجتمع"، وتجنّب استخدام العبارات المنبثقة من الإرث الواقعي مثل "التحالف" Alliance، الذي يستتبع التنافس، وربما الصراع، مع متحالفين آخرين. ويبدو أيضًا أن التركيز على المنافع المشتركة مع الآخرين، لجذب اهتمامهم وإقناعهم بالمبادرة، هو أيضًا أحد أسباب تركيز الصين على المعنى المشتق من كلمتي "المشترك" و"المجتمع"، وهو "الشراكة" Partnership، بديلًا من مصطلح التحالف.

يعزو بعض الباحثين الغربيين معارضة الصين جزئيًا لمفهوم التحالف إلى تجربتها مع التحالفين العسكريين الكبيرين إبان الحرب الباردة التي كانت سلبية؛ ما جعلها تفكّر في نمطٍ مختلفٍ بعيدًا عن التحالفات العسكرية الواسعة على مستوى العالم. فقد كان التحالف السوفياتي - الصيني فاشلًا، في حين رأت الصين أن حلف شمال الأطلسي "الناتو" ترك مَن هم خارجه في حالة مِن عدم الأمان، وكان معاديًا لأيديولوجيتها أيضًا. ومن ثمّ، فـ "الشراكات" هي البديل، إذ تقدم ميزة "المرونة" Flexibility، وتستند إلى المنفعة المتبادلة أو المشتركة التي ترد في "المبادئ الخمسة للتعايش السلمي"، وتغطي نطاقًا واسعًا من المجالات، وتترك القضايا الإشكالية جانبًا[9].

تتفاوت التفسيرات بشأن نهج الصين، سواء اعتُبر "واقعيًا" بسبب كمّ القوة العسكرية المادية والنفوذ الذي راكمته في عقود قليلة، أو اعتُبر "مثاليًا تعاونيًا" بسبب سياستها الناعمة خارجيًا، حتى الآن، والتي أكسبتها صداقات وشراكات، أو اعتُبر، ضمن نهجها الخاص "مجتمع المصالح" الذي تروجه. ويمكن فهم سلوك الصين ومبادرة الحزام والطريق من خلال نهج الجيوبولتكس أيضًا، حيث بدأت آثار صعودها وتأثيرها تنعكس بوضوح على مناطق واسعة وذات أهمية جيوسياسية عبر العالم. فثمة حقائق جغرافية تسهّل سياستها النشطة الجديدة؛ فهي ثاني أكبر دولة في آسيا مساحةً، والأولى سكانيًا في العالم، وتملك موقعًا جغرافيًا ممتدًا قاريًا نحو أوراسيا يتصل بالطرق البرية المؤدية إلى أوروبا، وتشرف سواحلها الطويلة على المحيطين الهندي والهادي؛ ما يتيح لها الاتصال بالممرات البحرية والطرق التجارية الدولية.

تنطوي مسارات طرق مبادرة الحزام والطريق على أهمية جيوسياسية تبدو مدروسة. فكما أسلفنا، ثمة مسار بري ينطلق من شمال الصين إلى أوروبا نحو المحيط الأطلسي، ويخترق هذا المسار أوراسيا أو "قلب الأرض" Heartland. وثمة مسار بحري ينطلق من جنوب غربي الصين ليصل بين المحيط الهندي وأفريقيا، ويمر حول سواحل أوراسيا جنوبًا. ومن الواضح أن طريق الحرير البرية التي توصل التأثير الصيني إلى أوروبا، قد تحاكي الحركة التاريخية للأقوام التي وصلت إلى أوروبا وأثّرت فيها، مثل الهون والمغول والأتراك، التي تعمّق هالفورد ماكيندر في وصفها وتأثيرها في أوروبا جيوسياسيًا[10]، مع فرق جوهري يتمثل في أن سياسة الصين الحالية مسالمة واقتصادية بالدرجة الأولى. أما طريق الحرير البحرية، فتؤسس محطات وقواعد

7 جين ليانجشيانج وإن جاناردان، "مبادرة الحزام والطريق: الفرص والمعوقات أمام منطقة الخليج"، نظرة تحليلية، أكاديمية الإمارات الدبلوماسية، 2018/6/2، ص1، ورد في:
The People's Republic of China, Ministry of Foreign Affairs and Ministry of Commerce, "Vision and Actions on Jointly Building Silk Road Economic Belt and 21st-Century Maritime Silk Road," National Development and Reform Commission (March 2015); Speech by Chinese President Xi Jinping, "Work together for a Bright China-Arab Future," Arab League Headquarters, Cairo, 21/1/2016.

8 Yong Deng, "How China's Belt and Road is Reordering Asia," *Harvard International Review*, vol. 39, no. 4 (Fall 2018), p. 32.

9 Erzsébet N. Rózsa, "Deciphering China in the Middle East," Union Institute for Security Studies, *Brief*, no. 14 (June 2020), p. 3.
و"المبادئ الخمسة" هي: الاحترام المتبادل للسيادة، ووحدة الأراضي، وعدم الاعتداء المتبادل، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخر، والمساواة والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمي. ينظر:
M.A. Jiali & Ravni Thakur, "The Five Principles of Peaceful Coexistence," *World Affairs*, vol. 8, no. 4 (October/December 2004), pp. 32-33.

10 Halford J. Mackinder, "The Geographical Pivot of History," *The Geographical Journal*, vol. 23, no. 4 (April 1904), pp. 425-428; Halford J. Mackinder, *Democratic Ideals and Reality: A Study in the Politics of Reconstruction* (New York, NY: Henry Holt and Company, 1919), pp. 121-123.

إسناد وموانئ في المحيط الهندي وأفريقيا، مثل هامبانتوتا في سيرلانكا، وجوادار Gwadar في باكستان، وجيبوتي في مدخل البحر الأحمر، لتصل إلى البحر الأبيض المتوسط نحو أوروبا؛ فتعزز بذلك التجارة الصينية على حواف القارات، أو بلفظ نيكولاس سبايكمان "حافة المحيط" Rimland[11]، كما توفر الحماية والقوة والدعم لحركة هذه التجارة. ويمكن النظر إلى المبادرة على أنها استراتيجية الصين من أجل "مواجهة الاحتواء" Anti-Containment[12]، لأنها قد تساهم في تقويض أي استراتيجية احتواء جديدة تنفذها الولايات المتحدة وحلفاؤها[13].

تعارض الصين اعتبار أن هدف مبادرة الحزام والطريق هو النفوذ الجيوسياسي، فقد أشار تشانغ مينغ Zhang Ming، نائب وزير الخارجية الصيني لشؤون غرب آسيا وشمال أفريقيا، إلى أنه "لا يجب تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ"، وأن مبادرة الحزام والطريق "لا تهدد نفوذ أو مصالح أحد بما فيها الولايات المتحدة"[14]. وقال وانغ جيسي، وهو استراتيجي صيني، أن المبادرة استراتيجية دفاعية تهدف إلى إعادة توازن النهج الهجومي الأميركي[15].

لا شك في أن مبادرة الحزام والطريق تعكس تطور الصين في الشؤون العسكرية والسياسية والثقافية ونموها الاقتصادي[16]. فخطوط النقل تعبّر عن التدفق المتبادل في حركة البضائع والأشخاص بين المركز والأطراف، وتتطلب استعدادًا عسكريًا وتعاونًا أمنيًا لتأمين البنية التحتية وحرية النقل، واتفاقات اقتصادية لتسهيل الإجراءات، وعلاقات سياسية وقنوات دبلوماسية لتكريس التعاون وتجاوز المشكلات الناشئة؛ ما يساهم إجمالًا في زيادة الحضور في الخارج وتعزيز النفوذ الجيوسياسي.

11 Nicholas J. Spykman, *The Geography of the Peace* (New York, NY: Harcourt, Brace and Company, 1944), pp. 35-37, 45.

12 Karpathiotaki et al., pp. 47-48.

13 Seyedashkan Madani, "Beyond Geopolitics: A Geoeconomic Perspective of China-Iran Belt and Road Initiative Relations," *Uluslararasiilişkiler, International Relations*, vol. 19, no. 74 (2022), p. 57, cited in: Jean-Marc F. Blanchard & Colin Flint, "The Geopolitics of China's Maritime Silk Road Initiative," *Geopolitics*, vol. 22, no. 2 (2017), pp. 223-245.

14 "نائب وزير الخارجية الصيني: منطقة تجارة حرة بين الصين ودول الخليج نهاية 2016"، **الشرق**، 2016/5/14، شوهد في 2023/3/31، في: https://tinyurl.com/yeztfrnr

15 Madani, p. 57, cited in: Wang Jisi, "China's Search for a Grand Strategy: A Rising Great Power Finds its Way," *Foreign Affairs*, vol. 90, no. 2 (2011), pp. 68-79.

16 Rajeev Ranjan Chaturvedy & Guy M. Snodgrass, "The Geopolitics of Chinese Access Diplomacy," German Marshall Fund of the United States, *Policy Brief* (May 2012), p. 2.

ثالثًا: موقع الخليج في مبادرة الحزام والطريق

لم يكن الخليج العربي يقع ضمن الخرائط الأساسية لمبادرة الحزام والطريق. لذا، نوضح في هذا المحور جهود الصين لضم دول الخليج إلى المبادرة عبر مجالات التعاون، والعوامل التي تدفع الطرفين إلى المشاركة في المبادرة، والكيفية التي اندمجت بها كل دولة خليجية في مشاريع المبادرة، ومن ثمّ قد تصبح جزءًا من خرائطها.

1. جذب دول الخليج إلى مبادرة الحزام والطريق

جاء سعي الصين لضم دول الخليج العربية إلى مبادرة الحزام والطريق في البداية ضمن جهودها لتوسيع نطاق المبادرة لتشمل المنطقة العربية عامة. فقد أعلن الرئيس شي جين بينغ في المؤتمر الوزاري السادس لمنتدى التعاون الصيني – العربي في حزيران/ يونيو 2014، أن دول المنطقة هي "شركاء تعاون طبيعي في بناء مبادرة الحزام والطريق"[17]. ثمّ أصدرت الصين "ورقة سياسة الصين العربية" China's Arab Policy Paper، في كانون الثاني/ يناير 2016، أوضحت فيها استعدادها للتعاون وضمان تعاون مربح للجانبين[18]. وفي السنة نفسها، قام الرئيس شي بزيارتين إلى السعودية ومصر مركزًا على تنفيذ المبادرة. وقدّم رؤية الصين للأمن والاستقرار من خلال إنشاء "نمط تعاون 1+2+3" (Pattern 1+2+3)؛ أي اتخاذ التعاون في مجال الطاقة أساسًا، وإنشاء البنية التحتية وتسهيل التجارة والاستثمار بوصفهما جناحين، ومجالات التكنولوجيا العالية في الطاقة النووية والأقمار الصناعية الفضائية والطاقة المتجددة كاختراقات جديدة على المستوى الثالث[19]. وحتى عام 2019، وقعت الصين وثائق تعاون تتعلق بالمبادرة مع 17 دولة عربية، وأقامت شراكة استراتيجية وشراكة استراتيجية شاملة مع 12 دولة عربية[20].

17 محمد ذو الفقار رحمت، "جهود الصين لإسباغ الشرعية على تنفيذ مبادرة الحزام والطريق بالخليج"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الثقافية، تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، ص 7.

18 N. Janardhan, "Indo-Chinese Cooperation for Gulf Security," *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies*, vol. 11, no. 1 (July 2017), p. 58; "Full text of China's Arab Policy Paper," China.org.cn, 14/1/2016, accessed on 31/3/2023, at: https://on.china.cn/2GCQsdA

19 Degang Sun, "China's Even-handed Taiqi Diplomacy towards the Gulf Security," in: Tim Niblock, Talmiz Ahmad & Degang Sun (eds.), *Conflict Resolution and Creation of a Security Community in the Gulf Region* (Berlin: Gerlach Press, 2018), pp. 80-82.

20 "الصين توقع اتفاقيات تعاون مع 17 دولة عربية لمبادرة الحزام والطريق"، **العربي الجديد**، 2019/4/16، شوهد في 2023/3/31، في: https://tinyurl.com/mr3cwfaj

لا تقع دول الخليج العربية رسميًا في خرائط طرق مبادرة الحزام والطريق، ولا الممرات الستة المقترحة، التي ذكرناها في المحور الأول، وكان موقع الخليج يظهر هامشيًا على الطريق البحرية فقط التي تمر من البحر الأحمر. ورغم ذلك، فإن هذه الدول أصبحت تشملها مجالات التعاون الستة (انظر الشكل 1)، لما تحتله من أهمية كبرى في الطاقة، أي قمة نمط التعاون وفق الرؤية الصينية؛ وفي الجناحين، أي البنية التحتية للموانئ والنقل، والتجارة والاستثمار؛ وفي قاعدته، أي التكنولوجيا العالية بأنواعها المختلفة التي تتطلع دول الخليج إلى تحويرها وتوطينها في المنطقة. لذلك، سنلاحظ تاليًا عند عرض الاتفاقات الاستراتيجية التي وقعت مع بعض دول الخليج، كيف تحول الأمر تدريجيًا إلى مشهدٍ يوحي بأن هذه الدول صارت تقع في قلب مبادرة الحزام والطريق.

الشكل (1)
مجالات التعاون الستة في مبادرة الحزام والطريق
(Pattern 1+2+3)

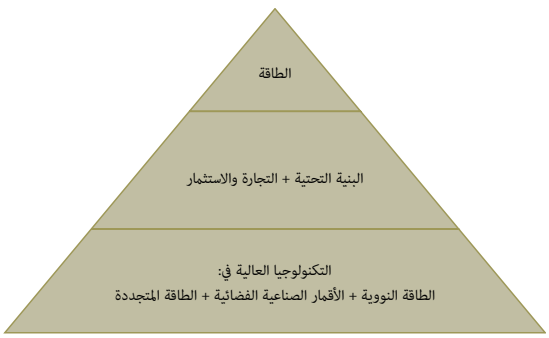

المصدر: من إعداد الباحث.

2. لمـــاذا أُدمجـــت دول الخليـــج العربية تدريجيًا في مبادرة الحزام والطريق؟

ثمة عوامل مهمة أثّرت في تحويل اهـتمام كلٍ من الصين ودول الخليج العربية من العلاقات الثنائية القائمة، إلى الشعور بأهمية الاندماج في مبادرة الحزام والطريق وتحويل هذه العلاقات إلى شراكات استراتيجية.

أ. الصين

تقع منطقة الخليج جغرافيًا في الوسط بين طريقي المبادرة البرية والبحرية، وليست عليهما مباشرة. كما تقع من جهة البحر الأحمر بمحاذاة الطريق البحرية المؤدية إلى أوروبا. ومع النجاحات الأولى التي حققتها مشاريع المبادرة، وارتفاع حجم الاستثمار فيها من قيمة اسمية أولية بنحو تريليون دولار إلى 4 تريليونات دولار حاليًا، حدَّثت الصين طرق المبادرة باستمرار، وأصبحت تدمج دولًا لم تكن ضمن الخرائط الأساسية للمبادرة، من خلال خلق شبكة متكاملة عالمية تعتمد على شبكات فرعية إقليمية. وإذا كانت الشبكة العالمية تتصل بطريقي المبادرة مباشرة، فإن الشبكات الفرعية في حاجة إلى خلق وصلات تربطها بالشبكة العالمية. وتساعد مجالات التعاون الستة، المذكورة سابقًا، على هذا الربط.

أصبحت الصين نتيجة لصعودها الاقتصادي ولهذا التوسع أكبر مستورد للنفط والغاز الطبيعي في العالم؛ فقد كانت تستهلك 2.3 مليون برميل نفط يوميًا، و0.5 تريليون قدم مكعبة من الغاز في عام 1990، بينما يتوقع أن تستهلك نحو 16 مليون برميل نفط يوميًا، ونحو 7 تريليونات قدم مكعبة من الغاز في عام 2030[21]. لذا باتت الصين تعتمد بدرجة كبيرة على مصادر الطاقة من الخليج. فقد استوردت من دول الخليج العربية نحو 210 ملايين طن من النفط في عام 2022، بنسبة 41 في المئة من إجمالي واردات النفط الصينية[22].

وتزايدت مصالح الصين في هذه المنطقة، حيث ارتفع حجم التجارة مع دول الخليج العربية كافة في عام 2022 إلى نحو 304.7 مليارات دولار (انظر الجدول 1)، في حين كان في عام 1990 نحو 1.3 مليار دولار فقط[23]. كما بلغ الاستثمار الأجنبي المباشر الصيني في هذه الـدول في الـفترة 2005-2021 نحو 107.22 مليارات دولار[24]. وتماشيًا مع المبادرة، استثمرت الصين مليارات الدولارات في موانئ

21 Mahmoud Ghafouri, "China's Policy in the Persian Gulf," *Middle East Policy*, vol. 26, no. 2 (Summer 2009), pp. 81-82.

22 Joseph Webster & Joze Pelayo, "China is Getting Comfortable with the Gulf Cooperation Council. The West Must Pragmatically Adapt to its Growing Regional Influence," *Atlantic Council*, 5/4/2023, accessed on 19/4/2023, at: https://tinyurl.com/mr2yu3yt

23 Saeed Ghasseminejad, "Chinese Trade with Persian Gulf Region Grows Despite Pandemic," *Radio Farda*, 1/5/2020, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/3bT9KZl; Tim Niblock, "Collective Security, Security Communities and the Gulf Region," in: Niblock, Ahmad & Sun (eds.), p. 15. إضافة إلى الدول الخمس المذكورة في الجدول (1)، بلغت قيمة التبادل التجاري مع البحرين نحو 1.2 مليار دولار عام 2022. ينظر:
Yuan Shenggao, "Boosting Bilateral Links with Bahrain," *China Daily*.

24 بلغ إجمالي الاستثمارات ومشاريع البناء الصينية 43.47 مليار دولار في السعودية، و36.16 مليارًا في الإمارات، و11.75 مليارًا في الكويت، و7.8 مليارات في قطر، و6.62 مليارات في عمان، و1.42 مليار في البحرين. ينظر:
Giulia Interesse, "China and the GCC: Bilateral Trade and Economic Engagement," *China Briefing*, 25/8/2022, accessed on 18/6/2023, at: https://tinyurl.com/yzkhrx7n

عدة في هذه الدول، وفي المنطقة الأوسع حولها، مثل ميناءَي خليفة والفجيرة في الإمارات، وميناء الدقم الجديد في عُمان، وميناء ينبع في السعودية[25].

> ارتفع حجم التجارة مع دول الخليج العربية كافة في عام 2022 إلى نحو 304.7 مليارات دولار في حين كان في عام 1990 نحو 1.3 مليار دولار فقط

ومع توسّع الصين في مشاريع المبادرة، فإنها تهتم باستثمارات هذه الدول في مشاريعها عبر ضخ الأموال في البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية Asian Infrastructure Investment Bank، الذي يعد قناة التمويل الرئيسة للمبادرة. وسوف نبيّن لاحقًا عضوية بعض دول الخليج في هذا البنك، وكذلك الاستثمار في مشاريع المبادرة.

في هذا السياق، تهتم الصناديق السيادية وغيرها من الأدوات الاستثمارية الخليجية بإيجاد منافذ استثمارية خارج نطاق الغرب، من أجل تنويع مشاريعها وتقليل المخاطر والتقلبات. وتعد دول الخليج من بين أهم دول العالم في قائمة صناديق الثروة السيادية. لذلك، قد تنظر الصين إلى هذه الدول بوصفها مموّلًا محتملًا ودائنًا جيدًا لمشاريع المبادرة، وقد تساهم بدورٍ موازنٍ للدول التي تعتمد على تلقي القروض لتمويل مشاريعها المرتبطة بالمبادرة.

بهذا، تتمتع دول الخليج بخاصيتين قد تفسران أهميتها الاستراتيجية لربطها بمبادة الحزام والطريق، أولاهما صادراتها الهائلة من الطاقة إلى الصين، وثانيتهما أهمية المنطقة الجيوسياسية، حيث تُعد دول الخليج مركزًا – جغرافيًا وبنيةً تحتيةً مؤهلةً - للربط بأوروبا والعديد من المناطق الأخرى[26]، كما تُعد ذات أهمية للقوى المنافسة.

ب. دول الخليج العربية

تعود رغبة دول الخليج العربية في الاندماج في مبادرة الحزام والطريق إلى أنها تمثل مشروعًا عالميًا قائمًا، وواعدًا في المستقبل، ومن ثمّ يتعين ألا تكون مستثناة منه لسببٍ جغرافي، أي بسبب أنها لا توجد على الخرائط الرسمية الأصلية. فنوعية المشاريع التي تشملها المجالات الستة للمبادرة مغرية جدًا لأنها تجمع بين الاقتصاد التقليدي (مثل الطاقة، وتكريس مركزية الموانئ والمطارات الخليجية الكبيرة وإمكاناتهما، وسلاسلهما العالمية، والتجارة)، وبين الاقتصاد الجديد والتكنولوجيا العالية (مثل الهيدروجين، والكابلات، والألياف الضوئية، والاقتصاد الرقمي، والفضاء، والطاقة النووية والمتجددة). بعبارة أخرى، يمكن أن تحقق المبادرة لدول الخليج العربية تعزيز الربط بالشبكات الجديدة للاقتصاد العالمي، والمساهمة في الهدف الأساسي لهذه الدول وهو تنويع الشركاء وتنويع الاقتصادات.

وتعد الرؤى الوطنية للتنمية في كل دولة خليجية أساسًا لنهوضها، وتستهدف في مجملها تطوير القطاعات الاقتصادية كافة، وإنجاز مشاريع تنموية استراتيجية ضمن سقف زمني محددٍ؛ مثل رؤية السعودية 2030، ورؤية قطر 2030، ورؤية نحن الإمارات 2031، ورؤية الكويت 2035، ورؤية عمان 2040. لذلك، ربما يوفر ربط هذه الرؤى بمشاريع مبادرة الحزام والطريق فرصًا لدول الخليج لتطوير العلاقات مع الصين، والمشاركة في مشاريعها الكبرى وشبكتها الإقليمية والعالمية، نظرًا إلى تجربتها التنموية الشاملة والسريعة في العقود القليلة الماضية.

من جهة أخرى، قد يُنظر إلى الصين أيضًا على أنها شريكُ قوةٍ آخر يمكن إضافته إلى الولايات المتحدة، التي تعد شريك الأمن الأساسي التقليدي في المنطقة[27]. فطبيعة السياسة الصينية، والتزامها بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، قد يكسبانها ميزةً على مستوى زيادة التعاون العسكري والأمني. وعلى سبيل المثال، قد دفع قرار واشنطن تجميد مبيعات الأسلحة للسعودية والإمارات بشكل مؤقت، وتعليقها صفقة بيع طائرات إف-35 إلى الإمارات، كلًا من الرياض وأبوظبي إلى البحث عن جهات موردة بديلة، ولو مؤقتًا، ومن ضمنها الصين[28]. وربما تتيح مبادرة الحزام والطريق لدول الخليج مجالًا للدخول في علاقات شراكة متعددة الأطراف خارج المنطقة، وقد تكون حافزًا للصين للانخراط في الترتيبات السياسية والأمنية في

25 عبد الله باعبود، "لماذا تبرز الصين كمروج أساسي للاستقرار في مضيق هرمز؟"، كارنيغي، 2023/6/6، شوهد في 2023/6/18، في: https://t.ly/a6Y8r

26 Jonathan Fulton, "The Relations between China and the Gulf States," Konrad Adenauer Stiftung, *Policy Report*, no. 39 (September 2021), p. 1.

27 "China's Impact on Conflict Dynamics in the Red Sea Arena," US Institute of Peace (2020), p. 21.

28 باعبود. ينظر:
"Biden Halts Arms Sales to UAE and Saudi Arabia," *DW*, 27/1/2021, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/3ZGR4D4; "US Suspends $23 Billion Sale of F-35s to UAE that Followed Abraham Accord," *Times of Israel*, 27/1/2021, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/46laoZ9; Rodger Shanahan, "The Gulf's diversification dilemma," *The Interpreter*, 21/5/2022, accessed on 31/3/2023, at: https://binged.it/3LLVFOC

منطقة الخليج[29]، دون أن يعني ذلك أنها بديلٌ من دور الولايات المتحدة وترتيباتها. فاهتمام الصين الأمني، وربما انخراطها مستقبلًا، قد يتزايدان مع تزايد مصالحها في المنطقة؛ ما يتطلب حمايتها والدفاع عنها إن تعرضت للحرمان من الوصول إليها أو تهديدها، كما سنبيّن في المحور الأخير.

3. كيف اندمجت دول الخليج العربية في مبادرة الحزام والطريق؟

أصبح المسؤولون في الجانبين الصيني والخليجي يشيرون إلى مبادرة الحزام والطريق عند الحديث عن مشاريع جديدة مشتركة أو حتى بعض المشاريع القائمة مثل الموانئ والمدن الصناعية وطرق النقل. ورغم تفسير الصين مضمون المبادرة بأنها معنية بمجالات تعاون رئيسة قد تربط الدول بالمبادرة، فقد أصبح للخريطة الجغرافية نفسها معنًى بالتدريج، إذ صار يُنظر إلى مرور الطريق البحرية للمبادرة من البحر الأحمر بأنه يشمل السعودية، لأن الصين أصبحت مهتمة بالموانئ الغربية، مثل ميناء ينبع. ثمّ إنّ استثمار الصين في بعض الموانئ الكبرى مثل الدقم في عمان، وخليفة في الإمارات، أصبح يُفسّر على أنه ربطٌ للخليج بميناء جوادار الباكستاني، الذي يعد محطةً مركزية في خريطة المبادرة.

بناءً عليه، صارت دول الخليج العربية تندمج شيئًا فشيئًا في مبادرة الحزام والطريق. وساهمت التصريحات الرسمية الخليجية والاتفاقات الموقعة مع الصين خلال السنوات القليلة الماضية في إضفاء سمة رسمية على انضمامها عمليًا إلى مبادرة الحزام والطريق. وتوضّح الأمثلة التالية مدى اهتمام دول الخليج العربية بأن تكون جزءًا من المبادرة.

أ. المملكة العربية السعودية

برزت السعودية واحدةً من أهم شركاء الصين في منطقة الخليج؛ إذ تضاعف حجم التجارة عدة مرات بفضل المشاريع الاقتصادية الكبيرة. فقد بلغ إجمالي التبادل التجاري بينهما في عام 2022 نحو 106 مليارات دولار[30]، مرتفعًا بنحو 30 في المئة في سنة واحدة، إذ كانت قيمته في عام 2021 نحو 80 مليار دولار[31]. ويدور جزء كبير من العلاقات التجارية بين البلدين حول النفط، الذي يشكّل نحو 20 في المئة من إجمالي واردات الصين من النفط الخام عالميًا[32]. وبلغت استثمارات المملكة في الصين 23 مليار دولار[33].

وساهم في هذه الزيادة المتسارعة في التعاون رفعُ الصين علاقاتها مع السعودية إلى مستوى "الشراكة الاستراتيجية الشاملة"، بدايةً من عام 2016[34]، والتي تم توقيعها رسميًا أثناء زيارة الرئيس شي للسعودية في كانون الأول/ ديسمبر 2022، حيث أُعلن أيضًا عن توقيع 34 اتفاقية استثمارية بقيمة 30 مليار دولار[35]. وفي إشارة إلى دمج هذه الاتفاقيات في مبادرة الحزام والطريق، رحّب الرئيس شي وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بانخراط الشركات السعودية في مختلف الشراكات ضمن إطار المبادرة[36]. عمومًا، أنشأ البلدان آليات تنسيق ثنائية وإقليمية تهدف إلى مواءمة مبادرة الحزام والطريق مع رؤية المملكة 2030[37]. فقد انعقدت لجنة في أثناء زيارة الأمير محمد بن سلمان للصين في عام 2016 بعنوان "رؤية السعودية 2030 ومبادرة الحزام والطريق: معًا لمستقبل مشرق"، لبحث الرؤى المتبادلة للمشروعين[38]. واعتبر خالد الفالح، وزير الطاقة والصناعة والثروة المعدنية، أن إحياء مسارات التجارة القديمة يضيف إلى رؤية المملكة 2030[39]. وعمومًا، يُنظر إلى الصين بوصفها شريكًا مهمًا في المشاريع المرتبطة برؤية المملكة، بما في ذلك مدينة نيوم الضخمة التي تبلغ قيمة الاستثمار فيها 500 مليار دولار[40].

تمثل طريق الحرير البحرية أهمية اقتصادية استثمارية كبيرة للسعودية، فمرورها من البحر الأحمر يشكل أهمية لموانئها الغربية. وبالفعل، تم توقيع اتفاقية تعاون في مجال النقل البحري في عام 2019[41]، وأشار وزير النقل السعودي، نبيل العامودي، إلى أن

29 ليانجشيانج وجاناردان، ص 1.

30 Nik Martin, "China's Economic Ambitions a Huge Draw for Saudi Arabia, *DW*, 13/6/2023, accessed on 18/6/2023, at: https://bit.ly/46iwfk3

31 "China, Saudi Arabia Cement Ties with Deals Including Huawei," *Al-Jazeera*, 8/12/2022, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/3RRuB4B

32 "China's Impact on Conflict Dynamics in the Red Sea Arena," pp. 20-21.

33 "وكيل وزير الاستثمار السعودي: الحزام والطريق ستساعد 'رؤية المملكة 2030'"، **شبكة الصين**، 2023/6/13، شوهد في 2023/6/30، في: https://tinyurl.com/43r8pbcw

34 Chien-Kai Chen, "China in the Middle East: An Analysis from a Theoretical Perspective of 'Path Dependence'," *East Asia*, no. 38 (2021), p. 106.

35 "China, Saudi Arabia Cement Ties with Deals Including Huawei."

36 "China, Saudi Arabia Strengthen Partnership on Energy, Defence," *Al-Jazeera*, 9/12/2022, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/3F5EVhw

37 دونمي تشين، "مبادرة الحزام والطريق الصينية والرؤية السعودية 2030: مراجعة الشراكة تحقيقًا للاستدامة"، مركز الملك عبد الله للدراسات والبحوث البترولية، 2021، ص 4.

38 رحمت، ص 14.

39 "UAE, China Sign Pact for Bilateral Currency Swap," *Gulf News*, 4/12/2015, accessed on 31/3/2023, at: https://tinyurl.com/42z6xr7y

40 "China, Saudi Arabia Strengthen Partnership on Energy, Defence."

41 عزة جمال زهران، "الدور المحوري للسعودية مع الصين في إحياء طريق الحرير في ضوء رؤية 2030"، **المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية**، مج 4، العدد 8 (تموز/ يوليو 2019)، ص 195-196.

الاتفاقية تهدف إلى تعزيز صناعة النقل البحري، وتسهيل حركة مرور السفن التجارية وتطويرها[42]. وشاركت الصين في البنية التحتية لمصفاة ميناء ينبع بقيمة 10 مليارات دولار[43]. وترغب السعودية في المشاركة في المشاريع الإقليمية المتعلقة بالطريق البحرية، فقد عرضت على باكستان نحو 16 مليار دولار أيضًا على صورة قروض واستثمارات متعلقة بالممر الاقتصادي الصيني – الباكستاني، الذي يتضمن استثمار 10 مليارات دولار في مصفاة لتكرير النفط ومجمع للبتروكيماويات في ميناء جوادار[44].

وفي التكنولوجيا العالية التي تدخل ضمن مجالات التعاون الستة في المبادرة وفي رؤية المملكة 2030 أيضًا، يحظى الهيدروجين باهتمام بالغ من أجل إيجاد نظام للطاقة النظيفة عبر تقنيات محددة. فقد أعلنت السعودية في آب/ أغسطس 2020، عن إطلاق مشروع إنتاج الهيدروجين الأخضر في مدينة نيوم مدعومًا بـ 4 غيغاواط من الطاقة المتجددة. وتعتبر الصين أكبر منتج للهيدروجين في العالم، فقد أنتجت أكثر من 21 مليون طن منه من أصل 70 مليون طن عالميًا في عام 2019؛ ما يمكّن البلدان من العمل معًا لإنتاجه على نطاق واسع[45]. كما تحظى الأقمار الصناعية بأهمية للتعاون مع الصين، فقد أطلقت السعودية قمري "سات 5 أ" و"سات 5 ب" في كانون الأول/ ديسمبر 2018 إلى الفضاء من الصين، بعد تطويرهما محليًا؛ وذلك جزء مما يسمى "طريق الحرير الرقمية"، حيث استُخدم النظام الصيني للملاحة عبر الأقمار الصناعية BeiDou في أنحاء المنطقة، لأنه يحتوي على تطبيقات في الاتصالات السلكية واللاسلكية والأمن البحري[46].

ب. قطر

تتمتع الصين وقطر بعلاقة شاملة ترتكز على مبادرة الحزام والطريق وتجارة موارد الطاقة، وبخاصة تزويد الصين بالغاز الطبيعي. وقد تم الإعلان عن شراكتهما الاستراتيجية في عام 2014، وأقامت الدولتان مشاريع بنية تحتية مشتركة، وأجرتا العديد من التبادلات العسكرية[47]. وبحسب السفير الصيني في قطر، لي تشن، فإن قطر هي من أوائل الدول الداعمة لمبادرة الحزام والطريق في المنطقة، حيث أكدت مشاركتها فيها خلال زيارة أمير قطر، الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، للصين في عام 2014، حينما تمّ توقيع مذكرة تفاهم بين البلدين للتعاون في بناء المبادرة. كما شاركت قطر في البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتيّة في إطار هذه المبادرة بوصفها دولة مؤسسة للبنك. واتفق الشيخ تميم والرئيس شي على التواصل والربط بين مبادرة الحزام والطريق و"رؤية قطر 2030"[48].

ووقعت الدولتان في آذار/ مارس 2019 اتفاقية تزود قطر بموجبها الصين بـ 4 ملايين طن من الغاز المسال سنويًا، لمدة 27 عامًا، وهي الصفقة الأطول من نوعها في تاريخ صفقات الغاز في العالم[49]. وتبين النتيجة الأولية لهذه الاتفاقية، تضاعف حجم التبادل التجاري بين البلدين، إذ زاد بنسبة 45 في المئة في سنة واحدة؛ ففي عام 2022، بلغ نحو 26.2 مليار دولار مقارنة بنحو 18 مليارًا في عام 2021[50].

بالنسبة إلى قطر، تمثل تلك الاتفاقية تنويعًا للشراكات بدلًا من الاعتماد الكلي على التقنية الغربية. فمنذ دخولها سوق الغاز الطبيعي المسال في أوائل التسعينيات، اعتمدت على الشركات الغربية، لا سيما إكسون موبيل ورويال داتش شل وتوتال. وقد أشار سفير الصين في قطر، تشو جيان في عام 2019، إلى هدف بكين المتمثل في دمج مبادرة الحزام والطريق مع رؤية قطر 2030، وأن قطر كانت من أوائل الدول التي انضمت إلى المبادرة. أما في الصين، فإن صفقة الغاز الجديدة لها أهمية استراتيجية نظرًا إلى تصميمها على تحييد أنواع الطاقة الملوثة بحلول عام 2060. ومع ذلك، يبقى الغاز الطبيعي المسال أحد أهداف بكين الرئيسة[51].

ج. الإمارات العربية المتحدة

تعد الإمارات ثاني دولة في الخليج العربي ترفع الصين علاقاتها معها إلى مستوى "الشراكة الاستراتيجية الشاملة"، وذلك في عام 2018[52]، وهي الثانية أيضًا من حيث حجم التبادل التجاري،

42 "رؤية المملكة 2030 تتلاقى مع مبادرة الحزام والطريق الصينية"، **الشرق الأوسط**، 2019/2/23، شوهد في 2023/3/31، في: https://bit.ly/3FnYOAR

43 *Webster & Pelayo.*

44 زهران، ص 196.

45 دومي، ص 21-22.

46 زهران، ص 202.

47 "China's Impact on Conflict Dynamics in the Red Sea Arena," pp. 20-21.

48 "نتائج مثمرة للتعاون القطري الصيني في مبادرة الحزام والطريق"، 2019/4/26، شوهد في 2023/3/31، **الراية**، في: https://tinyurl.com/3jxwvza5

49 ياسر شطناوي، "بعد اتفاقية الغاز مع قطر .. كيف تعزز الصين مكانتها في المنطقة؟" **تي آر تي عربية**، 2023/7/6، شوهد في 2023/7/13، في: https://tinyurl.com/4zujrybe

50 "غرفة قطر: التبادل التجاري بين دولة قطر والصين ارتفع بنسبة 45 بالمئة خلال 2022"، **الراية**، 2023/6/12، شوهد في 2023/3/31، في: https://tinyurl.com/muj8yb6y

51 سيرغي سوخانكين، "صفقة الغاز الطبيعي المسال الصينية القطرية: مرحلة جديدة للعلاقات بين الدوحة وبكين؟"، منتدى الخليج الدولي، شوهد في 2023/3/31، في: https://tinyurl.com/26tx2bsk

52 Chen, p. 106.

الذي بلغ في عام 2022 نحو 99.27 مليار دولار[53]. فقد التزمت الإمـارات بتحقيق رؤية الحزام والطريق، بحسب وزير الدولة الإماراتي، سلطان أحمد الجابر[54]؛ لأن المبادرة تتيح فرصًا للاستثمار في منشآت البنية التحتية في الخارج. ففي نيسان/ أبريل 2015 انضمت الإمارات إلى البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية. وتطمح شركة موانئ دبي العالمية، التي تدير موانئ بحرية في الخارج (منها 6 في جنوب آسيا، و4 في الصين، وأخرى في تايلاند وفيتنام وكوريا الجنوبية وإندونيسيا)، أن تكون مساهمًا في مشاريع النقل التي تتطلبها المبادرة. وتشارك الشركة في تطوير مشروع محطة البوابة الشرقية الذي يربط بين الصين وأوروبا[55]. وفي عام 2019، وقعت الصين صفقة بقيمة 10 مليارات دولار لتطوير مدينة صناعية جديدة في منطقة خليفة الصناعية في أبوظبي[56]. واتفق البلدان في عام 2023 على أن يتماشى برنامج اتفاقية الشراكة الاستراتيجية الشاملة مع الأهداف الاقتصادية لرؤية "نحن الإمارات 2031" أيضًا[57].

د. الكويت

ترى الكويت أن مبادرة الحزام والطريق تتيح لها إمكانية تحقيق أهداف "رؤية 2035 للتنمية". فقد أعلنت عن مشروع ضخم ضمن هذه الرؤية، في آذار/ مارس 2023، حيث أشار نائب رئيس الوزراء الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح، إلى أن مشروع "منطقة الشمال الاقتصادية" سوف يستوعب استثمارات تقدر بنحو 600 مليار دولار، وأن ثمة توجهًا لإقامة مشروع مدينة الحرير ومشاريع أخرى. وتخطط الكويت والصين لإنشاء صندوق استثماري بقيمة 10 مليارات دولار للاستثمار في البلدين، باسم "صندوق طريق الحرير الصيني الكويتي". وهناك دراسة لدمج خمس جزر كويتية مع مدينة الحرير بالتعاون مع الصين لجعلها منطقة دولية. ووصف الشيخ ناصر المشروع بأنه "هونغ كونغ جديدة"[58].

تعد الكويت أول دولة في الشرق الأوسط توقّع وثائق التعاون في إطار مبادرة الحزام والطريق مع الصين، وذلك في عام 2014. وتم ترقية العلاقات إلى مستوى "الشراكة الاستراتيجية" في عام 2018[59]. وفي أيلول/ سبتمبر 2023، وقع البلدان 7 اتفاقيات مشتركة لتعزيز الشراكة، وتشمل مجالات الخطة الخمسية للتعاون الثنائي للفترة 2024-2028، والمنظومة الخضراء المنخفضة الكربون لإعادة تدوير النفايات، والبنية التحتية البيئية لمحطات معالجة المياه، والطاقة المتجددة، إلى جانب مشروع ميناء مبارك الكبير، والمناطق الحرة والاقتصادية، وتطوير الإسكان[60]. وقد تزيد هذه الاتفاقيات حجم التبادل التجاري بين البلدين على نحو لافت خلال الفترة المقبلة؛ أي أكثر مما حُقق في عام 2022؛ إذ بلغ نحو 31.5 مليار دولار[61].

هـ. عُمان

تتحول سواحل سلطنة عمان تدريجيًا إلى محطة مهمة على طريق الحرير البحرية، منذ عام 2016، حيث تضخ الصين مليارات الدولارات لتحويل منطقة الدقم، وهي قرية لصيد الأسماك على بعد 550 كيلومترًا جنوب مسقط، إلى مركز صناعي وميناء رئيس. وقد استثمرت بكين نحو 10.7 مليارات دولار في بناء ميناء الدقم والمنطقة الصناعية[62]. ويندرج المشروع ضمن استراتيجية عُمان للتنويع الاقتصادي، لكنه يعد أيضًا بمنزلة نجاح محتمل لجهود الصين في تعزيز مبادرة الحزام والطريق. فميناء الدقم يقع على بحر العرب. لذا، فهو أحد مراكز العمل المحتملة لمؤسسات الأعمال الصينية بجوار أسواق التصدير التي ترغب الصين في النفاذ إليها في منطقة الخليج وشبه القارة الهندية وشرق أفريقيا. وقد استثمرت الشركات الصينية ما يزيد على 3 مليارات دولار في الدقم، ومن المتوقع أن يصل إلى 11 مليارًا، بحسب شركة "عُمان وان فانج" Oman WanFang. وتبدي عُمان أيضًا اهتمامًا بالاستثمار في المنطقة الاقتصادية الخاصة في مدينة وميناء جوادار[63]، من أجل تعزيز الربط بين هذا الميناء الرئيس في طريق الصين البحرية وموانئ عُمان.

53 "China Exports to United Arab Emirates," Trading Economics, accessed on 31/3/2023, at: https://tinyurl.com/2cw8vkz8; "China Imports from United Arab Emirates," Trading Economics, accessed on 31/3/2023, at: https://tinyurl.com/59jppjcd

54 رحمت، ص 10.

55 ليانجشيانج وجاناردان، ص 4.

56 *Webster & Pelayo.*

57 The UAE Ministry of Economy, "UAE and China Explore Strengthening of Cooperation in Trade, Investment, Energy, Manufacturing, Technology, Health & Transportation," 15/8/2023, accessed on 15/8/2023, at: https://tinyurl.com/2s3ccnnc

58 أحمد الزعبي، "الكويت: 600 مليار دولار استثمارات مرتقبة للمنطقة الشمالية لتنفيذ مشروع الحرير"، **العربي الجديد**، 2019/3/27، شوهد في 2023/3/31، في: https://tinyurl.com/2awf8wk6

59 تشانغ جيانوي، "حقبة جديدة من الشراكة الاستراتيجية الصينية - الكويتية"، **الجريدة**، 2023/6/21، شوهد في 2023/6/22، في: https://www.aljarida.com/article/38582

60 "قمة تعزيز الشراكة – الكويتية – الصينية"، **الجريدة**، 2023/6/24، شوهد في 2023/6/25، في: https://www.aljarida.com/article/38724

61 Faten Omar, "China-Kuwait trade ties flourish," *Kuwait Times*, 8/3/2023, accessed on 31/3/2023, at: https://bit.ly/3rGMsR0

62 *Joseph Webster & Joze Pelayo,* "China is Getting Comfortable with the Gulf Cooperation Council. The West Must Pragmatically Adapt to its Growing Regional Influence," *Atlantic Council,* 13/4/2023, accessed on 31/3/2023, at: https://tinyurl.com/mr2yu3yt

63 ليانجشيانج وجاناردان، ص 4.

الجدول (1)
مستويات الشراكة الخليجية - الصينية والمواءمة مع مبادرة الحزام والطريق

	الدولة	المستوى	التاريخ	التجارة (2022/ مليار دولار)	مواءمة الحزام والطريق مع الرؤى الوطنية	أبرز مشاريع الاندماج في الحزام والطريق
1	السعودية	شراكة استراتيجية شاملة	2016	106	رؤية المملكة 2030	النفط مصفاة ينبع وميناؤها التكنولوجيا العالية مدينة نيوم
2	قطر	شراكة استراتيجية	2014	26.2	رؤية قطر 2030	الغاز المسال
3	الإمارات	شراكة استراتيجية شاملة	2018	99.27	رؤية نحن الإمارات 2031	موانئ دبي العالمية مدينة خليفة الصناعية وميناؤها
4	الكويت	شراكة استراتيجية	2018	31.5	رؤية الكويت 2035	مدينة الحرير منطقة الشمال الاقتصادية ميناء مبارك الكبير
5	عمان	شراكة استراتيجية محتملة	مُحتمل 2024	40.5	رؤية عمان 2040	ميناء الدقم المنطقة الصناعية
	المجموع			**304.67**		

المصدر: من إعداد الباحث.

تعمل الصين وعمان على تعزيز المواءمة بين مبادرة الحزام والطريق و"رؤيـة 2040" للسلطنة، فقد شهد التعاون تطورات في البنية الأساسية والطاقة وتقنية الاتصالات والطاقة الكهربائية والأسماك. وبلغ حجم التبادل التجاري في عام 2022 نحو 40.5 مليار دولار[64]. وقادت هذه التطورات إلى تعزيز مكانة عُمان ضمن المبادرة، حيث دعا الطرفان في 28 نيسان/ أبريل 2022 إلى ترقية العلاقات الثنائية إلى "شراكة استراتيجية"، وحتى إلى تعزيز التعاون العسكري[65] بوصفه أحد مجالات هذا النوع من الشراكة.

64 "عمان والصين.. علاقات متجذرة وشراكة استراتيجية"، **عُمان**، 2023/6/6، شوهد في 2023/6/6، في: https://tinyurl.com/4dr6hvrx

65 حيدر اللواتي، "عمان والصين شراكة استراتيجية" **لوسيل**، 2018/6/7، شوهد في 2023/6/6، في: https://tinyurl.com/5n6vkucr؛ ينظر أيضًا:
The People's Republic of China, the State Council, "China, Oman Vow to Promote Strategic Partnership, Military Cooperation," 29/4/2022, accessed on 6/6/2023, at: https://tinyurl.com/4x5wbnuw

رابعًا: ردود الغرب على مبادرة الحزام والطريق: مدى الانطباق على الخليج

مع نجاح الصين في بناء استراتيجية عالمية جاذبة لمشاركة الدول حول العالم في مشاريعها وبناها التحتية عبر مبادرة الحزام والطريق، وتحولها إلى ثاني اقتصاد عالمي، واعتبارها منافسًا وتحديًا خطيرًا من قبل الولايات المتحدة وغيرها[66]، ولأن الصين اتبعت حتى الآن وسائل سلمية، اقتصادية في الأساس، في توسيع مصالحها العالمية، فقد حاول الغرب عرقلة هذا النجاح وتوسّعه، بوسائل غير عنيفة حتى الآن؛ أي من خلال الدعاية، والتحالفات، والمشاريع البديلة. ولأن دول الخليج العربية تعد حليفًا للولايات المتحدة ودول غربية أخرى، فقد شملتها بعض محاولات الغرب تلك.

الجدول (2)

ردود الغرب على مبادرة الحزام والطريق: مدى الانطباق على دول الخليج العربية

	ردود الغرب	الهدف/ الوسيلة	الانطباق على دول الخليج
1	**فخ القروض:** إفزاع الدول التي تحاول إيجاد بديل من الغرب	الدول النامية	لا
2	**الانسحاب:** دعوة الدول لترك المبادرة	نموذج إيطاليا	لا
3	**تحالفات:** احتواء الصين في المحيطين الهندي والهادي	شراكة AUKUS تحالف QUAD	لا
4	**تصعيد:** حرب أو توتر عسكري، عقوبات تعرقل التعاملات التجارية	تايوان، بحر الصين الجنوبي، العالم	محتمل
5	**البوابة العالمية:** استراتيجية الاتحاد الأوروبي البديلة	أوراسيا	محتمل
6	**الممر الاقتصادي:** بديل جيوسياسي من المبادرة	الهند – الخليج – أوروبا	نعم

المصدر: من إعداد الباحث.

1. مسألة فخ القروض

تُوجَّه إلى الصين انتقادات غربية بسبب سياسة إقراض الدول الفقيرة والنامية، لا سيما الدول التي تشارك في مشاريع مبادرة الحزام والطريق، وتُتهم الصين بترك هذه الدول تصارع من أجل تسديد ديونها؛ ما يجعلها ضعيفة أمام الضغط. وتذهب إحدى الدراسات الصادرة عن هيئة "إيد داتا" Aid Data، في جامعة "وليام أند ماري" الأميركية، إلى أن قروض الصين للدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط زادت خلال عقد واحد ثلاثة أضعاف، لتصل إلى 170 مليار دولار في نهاية عام 2020، وأن هناك نحو 40 دولة تبلغ نسبة دينها من المقرضين الصينيين أكثر من 10 في المئة من حجم الناتج المحلي الإجمالي السنوي؛ إذ تبلغ ديون جيبوتي ولاوس وزامبيا وقيرغيزستان ما يعادل 20 في المئة على الأقل من ناتجها المحلي الإجمالي السنوي. ويفيد ادعاءٌ أن الصين تستخدم ما يسمى "مصائد الديون" للحصول على نفوذ في دول أخرى، أي ينتهي المطاف بهذه الدول إلى أن تتنازل عن سيطرتها على أصول أساسية إذا لم تتمكن من تسديد ديونها. لكن الصين ترفض هذه الاتهامات، وتذهب إلى أنه "لا توجد دولة واحدة وقعت فيما يسمى "مصيدة الدين" نتيجة للاقتراض منها[67].

من المهم التأكيد على أن مسألة "فخ القروض" تنتشر في المصادر الغربية على نحو أساسي. لذا، لا بد من التحقق منها بالاعتماد على مصادر مستقلة. فمن المفترض أن تدرس الدولة التي تستثمر مليارات الدولار في مشاريع عالمية جدوى هذه المشاريع بالاعتماد على أدواتها الخاصة.

وسواء أكانت تلك الادعاءات صحيحة أم لا، فإن مسألة فخ القروض لا تنطبق على دول الخليج العربية، بوصفها ذات فوائض مالية، وتتطلع إلى المشاركة في مشاريع الصين بصفتها جهات استثمارية خارجية أو لتعزيز خططها الوطنية التنموية. وتعتبر الصين هذه الدول مصدرًا للسيولة المالية؛ فبعضها عضو مؤسِّس في البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية. وربما يوازن دور هذه الدول بوصفها دائنة أو مستثمرة، دور الدول المدينة التي تتلقى قروض الصين ضمن مشاريع مبادرة الحزام والطريق. ولا يمنع ذلك من دراسة تجارب الدول الأخرى مع مبادرة الصين قبل الانخراط في مزيد من الاستثمارات.

2. تشجيع انسحاب الدول من مبادرة الحزام والطريق

مع أن الدول الأوروبية تشارك في مشاريع مبادرة الحزام والطريق بطريقة أو أخرى، مثل ألمانيا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا، فإنها لا

66 على سبيل المثال، اعتبرت كل من استراتيجية الأمن القومي الأميركي لعام 2022 واستراتيجية بريطانيا العالمية الصين تحديًا خطيرًا، ينظر:
The White House, "National Security Strategy," (October 2022), pp. 6-8, accessed on 23/4/2023, at: https://bit.ly/41zCfTc; HM Government, "Integrated Review Refresh 2023 Responding to a More Contested and Volatile World," Presented to Parliament by the Prime Minister by Command of His Majesty (March 2023), accessed on 8/4/2023, at: https://bit.ly/3Ndcdkl

67 سوسن مهنا، "دول الخليج مركز استراتيجي لـ 'طريق الحرير' الصيني"، **إندبندنت عربية**، 2022/12/9، شوهد في 2023/6/6، في: https://rb.gy/6rchs

تنفك تدعو بعض الدول إلى الانسحاب منها. وتمثل إيطاليا نموذجًا، بسبب أهميتها الكبيرة بالنسبة إلى أوروبا، وكونها العضو الوحيد في مجموعة الدول السبع الصناعية التي تعد رسميًا من أعضاء مبادرة الحزام والطريق.

يثير الاستثمار الصيني في الموانئ الأوروبية هواجس إذا وصل إلى حجم حرج. وبحسب أحد الباحثين، يتم الوصول إلى هذه النقطة عندما يؤدي "حجم مشروع واحد في بلد واحد إلى نفوذ سياسي مفرط"[68]. وقد يُعد استثمار الصين في إيطاليا ضمن هذا التصنيف بسبب طبيعة المشاريع الواسعة التي تتضمنها الشراكة منذ عام 2019. لذلك، تتعرض إيطاليا لضغوط من حلفائها الغربيين لإعادة صياغة علاقتها مع بكين، وبخاصة أنها ستتولى الرئاسة الدورية لمجموعة الدول السبع الصناعية في عام 2024. وقد أشارت رئيسة الوزراء جيورجيا ميلوني، في أيلول/ سبتمبر 2023، إلى أنها لا تزال تدرس ما إذا كانت ستنسحب من المبادرة أو يجري تمديد العضوية خمس سنوات أخرى ابتداءً من آذار/ مارس 2024[69].

في الواقع، أصبحت الحكومة الإيطالية تشكك إن كانت عضويتها في المبادرة قد أفادت الاقتصاد بما فيه الكفاية، إذ كانت إيطاليا تتطلع إلى جذب الاستثمار وتوسيع وصول الصادرات الإيطالية إلى السوق الصينية الضخمة. لكن الترتيبات مع الصين فشلت في إحداث تغيير جذري في مسار العلاقات الاقتصادية بينهما. فمنذ انضمام إيطاليا إلى المبادرة، زادت صادراتها إلى الصين من 14.5 إلى 18.5 مليار يورو، في حين نمت الصادرات الصينية إلى إيطاليا بشكل كبير من 33.5 إلى 50.9 مليار يورو. وانخفض الاستثمار الأجنبي المباشر الصيني في إيطاليا من 650 مليون دولار في عام 2019 إلى 33 مليون دولار فقط في عام 2021. ومن جهة أخرى، دفع موقف الصين من حرب أوكرانيا العديد من الدول الأوروبية، ومنها إيطاليا، إلى إعادة النظر بشأن العلاقة مع الصين. وتعد ميلوني من أشد المؤيدين لأوكرانيا[70].

بالنسبة إلى دول الخليج، لا يُتوقع أن تجد أي دعوة من الغرب للانسحاب من مشاريع الصين ومبادرتها استجابة. فكما سبق، تعد دول الخليج مموِّلة ذاتيًا لمشاريعها، ومُساهِمة في استثمارات الصين؛ ومن ثمّ فإن تعرّضها لمخاطر اقتصادية تؤدي إلى سيطرة، على شاكلة ما يسمى "نموذج إيطاليا"، يبدو بعيد الاحتمال. فدول الخليج هي التي تطلب من الصين المشاركة، بسبب رغبتها في تنويع الشركاء، والاستفادة من التقنية التي توفرها، وللربط مع شبكتها العالمية المتنامية، حتى لا تكون بمنأى عنها.

3. تحالفات بديلة حول الصين

ثمة مشاريع وتحالفات جيوسياسية تعمل الولايات المتحدة على بنائها من أجل احتواء المخاطر المتصورة من الصين، ضمن مفهوم "المحيطين الهندي والهادي" السائد حاليًا[71] ، والذي ركزت عليه استراتيجيتا الولايات المتحدة للأمن القومي في عامي 2017 و2022 ضمن ما سمته "استراتيجية المحيطين الهندي والهادي" Indo-Pacific Strategy. وتندرج تحتها تحالفات أساسية، مثل شراكة "أوكوس" AUKUS، التي تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا، وتحالف الحوار الأمني الرباعي QUAD، الذي يضم اليابان، وأستراليا، والهند، والولايات المتحدة، ويُشبّه أحيانًا بأنه "حلف ناتو مصغر"[72]. من الناحية الجغرافية، يشير المفهوم إلى منطقة بحرية كبيرة من المياه الدافئة تربط بين المحيطين، وتؤكد دلالاته الجيوسياسية على الارتباط الأمني بينهما، والتعامل معهما كمسرح واحد للعمليات[73].

تبدو هذه التحالفات ردًا على مبادرة الحزام والطريق؛ لأن الغرب لا يرى المبادرة مشروعًا اقتصاديًا سلميًا، وإنما هي تمهيد للهيمنة الجيوسياسية مستقبلًا في المناطق التي تصل إليها، وتستهدف بناء الطرق والمصالح حول القارات لتبرر الصين حمايتها ومن ثمّ حضورها الدولي.

لكن هذه التحالفات تحديدًا لا تنطبق جغرافيًا على دول الخليج كي يتم إشراكها فيها، فهي مخصصة للمنطقة البحرية الواقعة تقريبًا بين الهند وأستراليا وأميركا؛ أي المنطقة الواسعة المحيطة بالصين. كما يصعب أن تنطبق سياسيًا أو اقتصاديًا على دول

68 Mathieu Duchâtel & Alexandre Sheldon Duplaix, "Blue China: Navigating the Maritime Silk Road to Europe," European Council on Foreign Relations, *Policy Brief* (April 2018), pp. 38-39.

69 Ibid.

70 David Sacks, "Why is Italy Withdrawing from China's Belt and Road Initiative," Council on Foreign Affairs, 3/8/2023, accessed on 3/8/2023, at: https://tinyurl.com/55577d6v

71 Wei Liang, "China: Globalization and the Emergence of a New Status Quo Power?" *Asian Perspective*, vol. 31, no. 4 (2007), p. 137.

72 The White House, "National Security Strategy of the United States of America," (December 2017), accessed on 23/4/2023, at: https://cutt.ly/Yw9VYO9b; The White House, "National Security Strategy," (October 2022), accessed on 23/4/2023, at: https://bit.ly/41zCfTc

73 Weixing Hu & Weizhan Meng. "The US Indo-Pacific Strategy and China's Response," *China Review,* vol. 20, no. 3 (August 2020), p. 162.

الخليج، لأن هذه الدول لها مصالح واسعة مع الصين، وهي راغبة في زيادة الشراكة معها، وفي الأغلب ستتجنب الانخراط في استقطاب دولي مضاد للصين، وبخاصة أنه لم يصدر عن الأخيرة أي إشارة معادية لهذه الدول، سواء في إرثها أو خطابها أو على أرض الواقع، ولم تعبّر دول الخليج عن تخوفها من تهديد محتمل من الصين. ويختلف الوضع اليوم عما كان عليه في استقطاب الحرب الباردة؛ فالصين لا تعد مثل الاتحاد السوفياتي السابق، الذي كان يمثل تهديدًا أيديولوجيًا وسياسيًا لمجتمعات الخليج وأنظمتها السياسية.

4. تصعيد غربي محتمل ضد الصين

تبدو مسألة التصعيد متوقعة في سياسة الغرب لاحتواء الصين وموازنة قوتها في شرق آسيا، كلما تعزز تقدم الصين في العالم عبر مبادرة الحزام والطريق. فقد اتخذت الولايات المتحدة خطوات تصعيدية عديدة منذ عام 2018، وحتى الآن؛ ما أثار انتقادات الصين وأدى إلى تصاعد الخلافات وتوتّر العلاقات[74]. فعلى سبيل المثال، تعد تايوان من أكثر القضايا التي تُستخدم ذريعة ضد الصين؛ للضغط عليها أو من أجل زيادة التدابير العسكرية لدول التحالف في بحر الصين الجنوبي. وبالنسبة إلى الصين، تختلف حالة تايوان عن أي قضية أخرى؛ فهي تعد مسألة "كرامة وطنية" لأنها تعتبرها جزءًا من أراضيها، وتعتبر تحركات الدول الأجنبية تدخلًا في شؤونها الداخلية[75]. وفي الوقت نفسه، تدرك أن هذه القضية تستخدم ذريعةً لاحتوائها أو احتمال فرض عقوبات عليها، فتظل حذرةً في ردود أفعالها على أرض الواقع، وتضع في اعتبارها تجنّب عواقب سيناريو روسيا في أوكرانيا، وضرورة ألا يُشتت ذلك التصعيد انتباهها عن مبادرتها الخاصة للصعود الدولي.

من المحتمل أن تتعرض دول الخليج العربية لآثار أي تصعيد خطير بين الغرب والصين، لأن التوترات العسكرية أو الحروب قد تؤثر في إنتاجية الصين وتدفق سلعها في العالم، ومن ثمّ في تقليص حاجاتها من الطاقة، وفي المشاريع التي تم إدماجها في مبادرة الحزام والطريق. كما يُحتمل أن تؤدي أي عقوبات غربية محتملة إلى عرقلة التعاملات التجارية مع الصين؛ فربما يهدد الغرب بفرض عقوبات أيضًا على الشركات التي تتعامل مع الصين.

5. استراتيجية البوابة العالمية

عمل الاتحاد الأوروبي على وضع خطة لإحداث توازن مع الصين وبخاصة في المنطقة الأوراسية. فقد أطلق مبادرة "استراتيجية الاتصال بين الاتحاد الأوروبي وآسيا" EU-Asia Connectivity Strategy، في عام 2018، تضم شبكات برية وسككًا حديدية وبحرية وجوية وشبكات رقمية، وتهدف إلى توفير الوصول إلى اقتصادات منطقة أوراسيا، وربط أوروبا وآسيا. كما أعلن الاتحاد في كانون الأول/ ديسمبر 2021 عن إطلاق مشروع كبير ضمن هذه الخطة، وهو "استراتيجية البوابة العالمية" Global Gate Strategy بقيمة 300 مليار يورو؛ للاستثمار في "البنية التحتية العالمية"، ووضع "خريطة طريق للاستثمار في العالم النامي"، بهدف الاستجابة للتحديات التي تفرضها مسيرة الصين في اتجاه غرب أوراسيا، بالتركيز على القيم الأوروبية[76]. لكنْ ثمة قيود قد تُضعف تنافسية هذه الخطة؛ فنحو نصف أعضاء الاتحاد الأوروبي وقّعوا مذكرات تفاهم بشأن مبادرة الحزام والطريق[77]، كما أن حجم التجارة المتزايد بين الصين والاتحاد الأوروبي، البالغ نحو 856 مليار يورو في عام 2022[78]، قد يُضعف موقف الأوروبيين.

بالنسبة إلى دول الخليج العربية، من المحتمل أن تكون لهذه الاستراتيجية انعكاسات عليها، كتقليص بعض الاستثمارات المستقبلية في مبادرة الحزام والطريق. فالاتحاد الأوروبي قد يوفر فرصًا أيضًا لتشغيل الاستثمارات الخليجية في مشاريع تبدو جاذبة مثل مشروع البوابة العالمية. ومع ذلك، قد تميل هذه الدول إلى التحقق من جدوى الاستثمارات بالدرجة الأولى. فكما ذكرنا سابقًا، لا تهتم هذه الدول بمعاداة الصين، ولا ترغب في خسارة مصالحها المتزايدة معها، ولا الانقطاع عن شبكتها العالمية المتنامية، وبخاصة إذا كان الهدف الأساسي للبوابة العالمية هو التنافس الجيوسياسي مع الصين.

6. الممر الاقتصادي

يبدو الرد الأبرز الذي أعدَّه الغرب ليتحدى مبادرة الحزام والطريق، ويجعل من دول الخليج العربية ركنًا أساسيًا فيه، هو مشروع "الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا" India-Middle East-Europe Economic Corridor, IMEC.

74 Weixing Hu, "The United States, China, and the Indo-Pacific Strategy," *China Review*, vol. 20, no. 3 (August 2020), p. 137; Hu & Meng, p. 156.

75 Paul Dibb, "How China and Russia View the West," in: *How the Geopolitical Partnership between China and Russia Threatens the West* (Canberra: Australian Strategic Policy Institute, 2019), p. 17.

76 Ehteshami, pp. 32-33.

77 Ibid.

78 Arendse Huld, "EU-China Relations – Trade, Investment, and Recent Developments," *China Briefing*, 4/4/2023, accessed on 6/6/2023, at: https://tinyurl.com/mw4ex2tj

أُعلن عن مشروع الممر الاقتصادي في قمة العشرين في نيودلهي في أيلول/ سبتمبر 2023، ووقعته الولايات المتحدة والسعودية والإمارات والاتحاد الأوروبي وفرنسا وألمانيا وإيطاليا. ويتألف من ممرين منفصلين: الممر الشرقي (الهند – الخليج العربي) والممر الشمالي (الخليج العربي – أوروبـا)، ويمر الأخير عبر السعودية والأردن وإسرائيل والبحر الأبيض المتوسط. ويُعوّل على المشروع أن يتيح العديد من الفرص للدول المشاركة، عبر خلق طريق تجارية تعزز سلاسل التوريد، وتشمل مشروعات للسكك الحديدية وربط الموانئ البحرية، إلى جانب خطوط لنقل الكهرباء، والهيدروجين، وكابلات نقل البيانات أو الاقتصاد الرقمي. ووصف الرئيس الأميركي جو بايدن الممر بأنه "اتفاق تاريخي" وأنه "سوف يغير قواعد اللعبة"[79]. واعتبرت رئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لاين، أن "خط السكك الحديدية سيجعل التجارة بين الهند وأوروبا أسرع بنسبة 40 في المئة". وبالنسبة إلى الهند، فإنها تطمح إلى التحول إلى قوة صناعية كبرى، والحصول على حصة من الإنتاج العالمي من السلع. بينما أكدت إسرائيل أن المشروع سيؤدي إلى "تغيير وجه الشرق الأوسط"، وأن "إسرائيل ستساهم بكل قدراتها، بكل خبرتها، والتزامها الكامل لجعل مشروع التعاون هذا الأكبر في تاريخنا"[80].

من الواضح استنادًا إلى امتداد الممر الاقتصادي، والدول المشاركة فيه، وطبيعة المشاريع المتضمنة، أنّه يشبه تقريبًا مبادرة الحزام والطريق، وأنه أُنشئ أساسًا ليكون منافسًا لها. **فأولًا**، يمتد بحريًا وبريًا من القارة الآسيوية ويستهدف أوروبا. **ثانيًا**، اعتُبرت الهند أنها قاعدة الانطلاق، وهي المنافس الأساسي للصين جيوسياسيًا في المحيط الهندي وفي الخليج العربي. **ثالثًا**، يسعى الممر إلى بناء شبكة عالمية جديدة ليقدم بديلًا من الدول التي يمر منها من شبكة الصين الناشئة. **رابعًا**، يستهدف الممر دول الخليج العربية تحديدًا من أجل إبعادها عن الانخراط أكثر في مشاريع الصين أو منع تدخل الصين على نحو أكثر في شؤون المنطقة مع تزايد مصالحها في المنطقة، كما حدث في اتفاق المصالحة الذي رعته بين إيران والسعودية في آذار/ مارس 2023. **خامسًا**، يستعيد المشروع خطط إدماج دول الشرق الأوسط في مشاريع اقتصادية من أجل إنهاء الصراع مع إسرائيل وتطبيع العلاقات معها، وهي الخطط التي رافقت اتفاقيات السلام في تسعينيات القرن العشرين.

الخريطة (3)
الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا

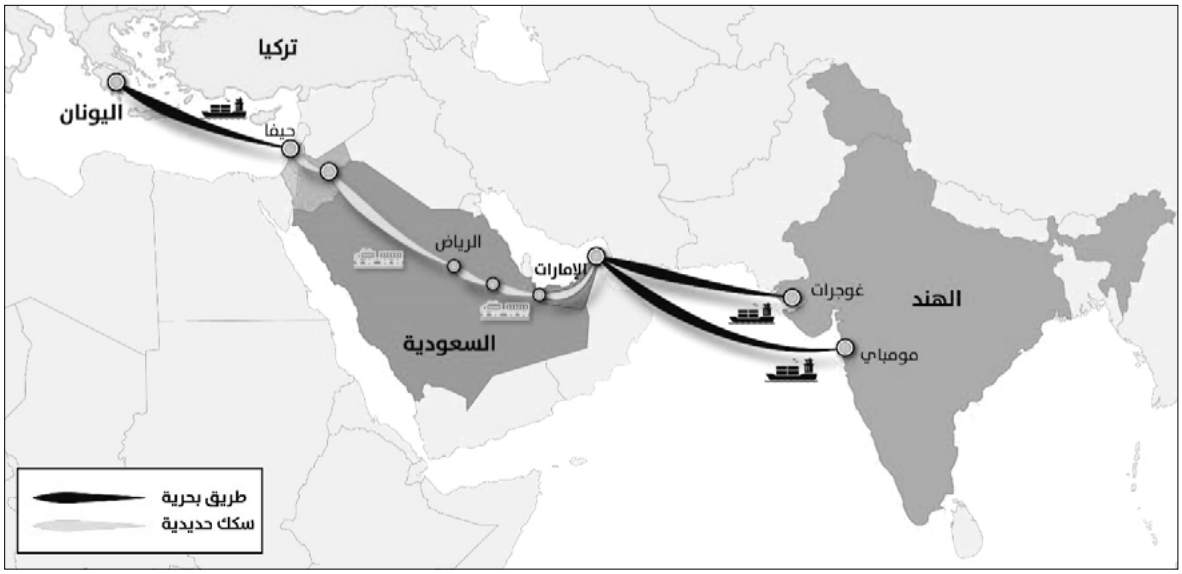

المصدر: من إعداد الباحث، بمساعدة سهيل جلاوي.

79 "المدر الاقتصادي.. كيف سيغير شكل التجارة العالمية؟" **سكاي نيوز عربية**، 2023/6/11، شوهد في 2023/6/11، في: https://bit.ly/3t4VM1a

80 ليلى نقولا، "بايدن في قمة العشرين: جذب السعودية لمواجهة الصين؟"، **الميادين**، 2023/6/10، شوهد في 2023/6/11، في: https://bit.ly/3sYMy6N؛ "ممر بايدن وحزام الصين.. تفاعلات واسعة ونتنياهو يحتفل"، **الجزيرة نت**، 2023/6/10، شوهد في 2023/6/11، في: https://bit.ly/3rayerr

في الواقع، تعد دول الخليج العربية معرّضة جدًا لهذا المشروع بسبب مساره الجغرافي، وطبيعة مشاريعه المنافسة، وتوقيع بعض هذه الدول على المشاركة فيه، مثل السعودية والإمارات، ورعاية دول كبرى للمشروع بوصفه منافسًا جيوسياسيًا لاستراتيجية الصين ووصولها إلى أوروبا. ومن ثمّ، فهو مشروع منافس لمبادرة الحزام والطريق في هذه المنطقة.

لكن يتعين الأخذ في الاعتبار أن ثمة فروقًا جوهرية بين مبادرة الحزام والطريق والممر الاقتصادي، وتؤثر هذه الفروق في مدى انخراط الدول فيهما، جديًا وعمليًا، على المدى البعيد، وهي:

أ. مبادرة الحزام والطريق:

1. تقوم المبادرة على أساس رؤية استراتيجية واضحة لسياسة الصين الخارجية.
2. تقوم الصين وحدها بالإشراف على المبادرة وتنفيذها.
3. رصدت الصين للمشروع الأموال، ونجحت في الحصول على استثمارات لتمويله.
4. يسير المشروع وفق خطة زمنية تبدو ناجحة حتى الآن طوال عقد كامل (2013-2023). ونجحت الصين في معظم الاتفاقات الموقعة مع الدول المشاركة فيه، حتى مع أوروبا.
5. لا توجد إشكالية جوهرية في العلاقات السياسية مع الدول التي يمر منها المشروع.

ب. الممر الاقتصادي:

1. لا يعبّر المشروع عن رؤية دولة محددة.
2. يدخل في المشروع شركاء عديدون، كلٌ له مصالحه، وربما كانت متباينة.
3. لا توجد دولة ممولة رئيسة للمشروع، وإنما سيعتمد على توفير استثمارات متنوعة من دول ومؤسسات عديدة.
4. المدى الزمني لتنفيذ المشروع على أرض الواقع ليس واضحًا حتى الآن.
5. تعد أكبر إشكالية في الممر وجود إسرائيل ومركزيتها فيه؛ فثمة نفور شعبي من مشاركتها، وثمة مخاطر قد توقف تنفيذ المشروع في أي وقت بسبب المحاولات المستمرة في المنطقة لرفض التطبيع، واحتمال نشوب حرب أو عمليات قتالية أو توتر مع إسرائيل بين وقت وآخر، مثل الحرب على غزة ولبنان.
6. ثمة شكوك في الجدوى الاقتصادية؛ لأن الممر تأسّس لمنافسة جيوسياسية في الأساس وليس بصفته مشروعًا اقتصاديًا صرفًا ولأن نقطة الانطلاق هي الهند، التي تعد أضعف مرات عديدة من الصين جيوسياسيًا وماليًا وإنتاجيًا.
7. يضعف تنافسية الممر بصفته بديلًا أن بعض دوله شريكة أيضًا بمبادرة الحزام والطريق.

من أجل ذلك كله، يبدو الممر الاقتصادي مشروعًا منافسًا لمبادرة الحزام والطريق، ولكن مع تزايد انخراط دول الخليج العربية في مشاريع المبادرة، وتضاعف حجم التبادل التجاري، والاعتماد المتبادل مع الصين، فإن هذه التنافسية تبدو نسبية وليست بديلًا من تعزيز الشراكة مع الصين؛ فهذه الدول لن تقبل غالبًا بالإضرار بمصالحها ومشاريعها داخل المبادرة.

استنتاجات ختامية

لا شك في أن الصين تفضل نهجًا سلميًا للعلاقات الدولية يخدم مبادرة الحزام والطريق خارجيًا ويقوم على فكرة "مجتمع المصالح" أو الربح للجميع، ولا تزال تروّج للمبادئ الخمسة للتعايش السلمي، المناهضة للإمبريالية والهيمنة، وبخاصة مبدأ "عدم التدخل"، وتسعى لتعزيز صورتها كشريك موثوق وغير تدخلي في منطقة الشرق الأوسط، تمييزًا لنفسها من "القوى الغربية" المنخرطة في سياسات اللعبة الصفرية في المنطقة[81].

لكن ربط مصالح دول العالم بالصين عبر مشاريع المبادرة يخلُق شعورًا بالتهديد لدى قوى أخرى منافسة، مثل الولايات المتحدة والهند وغيرهما. فهذه القوى ترى أن الصين، في ظل الحزب الشيوعي، تعد دولة توسعية ومفرطة القومية وشمولية وقوية عسكريًا واقتصاديًا. ويرى بعض الباحثين الغربيين أن توسّع بحرية الصين يعد دليلًا على سعيها للهيمنة، ويقارن بين تعاظم حجم قوتها البحرية قياسًا بأقوى دولة في العالم؛ فيتوقع أنه في عام 2030، قد يصبح حجم البحرية الصينية ضعف حجم البحرية الأميركية[82].

إذا تحوّل شعور التهديد هذا إلى ردود أفعال مُعرقلة ومُهددة لمشاريع المبادرة، فقد يتحوّل نهج الصين السلمي والدفاعي إلى هجومي من أجل حماية مصالحها المنتشرة في العالم.

وفي الخليج العربي تحديدًا، ربما تتعرّض مصالح الصين الحيوية في الطاقة والاستثمارات، ودورها الجديد في حل النزاعات، لردود أفعال متنوعة من الولايات المتحدة وحلفائها.

---

81 Chen, pp. 116-117.

82 James E. Fanell, "China's Global Naval Strategy and Expanding Force Structure," *Naval War College Review*, vol. 72, no. 1 (Winter 2019), pp. 11-13.

تشير الاستراتيجية العسكرية للصين إلى "بناء جيش قوي لمواجهة الوضع الجديد، وتنفيذ المبدأ التوجيهي الاستراتيجي العسكري للدفاع النشط [...] وحماية سيادة الصين وأمنها ومصالحها التنموية بحزم"[83].

في الخليج العربي، يرى البعض أن الصين لن تصبح أكثر حزمًا على المستوى السياسي فيما يتصل بشؤون منطقة الخليج على الرغم من علاقاتها الاقتصادية المتنامية لسببين على الأقل: **الأول**، تعمل الصين على تجنّب النشاط السياسي المفرط في المنطقة حتى لا تبدو أنها تعمل على حساب علاقاتها مع الولايات المتحدة أو على حساب المصالح الضخمة للأخيرة في المنطقة[84]. **والثاني**، أن الصين تؤكد منذ فترة طويلة على مبدأ "عدم التدخل" وفكرة "معاداة الإمبريالية"، وتنطوي على الوفاء بهذه الوعود حتى لا يؤثر الإخلال بها في سمعتها الدولية، خاصة بين الدول النامية، لأنه سيضر بدورها على نحو غير مرغوب فيه وبمصالحها في دول الخليج. لذا، فالخيار أمام الصين هو تشجيع التسويات السلمية، أو التدخل دون القوة العسكرية من خلال المنظمات الإقليمية أو الدولية[85].

من جهة أخرى، فإن علاقات الصين الاقتصادية المتنامية مع دول الخليج، وخاصة في قطاع الطاقة، تعني أنها لم تعد قادرة على إبقاء نفسها بعيدة عن المشاكل السياسية المعقدة في المنطقة. ويرى بعض الباحثين أنه على الرغم من تزايد مشاركة الصين في قضايا المنطقة من خلال الوساطة، التي تساعدها أيضًا في تعزيز صورتها وزيادة قوتها الناعمة، فإنها قد تتحرك من خلال أخذ زمام المبادرة والانخراط بشكل مباشر إذا أرادت حماية مصالحها طويلة المدى على نحو فعال[86].

بناءً عليه، تبدو مسألة زيادة التدخل والانخراط في قضايا المنطقة، على الأقل لحل النزاعات التي قد تعرقل مصالح الصين، مرتبطة بالموازنة بين أمرين: **الأول**، الحفاظ على سمعتها الدولية، وبخاصة تجاه دول العالم الثالث؛ أي إنها مستمرة في نهجها القائم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية أو الإقليمية ما بين الدول، وهو ما ميزها من الغرب، وفتح لها المجال للدخول إلى مناطق ودول كثيرة، وهي حريصة على استمرار الظهور بهذه الصورة. **والثاني**، حاجتها إلى ضمان استمرار مصالحها المتزايدة وحمايتها ضد أي محاولة لمنعها من الوصول إليها أو خلق مشاريع تقوض مبادرتها؛ فهي في النهاية تنتظر عائدًا على الاستثمار طويل المدى، ولا يبدو أنها سوف تستسلم إذا حاولت قوى أخرى تقويض جهودها واستثماراتها، والأهم من ذلك مصادر الطاقة الحيوية في الخليج العربي، لضمان استمرار إنتاجيتها العالية.

أخيرًا، من الواضح أن لكل قوة كبرى حساباتها ومصالحها الخاصة إزاء منطقة الخليج العربي، وينطبق ذلك على الصين. فإن اتبعت نهجًا تعاونيًا سلميًا فهذا يعود أساسًا إلى حساب منافعها المترتبة على ذلك، وإن سلكت نهجًا تدخليًا أو سياسيًا أمنيًا نشطًا فهذا يعود إلى حسابها لتكاليف عدم القيام بذلك. بناءً عليه، تكمن المسألة في تحديد أولويات دول الخليج العربية نفسها. بمعنى، دراسة المنافع الخليجية الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية والأمنية، قبل الانخراط في المشاريع والمشاريع البديلة للقوى الكبرى المتنافسة؛ لأن الانعكاسات المستقبلية تقع بالدرجة الأولى على هذه المنطقة.

---

83 The State Council Information Office of the People's Republic of China, "China's Military Strategy," May 2015, at: https://tinyurl.com/mrusv3dr

84 Chen, p. 108.

85 Ibid., pp. 110-111.

86 Ibid., pp. 109-110.

المراجع

العربية

باعبود، عبد الله. "لماذا تبرز الصين كمروج أساسي للاستقرار في مضيق هرمز؟". كارنيغي. 2023/6/6. في: https://t.ly/a6Y8r

تشين، دونمي. "مبادرة الحزام والطريق الصينية والرؤية السعودية 2030: مراجعة الشراكة تحقيقًا للاستدامة". مركز الملك عبد الله للدراسات والبحوث البترولية. 2021.

رحمت، محمد ذو الفقار. "جهود الصين لإسباغ الشرعية على تنفيذ مبادرة الحزام والطريق بالخليج". مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الثقافية. تشرين الثاني/ نوفمبر 2019.

زهران، عزة جمال. "الدور المحوري للسعودية مع الصين في إحياء طريق الحرير في ضوء رؤية 2030". **المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية**، مج 4، العدد 8 (تموز/ يوليو 2019).

سوخانكين، سيرغي. "صفقة الغاز الطبيعي المسال الصينية القطرية: مرحلة جديدة للعلاقات بين الدوحة وبكين؟". منتدى الخليج الدولي. في: https://tinyurl.com/26tx2bsk

ليانجشيانج، جين وإن جاناردان. "مبادرة الحزام والطريق: الفرص والمعوقات أمام منطقة الخليج". نظرة تحليلية. أكاديمية الإمارات الدبلوماسية. 2018/6/2.

الأجنبية

Chaturvedy, Rajeev Ranjan & Guy M. Snodgrass. "The Geopolitics of Chinese Access Diplomacy." German Marshall Fund of the United States. *Policy Brief* (May 2012).

Chen, Chien-Kai. "China in the Middle East: An Analysis from a Theoretical Perspective of 'Path Dependence'." *East Asia*. no. 38 (2021).

"China's Impact on Conflict Dynamics in the Red Sea Arena." US Institute of Peace (2020).

Deng, Yong. "How China's Belt and Road is Reordering Asia." *Harvard International Review*. vol. 39, no. 4 (Fall 2018).

Duchâtel, Mathieu & Alexandre Sheldon Duplaix. "Blue China: Navigating the Maritime Silk Road to Europe." European Council on Foreign Relations. *Policy Brief* (April 2018).

Ehteshami, Anoushiravan. "The BRI and its Rivals." *PRISM*. vol. 10, no. 1 (2022).

Fanell, James E. "China's Global Naval Strategy and Expanding Force Structure." *Naval War College Review*. vol. 72, no. 1 (Winter 2019).

Findlay, Christopher & Somkiat Tangkitvanich (eds.). *New Dimensions of Connectivity in the Asia-Pacific*. Canberra: ANU Press, 2021.

Fu, Yike & Ovigwe Eguegu. "Mapping the Future of China-Africa Relations: How the Continent can Benefit." South African Institute of International Affairs. *Occasional Paper*. no. 333 (October 2021).

Fulton, Jonathan. "The Relations between China and the Gulf States." Konrad Adenauer Stiftung. *Policy Report*. no. 39 (September 2021).

Ghafouri, Mahmoud. "China's Policy in the Persian Gulf." *Middle East Policy*. vol. 26, no. 2 (Summer 2009).

HM Government. "Integrated Review Refresh 2023 Responding to a More Contested and Volatile World." Presented to Parliament by the Prime Minister by Command of His Majesty (March 2023). at: https://bit.ly/3Ndcdkl

How the Geopolitical Partnership between China and Russia Threatens the West. Canberra: Australian Strategic Policy Institute, 2019.

Hu, Weixing & Weizhan Meng. "The US Indo-Pacific Strategy and China's Response." *China Review*. vol. 20, no. 3 (August 2020).

Hu, Weixing. "The United States, China, and the Indo-Pacific Strategy." *China Review*. vol. 20, no. 3 (August 2020).

"The Belt and Road Initiative." Silk Road Briefing. at: https://bit.ly/3rCrfrj

The People's Republic of China. Embassy in the Kingdom of Thailand. "Remarks of Spokesperson of the Chinese Embassy in Thailand upon Media Inquiries." 2/3/2203. at: https://bit.ly/3N6XE1v

_____. The State Council. "China, Oman Vow to Promote Strategic Partnership, Military Cooperation." 29/4/2022. at: https://tinyurl.com/4x5wbnuw

The State Council Information Office of the People's Republic of China. "China's Military Strategy." May 2015. at: https://tinyurl.com/mrusv3dr

The UAE Ministry of Economy. "UAE and China Explore Strengthening of Cooperation in Trade, Investment, Energy, Manufacturing, Technology, Health & Transportation." 15/8/2023. at: https://tinyurl.com/2s3ccnnc

The White House. "National Security Strategy of the United States of America." (December 2017). at: https://bit.ly/3H2LBP6

_____. "National Security Strategy." (October 2022). at: https://bit.ly/41zCfTc

Webster, Joseph & Joze Pelayo. "China is Getting Comfortable with the Gulf Cooperation Council. The West Must Pragmatically Adapt to its Growing Regional Influence." *Atlantic Council. 5/4/2023. at: https://tinyurl.com/mr2yu3yt*

Huld, Arendse. "EU-China Relations – Trade, Investment, and Recent Developments." *China Briefing.* 4/4/2023, at: https://tinyurl.com/mw4ex2tj

Janardhan, N. "Indo-Chinese Cooperation for Gulf Security." *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies.* vol. 11, no. 1 (July 2017).

Jiali, M.A. & Ravni Thakur. "The Five Principles of Peaceful Coexistence." *World Affairs.* vol. 8, no. 4 (October/December 2004).

Lampton, David M. "China and America." *Great Decisions* (January 2018).

Liang, Wei. "China: Globalization and the Emergence of a New Status Quo Power?" *Asian Perspective.* vol. 31, no. 4, (2007).

Mackinder, Halford J. "The Geographical Pivot of History." *The Geographical Journal.* vol. 23, no. 4 (April 1904)

_____. *Democratic Ideals and Reality: A Study in the Politics of Reconstruction.* New York, NY: Henry Holt and Company, 1919.

Madani, Seyedashkan. "Beyond Geopolitics: A Geoeconomic Perspective of China-Iran Belt and Road Initiative Relations." *Uluslararasiili*ş*kiler, International Relations.* vol. 19, no. 74 (2022).

Niblock, Tim, Talmiz Ahmad & Degang Sun (eds.). *Conflict Resolution and Creation of a Security Community in the Gulf Region.* Berlin: Gerlach Press, 2018.

Rózsa, Erzsébet N. "Deciphering China in the Middle East." Union Institute for Security Studies. *Brief.* no. 14 (June 2020).

Sacks, David. "Why is Italy Withdrawing from China's Belt and Road Initiative." Council on Foreign Affairs. 3/8/2023. at: https://tinyurl.com/55577d6v

Spykman, Nicholas J. *The Geography of the Peace.* New York, NY: Harcourt, Brace and Company, 1944.

صـدر حديـثًا

تـأليف: ألكسي دو توكفيل

الديمقراطية في أميركا

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن سلسلة "ترجمان"، كتاب **الديمقراطية في أميركا** *De la démocratie en Amérique*، من تأليف ألكسي دو توكفيل. يتألف من جزأين، يشتمل الجزء الأول منهما على قسمين، يضم الأول ثمانية فصول، والثاني عشرة فصول (فالمجموع ثمانية عشر فصلًا)، أما الجزء الثاني فيشتمل على أربعة أقسام، يضم الأول منها واحدًا وعشرين فصلًا، والثاني عشرين فصلًا، والثالث ستة وعشرين فصلًا، والرابع ثمانية فصول (فالمجموع خمسة وسبعون فصلًا).

التوثيق

Documentation

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Milestones in Democratic Transition in the Arab World

يتضمّن هذا التقرير توثيقًا لأبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 1 أيار/ مايو – 30 حزيران/ يونيو 2023.

كلمات مفتاحية: الجزائر، تونس، السودان، مصر، العراق، ليبيا.

Keywords: Algeria, Tunisia, Sudan, Egypt, Iraq, Libya.

2023/5/3 قال الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إن الاختلاف في الرأي لا يُفسد للوطن قضية، مؤكدًا أن الحوار الوطني يرسم ملامح الجمهورية الجديدة بدولة ديمقراطية حديثة وأن أحلامنا وآمالنا تفرض علينا أن نتوافق، وأن دعوته للحوار الوطني تأتي من يقين راسخ بأن الأمة المصرية تمتلك مقومات التقدم في المجالات كافة.

(القاهرة 24، 2023/5/3)

2023/5/5 شهدت بلدة أم الميادن في ريف درعا الشرقي جنوب سورية احتجاجات وقطعًا للطرقات العامة على خلفية اعتقال أمن النظام السوري شبانًا في المنطقة.

(العربي الجديد، 2023/5/5)

2023/5/5 قبل أيام من موعد عودة النائب السابق والمرشح للرئاسة المصرية، أحمد الطنطاوي، إلى مصر، وبعد إعلان اعتزامه الترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة، ألقت السلطات المصرية القبض على عمه وخاله إلى جانب عدد من أصدقائه بتهمة الانضمام إلى جماعة إرهابية وحيازة منشورات. وجاء ذلك أيضًا بالتزامن مع انعقاد مؤتمر الحوار الوطني الذي دعا إليه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي.

(بي بي سي عربي، 2023/5/5)

2023/5/5 قال الرئيس التونسي، قيس سعيّد، إنه "ليس من حق أيّ جهة كانت في تونس أن تتصرف خلاف السياسة التي يحددها رئيس الجمهورية"، مضيفًا أنّ "التصريحات التي تأتي من الخارج لا تلزم إلا أصحابها وليس من حق أيٍّ كان أن يُلزم الدولة بما لا يرضاه شعبها".

(العربي الجديد، 2023/5/5)

2023/5/7 انتقدت هيومن رايتس ووتش اعتقال السلطات المصرية عددًا من أقارب عضو مجلس النواب السابق أحمد طنطاوي وأنصاره، والذي أعلن في آذار/ مارس أنه سيترشح لانتخابات الرئاسة عام 2024. ودعت المنظمة السلطات المصرية للإفراج فورًا عن جميع الذين احتُجزوا لممارستهم حقوقهم الأساسية في حرية التجمّع والتعبير أو بسبب علاقتهم بطنطاوي، وعرض كل من ثبت ارتكابه مخالفة أمام القاضي لمراجعة قانونية احتجازه وضرورة ذلك.

(الجزيرة نت، 2023/5/7)

2023/5/16 قضت محكمة تونسية بالسجن عامًا واحدًا، وبغرامة مالية قدرها ألف دينار (نحو 300 يورو) في حق رئيس حركة النهضة الموقوف منذ نحو شهر راشد الغنوشي.

(مونت كارلو الدولية، 2023/5/16)

2023/5/19 شهدت مدن وبلدات في الشمال السوري مظاهرات حاشدة رفضًا للتطبيع العربي مع نظام الأسد، مؤكدة أن الخيار الوحيد للسوريين هو الاستمرار في الثورة حتى إسقاط النظام وأركانه، ويأتي ذلك بالتزامن مع انعقاد مؤتمر القمة العربية في مدينة جدة في السعودية، بمشاركة بشار الأسد بعد غياب دام 13 عامًا. وجاءت هذه التظاهرات بعد دعوات للخروج في مظاهرات شعبية في مدينة إدلب وأعزاز والباب وعفرين، إضافة إلى دول أوروبية، تحت عنوان "سورية لا يمثلها الأسد المجرم"، وذلك رفضًا للتطبيع مع النظام السوري، واستنكارًا لدعوة الأسد لتمثيل مقعد سورية في جامعة الدول العربية.

(تلفزيون سوريا، 2023/5/19)

2023/5/19 أصدر قائد الجيش السوداني، عبد الفتاح البرهان، مرسومًا دستوريًا بإعفاء نائب رئيس مجلس السيادة الانتقالي، محمد حمدان دقلو "حميدتي"، من منصبه. وعيّن البرهان زعيم المتمردين السابق، مالك عقار، في منصب نائب رئيس مجلس السيادة، الذي يتولى عضوية المجلس منذ آذار/ مارس 2021. كما أصدر البرهان قرارًا بتعيين الفريق أول ركن شمس الدين كباشي نائبًا له، واللواء ياسر عبد الرحمن حسن العطا والملازم إبراهيم جابر إبراهيم كريمة مساعدَين له.

(عربي 21، 2023/5/19)

2023/5/22 دعت عشرات المنظمات والجمعيات التونسية إلى "وضع حدّ لتدخّل السلطة التنفيذية في شؤون القضاء، واحترام الحق الأساسي في المحاكمة العادلة أمام محكمة مستقلّة ومحايدة". وتحت عنوان "دفاعًا عن استقلالية القضاء"، أصدرت منظمات وجمعيات تونسية بيانًا، دعت فيه إلى "احترام المعايير الدولية لاستقلالية القضاء، والحق في المحاكمة العادلة والمنصفة، وفقًا لالتزامات تونس الدولية"

(العربي الجديد، 2023/5/22)

2023/5/23 قررت محكمة جنايات أمن الدولة في مصر إحالة أوراق مرشد جماعة الإخوان المسلمين في مصر، محمد بديع، و7 من قادة الجماعة إلى مفتي الجمهورية لإبداء رأيه الشرعي في حكم الإعدام، لإدانتهم في قضية تُعرف "بأحداث المنصة" وتعود وقائعها إلى عام 2013.

(الجزيرة نت، 2023/5/23)

2023/5/24 قال بيان للرئاسة التونسية إن الرئيس قيس سعيّد "مؤمن بعمق باستقلالية القضاء والقضاة في البلاد" متعهدًا باحترامها لكن من دون التراجع عن المحاسبة، وذلك خلال استقباله وزيرة العدل ليلى جفال في قصر قرطاج. ووُصف قول سعيّد بأنه رد على خطاب المعارضة التي تتهمه بالهيمنة على القضاء وفرض ضغوط عليه، خاصة فيما يتعلق بالملفات السياسية.

(ميدل إيست أون لاين، 2023/5/24)

2023/5/26 خرج الآلاف من أنصار أحزاب المعارضة إلى شوارع العاصمة الموريتانية نواكشوط، رافعين لافتات ومرددين هتافات

ترفض نتائج الانتخابات التشريعية والجهوية والمحلية، وهي النتائج التي اكتسحتها أحزاب موالية للرئيس محمد ولد الشيخ الغزواني.

(الشرق الأوسط، 2023/5/26)

2023/5/28 أطلقت الصومال عملية إصلاح شاملة لنظامها السياسي، باتفاق وُقّع بين الحكومة والولايات الفدرالية ينصّ على إجراء الانتخابات بناء على الاقتراع العام اعتبارًا من عام 2024 والانتقال إلى نظام رئاسي.

(سويس إنفو، 2023/5/28)

2023/5/28 أعلنت اللجنة الوطنية المستقلة للانتخابات في موريتانيا النتائج الأولية لجولة الإعادة من الانتخابات التشريعية التي جرت في 22 دائرة، وتمكّن حزب الإنصاف الحاكم من الفوز بغالبية المقاعد البرلمانية فيها، بحصوله على 27 مقعدًا، لترتفع حصته بذلك إلى 107 مقاعد في الجولتين من 176 مقعدًا، وهو عدد مقاعد البرلمان الموريتاني. في حين تمكّن حزب التجمع الوطني للإصلاح والتنمية المعارض من الحصول على مقعدين، ليرتفع بذلك إجمالي ما حصل عليه في الجولتين إلى 11 مقعدًا. وحصل حزب الاتحاد من أجل الديمقراطية والتقدم الموالي على أربعة مقاعد، ليرتفع عدد مقاعده إلى 10، ويحتل المرتبة الثالثة من حيث التمثيل البرلماني. يليه حزبا نداء الوطن والفضيلة الموالیان بفوزهما بمقعد واحد لكل منهما في الجولة الثانية، ليرتفع عدد مقاعدهما الكلي إلى 7 مقاعد، وكذلك حزب الجبهة الجمهورية المعارض الذي حصد في الجولة الثانية مقعدًا واحدًا، ليرتفع تمثيله إلى 7 مقاعد.

(العربي الجديد، 2023/5/28)

2023/6/3 وصف الرئيس التونسي، قيس سعيّد، شروط صندوق النقد الدولي بشأن المفاوضات الجارية حول اتفاق قرض بـ "عود ثقاب مشتعل بجانب مواد شديدة الانفجار"، في إشارة إلى الخلاف المرتبط بمراجعة نظام الدعم الحكومي.

(الشرق الأوسط، 2023/6/3)

2023/6/7 بعد جولة من الاجتماعات في بوزنيقة في المغرب، أعلن ممثلون عن حكومتَي ليبيا في الشرق وفي طرابلس توصلهم إلى "توافق" حول القوانين المنظّمة للانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقبلة.

(فرانس 24، 2023/6/7)

2023/6/8 طالب العديد من أساتذة الحقوق في تونس بالإفراج عن المعتقلين السياسيين، ووقف ما سموها حملة الاعتقالات التي تشنّها السلطات ضد البرلمانيين والصحافيين والمحامين والقضاة والمدافعين عن حقوق الإنسان. وفي عريضة صدرت، دعا 45 أستاذًا جامعيًا للإفراج الفوري والشامل عن جميع المعتقلين السياسيين وسجناء الرأي الذين سُجنوا من دون حق، أو محاكمتهم بطريقة عادلة.

(الجزيرة نت، 2023/6/8)

2023/6/9 صوّت البرلمان العراقي على موازنة للأعوام 2023 و2024 و2025، على نحو جزئي، وأجرى تحالف "الإطار التنسيقي"، الذي انبثقت منه حكومة رئيس الوزراء، محمد شياع السوداني، حوارات مكثفة خلال الأيام الأخيرة، خاصة مع القوى الكردية التي كانت قد اعترضت على بعض فقرات الموازنة التي تخص إقليم كردستان، وعدّتها مخالفة للاتفاقات السياسية.

(العربي الجديد، 2023/6/11)

2023/6/11 أبدى المجلس الرئاسي الليبي استعداده لـ "التشاور الموسع مع كل القوى الوطنية والمؤسسات المعنيّة بمشاركة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا لضمان استمرار الاستقرار الحالي وتهيئة الأجواء للانتخابات" في البلاد.

(وكالة الأناضول، 2023/6/11)

2023/6/16 قال قائد قوات الشرق في ليبيا، خليفة حفتر، إن توقيع لجنة "6+6" المشتركة بين مجلسَي النواب والدولة قوانين الانتخابات يُعد "أولى الخطوات المهمة لإنهاء الانقسام السياسي" في البلاد.

(وكالة الأناضول، 2023/6/16)

2023/6/17 وصف مالك عقار، نائب رئيس مجلس السيادة السوداني، خلال حلقة نقاشية داخل المركز المصري للفكر والدراسات، الوضع داخل السودان بـ "الكارثي"، مؤكدًا على "انتصار الجيش السوداني في الحرب في النهاية". وقال إن "جزءًا من الخرطوم فيه مواقع تحت سيطرة قوات الدعم السريع، وهناك مواقع تحت سيطرة الجيش، وهناك مواقع تتبادل فيها هذه القوات السيطرة عليها".

(سبوتنيك عربي، 2023/6/17)

2023/6/18 جددت أحزاب سياسية معارضة في الجزائر رفضها استخدام السلطة الاستمرار في إغلاق المجالَين السياسي والإعلامي، وتقييد الحريات، بحجّة وجود تهديدات خارجية تحيط بالبلاد.

(العربي الجديد، 2023/6/18)

2023/6/18 تشهد الخرطوم حالة من الهدوء مع سريان هدنة جديدة مدة ثلاثة أيام في السودان بوساطة سعودية أميركية. وتتضمن الهدنة وقف الهجمات المتبادلة واستخدام سلاح الطيران والمدفعية، وتأمين وصول المساعدات الإنسانية.

(سكاي نيوز عربية، 2023/6/18)

2023/6/19 أعلن المجلس الأعلى للدولة في ليبيا ترشيحه محمد المزوغي لرئاسة حكومة مصغّرة "تبسط سيطرتها ونفوذها على كامل مناطق البلاد، وتهيّئ المناخ والظروف المناسبة لإقامة انتخابات يرتضيها الجميع". والتقى عدد من أعضاء المجلس، على رأسهم مقرر

المجلس بلقاسم دبرز، المزوغي، في اجتماع بالعاصمة طرابلس، حيث عرض "رؤيته المستقبلية" حول برنامجه الحكومي.

(سكاي نيوز عربية، 2023/6/19)

2023/6/19 قال الرئيس التونسي، قيس سعيّد، إن تونس لن تقبل أبدًا بأن تكون حارسة لحدود أيّ دولة أخرى، كما لن تقبل بتوطين المهاجرين على ترابها، وذلك خلال استقباله في قصر قرطاج وزيرة الداخلية الألمانية نانسي فيزر، ونظيرها الفرنسي جيرالد دارمانان.

(العربي الجديد، 2023/6/19)

2023/6/20 أصدر الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، قرارًا بتعيين المستشار وليد حمزة (من محكمة النقض) رئيسًا لمجلس إدارة الهيئة الوطنية للانتخابات، وذلك استعدادًا للانتخابات الرئاسية لعام 2024. وبحسب "الجريدة الرسمية"، فقد جاء قرار تعيين حمزة عن طريق الندب بهدف استكمال تشكيل مجلس إدارة الهيئة الوطنية للانتخابات

(الخليج الجديد، 2023/6/20)

2023/6/20 في ضوء مشاركة الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، في قمة الاتفاق على تمويل عالمي جديد، المزمع عقدها في باريس في 22 و23 حزيران/ يونيو، أرسلت 14 منظمة حقوقية رسالة مشتركة للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، دعته فيها لمخاطبة الرئيس المصري علنًا وفي أيّ مناقشات أو اجتماعات ثنائية، من أجل اتخاذ تدابير فورية وفعالة لمعالجة أزمة حقوق الإنسان في مصر وفتح المجال العام وتمكين المجتمع المدني وإطلاق سراح جميع المحتجزين تعسفيًا لمجرد ممارسة حقوقهم المشروعة في حرية التعبير وتكوين الجمعيات والتجمع السلمي.

(العربي الجديد، 2023/6/20)

2023/6/20 أعلنت السلطات العراقية إرجاء موعد انتخابات مجالس المحافظات من 6 تشرين الثاني/ نوفمبر إلى 18 كانون الأول/ ديسمبر المقبل بعد 10 سنوات على إجرائها آخر مرة، وفق بيان رسمي صادر عن مجلس الوزراء.

(فرانس 24، 2023/6/20)

2023/6/23 أعلنت مساعدة وزير الخارجية الأميركي للشؤون الأفريقية، مولي في، أن الولايات المتحدة أرجأت محادثات السودان لأنها لا تحقق النجاح المنشود في شكلها الحالي.

(إندبندنت عربية، 2023/6/23)

2023/6/23 قالت الرئاسة التونسية إن الرئيس قيس سعيّد أبلغ المديرة العامة لصندوق النقد الدولي، كريستالينا جورجيفا، أن شروط الصندوق لتقديم الدعم المالي لبلده تهدد بإثارة اضطرابات أهلية.

(الجزيرة نت، 2023/6/23)

2023/6/23 استأنفت النيابة العامة في تونس قرار الإفراج عن المعارِضة السياسية شيماء عيسى، المحتجزة منذ شباط/ فبراير الماضي بشبهة "التآمر على أمن الدولة"، بعد وقت وجيز من إعلان محاميتها قرار قاضي التحقيق بإطلاق سراحها، ما يعني إبقاءها موقوفة.

(فرانس 24، 2023/6/23)

2023/6/26 دعا بيان للمنتدى الإسلامي العالمي للبرلمانيين، وقّعه 181 نائبًا من برلمانات 19 دولة عربية وإسلامية، السلطات التونسية إلى الإفراج الفوري عن زملائهم النواب المعتقلين في تونس، الملاحَقين في قضايا رأي سياسي، من بينهم رئيس البرلمان المنحلّ راشد الغنوشي.

(العربي الجديد، 2023/6/26)

2023/6/27 أعلن قائد الجيش السوداني، الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان، وقف إطلاق النار من جانب واحد أول أيام عيد الأضحى.

(سكاي نيوز عربية، 2023/6/27)

2023/6/27 أعلن قائد قوات الدعم السريع في السودان، محمد حمدان دقلو (حميدتي)، عن "هدنة من جانب واحد" مدة يومين.

(العربي الجديد، 2023/6/27)

2023/6/28 أعربت منظمات حقوقية مصرية عن استنكارها دور عمليات تصدير الأسلحة المصنّعة في دول الاتحاد الأوروبي في تفاقم أعمال القمع الداخلي وانتهاكات حقوق الإنسان داخل مصر، ودعت هذه المنظمات مؤسسات الاتحاد الأوروبي المختصة لإعلاء مطالب الشفافية ووقف تصدير الأسلحة إلى مصر من جميع الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، بما يتماشى مع المعيار رقم 2.2 من الموقف المشترك لمجلس الاتحاد CFSP/944/2008.

(مركز القاهرة لحقوق الإنسان، 2023/6/28)

2023/6/29 أعلن حاكم ولاية شمال دارفور السودانية، نمر محمد عبد الرحمن، التوصل إلى اتفاق لوقف القتال بين الأطراف المتصارعة في الولاية "من أجل السلام والاستقرار". وقال في خطاب مصوّر نشره عبر صفحته الرسمية على "فيسبوك"، بمناسبة عيد الأضحى: "نحن في حكومة ولاية شمال دارفور، قمنا بمبادرة طيبة من أطراف عدة، وجلسنا بعضنا مع بعض من إدارات أهلية، ومنظمات مجتمع مدني، والشرطة، والشباب، والاتحادات النسائية، وكوّنّا لجنة من أجل وقف الاقتتال في ولاية شمال دارفور، وتوصلنا إلى أننا لن نربح من القتال، بل سنخسر".

(العربي الجديد، 2023/6/29)

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Documents of Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا الباب أبرز الوثائق السياسية ذات الصلة بالتحول الديمقراطي في الوطن العربي. وفي هذا العدد، الذي نرصد فيه وثائق شهري أيار/ مايو وحزيران/ يونيو 2023، ننشر وثيقتين من تونس ومصر.

كلمات مفتاحية: تونس، مصر.

Keywords: Tunisia, Egypt.

الوثيقة (1)
عشرات المنظمات التونسية تصدر بيانًا تطالب بوقف تدخل السلطة في شؤون القضاء

منذ استيلاء الرئيس قيس سعيّد على المؤسسات يوم 25 تموز/ يوليو 2021، مرورًا بمرسومه الصادر في 22 أيلول/ سبتمبر من نفس السنة الذي ألغى ضمنيًّا النظام الدستوري، وصولًا إلى اعتماد دستور فُصّل على مقاسه بعد ذلك بسنة، يتعرّض القضاء إلى هجمات مستمرّة تهدف إلى تقويض استقلاليته، مما ينتج منه انتهاك الحق في المحاكمة العادلة.

بموجب "المرسوم رقم 11" الصادر في 12 شباط/ فبراير 2022، حلّ رئيس الجمهوريّة "المجلس الأعلى للقضاء"، وهو هيئة منتخبة ومنصوص عليها في دستور 2014 ومهمتها المفترضة هي ضمان استقلالية القضاة، وعوّضه بمجلس مؤقت يعيّن هو بشكل مباشر ما يقرب من نصف أعضائه، قبل أن يعفي 57 قاضيًا يوم 1 حزيران/ يونيو 2022 مانحًا لنفسه حق عزل القضاة في "المرسوم رقم 35". وهكذا، سُحِقت استقلاليّة القضاء، التي ضمنها المجلس المستقلّ، والتي كافح من أجلها أجيال من النشطاء والحقوقيين، من قبل السلطة التنفيذية التي سمحت لنفسها بإقالة القضاة ووكلاء الجمهورية بشكل أحادي، منتهكة بذلك الحق في المحاكمة العادلة أمام محكمة مستقلّة ومحايدة.

في آب/ أغسطس 2022، أصدر رئيس "المحكمة الإدارية" بتونس العاصمة قرارًا بوقف تنفيذ قرار إعفاء 49 من57 قاضيًا وإعادتهم إلى مناصبهم، على أساس أنّ فصلهم لم يستند إلى أي دليل ملموس على ارتكابهم أخطاء جسيمة بعد النظر في شكاوى رفعها القضاة المعفيون. لكن إلى اليوم ترفض الحكومة تنفيذ هذا القرار. وبالتالي تضاعفت وتيرة تقويض استقلالية القضاء من خلال الاعتداء الصارخ على دولة القانون، المتمثل في رفض تطبيق قرارات قضائيّة. بل أسوأ من ذلك، شرعت وزارة العدل بعد ذلك في ملاحقات جنائيّة ضد جميع القضاة المعفيين من مناصبهم، بما في ذلك أمام "القطب القضائي لمكافحة الإرهاب"، في محاولة لتبرير فصلهم بأثر رجعي.

في الدستور الجديد الذي اعتُمد في استفتاء لم يُشارك فيه سوى ثلث الناخبين، تمّ اعتبار القضاء "وظيفة" وليس "سلطة" قائمة في حد ذاتها، وهكذا أُدرِج إخضاع القضاء في القانون الأساسي. كما أفرغ نفس النصّ المجلس الأعلى للقضاء من جوهره، وجرّده من مكانته كهيئة دستوريّة.

بالتزامن مع تصعيد السلطات للاعتقالات التعسفية والملاحقات القضائية التي لا أساس لها ضدّ شخصيات منتقدة للرئيس سعيّد، حذّر هذا الأخير بشكل علني "الذين يُبرّؤون" معارضيه، الذين وصفهم في عدّة مناسبات بـ"الإرهابيين"، بأنّهم يُعتبرون "متواطئين معهم". في خضمّ هذه التهديدات الموجهة بطريقة تكاد لا تكون مستترة إلى العدالة والفصل التعسّفي للقضاة، لم يعُد بإمكان نظام العدالة التونسي اليوم أن يؤدّي دوره كاملًا كضامن للحريات والحقوق الأساسيّة.

تحذّر الجمعيّات الموقّعة أدناه من التوظيف الخطير للعدالة ضدّ كل المتقاضين، الذين يظلّ حصنهم الأخير ضدّ التعسف هو سلطة قضائية مستقلّة، وهي الضامن الوحيد للمحاكمة العادلة.

ولتحقيق ذلك، تدعو الجمعيّات الموقّعة إلى:

- إعادة القضاة إلى مناصبهم وفقًا للقرارات الصادرة في آب/ أغسطس 2022 عن المحكمة الإدارية بتونس العاصمة؛
- وضع حدّ لتدخل السلطة التنفيذية في شؤون القضاء؛
- احترام الحق الأساسي في المحاكمة العادلة أمام محكمة مستقلّة ومحايدة؛
- إلغاء المرسوم رقم 11 الصادر في 12 شباط/ فبراير 2022 كما تمّ تنقيحه بالمرسوم رقم 35 الصادر في 1 حزيران/ يونيو 2022؛
- احترام المعايير الدولية لاستقلالية القضاء والحقّ في المحاكمة العادلة والمنصفة وفقًا لالتزامات تونس الدوليّة.

الموقّعون:

1. الائتلاف المدني للدفاع عن العدالة الانتقالية
2. جمعية القضاة التونسيين
3. جمعية بيتي
4. الهيئة الوطنية للدفاع عن الحريات والديمقراطية
5. الجمعية التونسية للدفاع عن الحريات الفردية
6. المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
7. الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان
8. النقابة الوطنية للصحفيين التونسيين
9. البوصلة
10. أخصائيون نفسانيون العالم
11. الشبكة التونسية للعدالة الانتقالية
12. اللجنة الوطنية لمناضلي اليسار
13. المفكرة القانونية
14. العدالة ورد الاعتبار
15. جمعية الكرامة للحقوق والحريات
16. جمعية أوفياء لعائلات شهداء وجرحى الثورة
17. جمعية تقاطع من أجل الحقوق والحريات
18. جمعية معًا من أجل المواطنة والتغيير
19. جمعية آفاق العامل التونسي
20. جمعية نساء من أجل المواطنة والتنمية بجندوبة
21. جمعية كرامة في توزر
22. جمعية المتطوعين بوعرادة
23. جمعية إفادة
24. جمعية مواطنة وحرية بجربة
25. جمعية صوت الإنسان
26. جمعية جسور المواطنة
27. منظمة لا سلام بدون عدالة
28. دمج الجمعية التونسية للعدالة والمساواة
29. موجودين للمساواة
30. لجنة احترام الحريات وحقوق الإنسان
31. الأورومتوسطية للحقوق
32. اللجنة الدولية للحقوقيين
33. هيومن رايتس ووتش
34. محامون بلا حدود
35. المنظمة الدولية لمناهضة التعذيب
36. منظمة العفو الدولية
37. منظمة دانر

جهة الإصدار: مجموعة من المنظمات التونسية.

المصدر: هيومن رايتس ووتش، 2023/5/22، شوهد في 2023/6/30، في: https://tinyurl.com/5n6d9u69

الوثيقة (2)

بيان لمجموعة من المنظمات الحقوقية تطالب فيه الاتحاد الأوروبي بالتوقف عن تصدير الأسلحة إلى مصر ودعم جهود المساءلة

تعرب المنظمات الموقّعة أدناه عن استنكارها لدور عمليات تصدير الأسلحة المصنعة في دول الاتحاد الأوروبي في تفاقم أعمال القمع الداخلي وانتهاكات حقوق الإنسان داخل مصر، وتدعو المنظمات مؤسسات الاتحاد الأوروبي المختصة لإعلاء مطالب الشفافية ووقف تصدير الأسلحة إلى مصر من جميع الدول الأعضاء في الاتحاد، بما يتماشى مع المعيار رقم 2.2 من الموقف المشترك 944CFSP/2008.

كانت الأمم المتحدة قد أكدت أنّ إساءة استخدام الحكومات للأسلحة بما يتسبب في انتهاكات حقوق الإنسان، هو انتهاك في حد ذاته للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي. وهو ما ينطبق على مصر؛ فعلى مدار العقد الماضي، تم توثيق استخدام قوات الأمن المصرية للأسلحة الثقيلة والخفيفة على حد سواء في أعمال القمع الداخلي، أو خلال التعامل الوحشي من قبل الشرطة، والتعذيب، والقتل خارج نطاق القانون.

وفي أعقاب مجزرة رابعة العدوية والنهضة في 14 آب/ أغسطس 2013، والتي راح ضحيتها حوالى ألف متظاهر أعزل على أيدي قوات الأمن المصرية، أصدر مجلس الاتحاد الأوروبي في العام نفسه قرارًا بشأن حالة حقوق الإنسان في مصر، ووافقت الدول الأعضاء وقتها بالإجماع على تعليق تصدير أيّ أسلحة أو معدّات إلى مصر يمكن استخدامها في القمع الداخلي.

هذا القرار صدر عقب مجزرة رابعة، والتي شهدت حضورًا لافتًا لمركبات شيربا المصفحة فرنسية الصنع، وبنادق إيفو سكوربيون التشيكية الصنع، وبنادق بيريتا الإيطالية 90/70. إذ استخدمت قوات الأمن المصرية هذه الأسلحة وغيرها لفض الاعتصامات وتفريق المحتجين بالقوة. ورغم هذا القرار الصادر عام 2013، فإن عددًا من الدول الأعضاء مثل بلغاريا وقبرص وجمهورية التشيك وفرنسا وألمانيا والمجر وإيطاليا وهولندا وبولندا ورومانيا وإسبانيا، تواصل انتهاكه وتستمر في شحن المعدّات العسكرية إلى مصر.

وبعد ما يقرب من عشر سنوات من إصدار هذا القرار، أصدرت منظمة ايجيبت وايد مؤخرًا تقريرًا يتضمن أدلة موثقة على استخدام أسلحة صغيرة وخفيفة، مصنعة في إيطاليا تم تصديرها إلى مصر، في انتهاكات حقوق الإنسان. كما سلّط التقرير الضوء على غياب مبدأي التناسب والمساءلة في استخدام القوة في مصر من قبل السلطات المصرية خلال العقود الماضية، تحت رئاسة السيسي، إذ تم استخدام الأسلحة النارية ومركبات ناقلة الجند المدرعة في عمليات فرض السيطرة على الشوارع وفضّ الاحتجاجات.

إن استمرار عمليات التصدير للأسلحة والتوفير المتزايد لمنظومات السلاح المختلفة، بما في ذلك تقنيات المراقبة والتكنولوجيا المرتبطة بعمل الجيش والاستخدام المزدوج، واستخدامها غير الخاضع للمساءلة؛ تشكّل تهديدًا للحقّ في الحياة والحقّ في عدم التعرض للتعذيب، والحقّ في التجمع السلمي وحرية التعبير لجميع المواطنين المصريين. فضلًا عما يسفر عن استمرار هذا التصدير مع تصاعد الانتهاكات وتهديد السلام الإقليمي وتعريضه للخطر والتهديدات الأمنية المتزايدة. الأمر الذي يشكّل التزامًا على عاتق الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، خاصة تلك التي دأبت على تصدير الأسلحة وتكنولوجيا المراقبة والتكنولوجيا ذات الاستخدام المزدوج إلى مصر في السنوات الماضية، ويشكّل ضرورة متزايدة لدعم جهود المساءلة عن استخدام مثل هذه الأسلحة في انتهاكات حقوق الإنسان.

وفقًا لنصوص معاهدة تجارة الأسلحة، الموقّعة بتاريخ 2013، والموقف المشترك للاتحاد الأوروبي 944CFSP/2008، نصّت صراحةً على الربط بين انتشار الأسلحة وتدهور السلام والأمن وحقوق الإنسان. كما نصّت على أحكام لتنظيم التجارة الدولية ونقل الأسلحة، على نحوٍ يضع هذه الأنشطة تحت مسؤولية الدول المصدّرة ودورها الملتزم بدعم وحماية حقوق الإنسان والسلام على الصعيد الدولي. ونصّت هذه المعاهدات والمواقف أيضًا على حظر توريد المواد العسكرية إلى البلدان التي يتنامى فيها خطر استخدام الأسلحة وهذه المواد في أعمال القمع الداخلي أو انتهاكات حقوق الإنسان، طبقًا لاتفاقية جنيف لعام 1949.

إنّ استمرار عمليات البيع وتصدير الأسلحة من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي إلى مصر سيؤدي إلى تفاقم استخدام القوة العنيفة، والمميتة أحيانًا، في حق المدنيين، كما يتسبب في ارتفاع وتيرة عمليات القتل التعسفي خارج نطاق القانون، والتي تحدث في سياق استمرار الاعتقالات التعسفية والجماعية أحيانًا (لا يزال هناك عشرات الآلاف من الأشخاص محتجزين تعسفيًا على خلفية انتقادهم السلمي للسياسات الحكومية بين عامَي 2013 و2019). هذا إضافةً إلى استمرار ممارسات الإخفاء القسري لمئات المواطنين، والاستخدام المنهجي للتعذيب، إذ تساهم هذه الأسلحة المصنّعة داخل الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك الأسلحة الصغيرة والخفيفة والمدرعات والغاز المسيل للدموع والهراوات وتكنولوجيا المراقبة، في تفاقم التدهور في حالة حقوق الإنسان في مصر، وهو ما وثّقته منظمات حقوقية مثل ايجيبت وايد، الجبهة المصرية لحقوق الإنسان، والفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان. كما أعربت منظمّتا هيومن رايتس ووتش والعفو الدولية عن قلقهما من خطر أنّ الأسلحة المصدّرة من قبل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي قد تؤدي إلى زيادة انتهاكات حقوق الإنسان.

وفي ضوء الأدلة المقدمة، والمواقف التي أصدرها الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، من الصعب إغفال دور الدول الأعضاء في الاتحاد كمتسبب في تنامي القمع الداخلي في مصر عبر مواصلة عمليات تصدير الأسلحة والمعدات وتكنولوجيا المراقبة، وهو ما يتعارض مع التزام الاتحاد الأوروبي بدعم الديمقراطية وحقوق الإنسان كمحدد أساسي في علاقاتها الخارجية مع شركائها والدول الأخرى. كما أن دول الاتحاد ومؤسساته ملزمة باتخاذ إجراءات لحماية حقوق الإنسان في مصر من خلال تنظيم عمليات نقل وبيع الأسلحة، وفقًا لمبادئ تأسيس الاتحاد كما وردت في معاهدة الاتحاد الأوروبي (TEU).

وبناءً عليه، تطالب المنظمات الموقّعة بالتالي:

1. على الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي الامتثال لالتزاماتها الوطنية والدولية بشأن تجارة الأسلحة بموجب الموقف الموحد للاتحاد الأوروبي CFSP 944/2008 والتشريعات المحلية الأوروبية، ووقف جميع عمليات تصدير الأسلحة إلى مصر، والمراجعة الشاملة لآليات الشفافية لضمان المساءلة والمراقبة لعمليات نقل الأسلحة.
2. على برلمانات الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي التي تواصل تصدير الأسلحة إلى مصر على مدى السنوات العشر الماضية، دعم معايير الشفافية من خلال تشكيل هيئات لتقصي الحقائق، والتحقيق في إساءة استخدام هذه الأسلحة واحتمالية استخدامها في انتهاكات حقوق الإنسان في مصر. كما تدعو المنظمات إلى تشكيل آليات للمراقبة، لضمان الشفافية في توريد المعدات العسكرية والمراقبة وتكنولوجيا الاستخدام المزدوج إلى بلدان ثالثة.
3. على البرلمان الأوروبي تشكيل لجنة تحقيق مختصة بموجب المادة 226 من معاهدة عمل الاتحاد الأوروبي (TFEU) للتحقيق في المخالفات للموقف المشترك CFSP 944/2008 من قبل الدول الأعضاء التي تواصل تصدير الأسلحة إلى مصر منذ صدور الموقف المشترك أول مرة.
4. على مجلس الاتحاد الأوروبي تبنّي قرار يقتضي وقف بيع أو نقل أو تصدير الأسلحة، وغيرها من المعدات التي قد تُستخدم في القمع الداخلي، من الدول الأعضاء إلى مصر، في ضوء المخاطر الملموسة التي قد تنطوي عليها، وثبوت استخدامها في انتهاكات حقوق الإنسان.

المنظمات الموقّعة:

1. الأورومتوسطية للحقوق (EuroMed Rights)
2. الجبهة المصرية لحقوق الإنسان (EFHR)
3. الديمقراطية في العالم العربي الآن (DAWN)
4. الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان (FIDH)
5. المنبر المصري لحقوق الإنسان (EHRF)
6. ايجيبت وايد لحقوق الإنسان (EgyptWide)

7. جمعية عنخ (ANKH)
8. لجنة العدالة
9. مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان (CIHRS)
10. مشروع الديمقراطية في الشرق الأوسط (POMED)
11. معهد الأندلس لدراسات التسامح ومناهضة العنف
12. هومينا لحقوق الإنسان والمشاركة المدنية
13. هيومن رايتس ووتش (Human Rights Watch)
14. ACAT-France
15. Archivio Disarmo
16. Asia Pacific Network of Environment Defenders
17. Citizens International
18. CIVICUS – World Alliance for Citizen Participation
19. FFF GOMA
20. FFF MAPA
21. Fridays For Future Chieri
22. Fridays For Future Indonesia
23. Fridays For Future Italia
24. Fridays For Future Lebanon
25. Fridays For Future SWANA
26. International Network of Liberal Women
27. International Service for Human Rights (ISHR)
28. MENA Rights Group
29. National Lawyers' Guild-San Francisco Bay Area chapter
30. New hope for poor
31. Osservatorio permanente sulle armi leggere (OPAL)
32. Progressives for Climate
33. People in Need
34. Refugees' platform in Egypt (RPE)
35. Réseau Ouest Africain des Défenseurs des Droits Humains
36. Sierra Leone School Green Club
37. StationToStation2Agosto
38. Stop Wapenhandel
39. Women's International League for Peace and Freedom (WILPF)

جهة الإصدار: مجموعة من المنظمات الحقوقية.

المصدر: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2023/6/28، شوهد في 2023/6/30، في: https://tinyurl.com/3e33pdap

الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي – الإسرائيلي في المدة 1 أيار/ مايو – 30 حزيران/ يونيو 2023.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.

Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

2023/5/2 كشف تقرير لمنظمة العفو الدولية عن وجود نظام متقدم للتعرف إلى الوجه جرى تركيبه عند نقاط التفتيش في الخليل. ووفقًا للتقرير، يقوم نظام "الذئب الأحمر" بمسح وجوه الفلسطينيين من دون علمهم، وفي حال لم يجْر التعرّف إليهم، تُحفظ معلوماتهم الحيوية تلقائيًا. ودعت المنظمة الشركات العالمية إلى حظر توفير تقنيات المراقبة لـ "إسرائيل" ووقف بيع الأسلحة والمعدّات العسكرية والدفاعية، معتبرةً ما يجري جزءًا من تأسيس نظام الفصل العنصري في الأراضي المحتلة.

(شبكة قدس الإخبارية، 2023/5/2)

2023/5/2 قال نـادي الأسير الفلسطيني إن سلطات الاحـتلال أبلغت الحركة الأسيرة باستشهاد الأسير الشيخ خضر عدنان بعد إضراب عن الطعام استمر 87 يومًا رفضًا لاعتقاله، في حين توعّدت حركة الجهاد الإسلامي التي ينتمي إليها الشهيد بالردّ، وأمر وزير الأمن القومي الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، برفع مستوى التأهب في السجون الإسرائيلية.

(الجزيرة نت، 2023/5/2)

2023/5/2 هاجمت الأجهزة الأمنية الفلسطينية مسيرة في مدينة جنين، انطلقت تنديدًا باغتيال الأسير خضر عدنان، وهو ما اعتبرته "كتيبة جنين" في بيان لها، "عملًا لا يخدم إلا المحتل".

(ألترا فلسطين، 2023/5/2)

2023/5/3 أقدم أسرى في سجن مجدو الإسرائيلي على احتجاز اثنين من عناصر شرطة السجن، داخل إحدى غرف الاعتقال.

(ألترا فلسطين، 2023/5/3)

2023/5/7 رفض الاتحاد الأوروبي استقبال وزير الأمن القومي الإسرائـيلي، إيتمار بن غفير، ممثلًا عن حكومته في احتفالات يوم أوروبا التي تنظمها ممثلية الاتحاد في تل أبيب.

(العربي الجديد، 2023/5/7)

2023/5/7 اعتقلت الأجهزة الأمنية عددًا من الشبان من مخيم الجلزون القريب من رام الله، وذلك بعد أيام من ظهورهم في فيديو أعلنوا فيه انطلاق "كتيبة الجلزون".

(شبكة قدس الإخبارية، 2023/5/7)

2023/5/7 صرّح مسؤولون بأنّ السلطات الإسرائيلية أفرجت عن نائب في البرلمان الأردني بعد نحو أسبوعين على توقيفه، للاشتباه بمحاولته تهريب كميات من الأسلحة من الأردن إلى الضفة الغربية المحتلة. وأكّد جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك) أنّ النائب عماد العدوان الذي لم تحاكمه الدولة العبرية سُلِّم إلى السلطات الأردنية "لمواصلة التحقيق معه واستكمال الإجراءات القانونية". ووفق بيان الشاباك، اعتُقل العدوان عند معبر اللنبي (الملك حسين) الحدودي في 22 نيسان/ أبريل، بعدما عثر الأمن الإسرائيلي في مركبته التي كان يقودها على 12 بندقية و194 مسدسًا. وكشفت التحقيقات أنّ العدوان استغل منذ شباط/ فبراير 2022 جواز سفره الدبلوماسي 12 مرة لتهريب سلع مختلفة إلى إسرائيل، من بينها "طيور وسجائر إلكترونية وذهب".

(سويس إنفو، 2023/5/7)

2023/5/8 طرحت سلطات الاحتلال الإسرائيلي مناقصات جديدة لبناء نحو 1248 وحدة استيطانية في القدس وبيت لحم والخليل ومناطق شمال الضفة. وبحسب المناقصات المنشورة، فإن هذه الوحدات الاستيطانية الجديدة ستتوزع على مستوطنات: بيتار عيليت وإفرات وكريات أربع، ومعالي أفرايم، وكرني شمرون، إلى جانب 89 وحدة في مستوطنة غيلو الواقعة غرب القدس المحتلة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2023/5/8)

2023/5/9 نعت حركة الجهاد الإسلامـي ثلاثة من قادة ذراعها العسكرية "سرايـا القدس" الذين ارتقوا مع عدد من أطفالهم ونسائهم، في القصف الذي نفّذه طيران الاحتلال على منازلهم في قطاع غزة.

(شبكة قدس الإخبارية، 2023/5/9)

2023/5/13 أسفر العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عن ارتقاء 33 شهيدًا، بينهم 6 أطفال و3 نساء، وإصابة نحو 150 مواطنًا غالبيتهم من النساء والأطفال بصورة مباشرة من جراء قصف الطيران الحربي الإسرائيلي للمنازل والمنشآت، إضافةً إلى إصابة الآلاف بحالات الهلع، خاصة الأطفال.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2023/5/13)

2023/5/14 أعلن الأسرى الفلسطينيون في سجون إسرائيل اعتزامهم الإضراب عن الطعام يومًا واحدًا، للمطالبة بالإفراج عن الأسير المريض وليد دقة (60 عامًا)، واحتجاجًا على ممارسات إدارة السجون.

(وكالة الأناضول، 2023/5/14)

2023/5/14 أكّد رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، إسماعيل هنية، أن قوى المقاومة، ومن خلال غرفة العمليات المشتركة، أخذت زمام المبادرة، وأدارت عملية "ثأر الأحرار" وأثبتت قدرتها وعزمها، وأفشلت محاولة العدوّ في فرض معادلات جديدة، سواء عبر الاستفراد بسرايـا القدس أو وضع "إسـفين" بين قوى المقاومة. وشـدد في تصريـح صحافي على أن المقاومة أثبتت أنها واعية وقادرة على التحكم في إيقاع المعركة، وتفويت الفرصة على العدوّ ومنعه من تحقيق أهدافه، مشيرًا إلى أنها فرضت عليه ترحيل مستوطنيه من غلاف غزة واتخاذ إجراءات قاسية في كل مكان وصلته رشقات المقاومة. وبيّن أن "كل

ما سبق صاحبه حركة قيادية شكّلت غطاءً سياسيًا لصمود الشعب الفلسطيني ومقاومته المباركة".

(التلفزيون العربي، 2023/5/14)

2023/5/15 أصدر الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، قرارًا بقانون بشأن إحياء ذكرى النكبة، يتضمّن اعتبار إنكار وقوعها أو التشكيك في مجرياتها جريمةً يُعاقب عليها بالحبس، ويُلاحق مرتكبوها داخل فلسطين وخارجها.

(صحيفة الغد، 2023/5/15)

2023/5/16 فازت "الكتلة الإسلامية"، الـذراع الطلابية لحركة حماس، في انتخابات مجلس الطلبة في جامعة النجاح الوطنية في نابلس شمال الضفة الغربية، أول مرة منذ 16 عامًا؛ أي بعد أحداث الانقسام الفلسطيني.

(العربي الجديد، 2023/5/16)

2023/5/17 أشاد قادة فصائل فلسطينية بمعركة ثأر الأحرار التي أطلقتها الغرفة المشتركة للمقاومة، وقادتها سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، بعد اغتيال الاحتلال الغادر ثلاثة من قادة السرايا مع ذويهم. وجاء ذلك خلال كلمات مقتضبة في مجلس تبريكات بشهداء معركة ثأر الأحرار، نظّمته حركة الجهاد الإسلامي في بيروت، بحضور أمينها العام زياد النخالة، وقيادات القوى والفصائل الفلسطينية.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2023/5/17)

2023/5/17 وجّه مدّعي عام محكمة أمن الدولة الأردنية تهمتين إلى النائب الأردني عماد العدوان، بعدما اعتقله الاحتلال بتهمة تهريب أسلحة، ثم سلّمه للسلطات الأردنية، ليجري رفع الحصانة عنه ومحاكمته. وقال علي المبيضين، محامي العدوان، لوكالة "فرانس برس"، إن التهمة الأولى الموجّهة إلى العدوان هي تصدير أسلحة بقصد الاستعمال على وجهٍ غير مشروع مكررة أربع مرات. أما التهمة الثانية فهي القيام بأعمال من شأنها الإخلال بالنظام العام وتهديد الأمن المجتمعي.

(ألترا فلسطين، 2023/5/17)

2023/5/17 صـدّق الكنيست، في الـقـراءة التمهيدية، على مشروع قانون مـقترح قدّمه العضو ألمـوغ كـوهين، عن حزب عوتسما يهوديت، يقضي بمنع رفع العلم الفلسطيني جماعيًا، وقمع الاحتجاجات وتنفيذ اعتقالات وفرض عقوبة السجن على متظاهرين في حال رفعهم إياه. وأيّد القانون 54 عضو كنيست، مقابل معارضة 16 عضوًا.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2023/5/17)

2023/5/18 تعرّض الأسير المحرر المبعد إلى فرنسا، المحامي صلاح الحموري، لتهجّم عناصر من اللوبي الصهيوني، خلال مشاركته في مؤتمر بمدينة تولوز الفرنسية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2023/5/18)

2023/5/21 أكّد وزير الأمن القومي الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، بعد اقتحامه باحة المسجد الأقصى، أن دخوله للمنطقة "شرعي تمامًا"، وعبّر عن سعادته بذلك.

(سكاي نيوز عربية، 2023/5/21)

2023/5/22 وجّهت الولايات المتحدة وفرنسا انتقادات إلى قرار سلطات الاحتلال الإسرائيلية السماح للمستوطنين بترسيخ وجود دائم لهم في موقع "حومش" الاستيطاني شمال الضفة الغربية المحتلة. وكان قائد القيادة المركزية في جيش الاحتلال الإسرائيلي وقّع أمرًا يتيح للإسرائيليين دخول المنطقة التي يوجد فيها الموقع، ما يمهّد الطريق أمام بناء مستوطنة رسميًا هناك.

(التلفزيون العربي، 2023/5/22)

2023/5/22 أعلن المنتخب العراقي للمبارزة انسحابه من المنافسات الفردية في بطولة العالم بعد أن أوقعته قرعة المنافسة في مواجهة منتخب الاحتلال الإسرائيلي.

(عربي 21، 2023/5/22)

2023/5/23 رصد مركز المعلومات الفلسطيني "معطى" هدم قوات الاحتلال الإسرائيلي 119 منزلًا وشقة سكنية في الضفة الغربية والقدس المحتلتين منذ مطلع عام 2023، منها 9 مساكن تعود ملكيتها إلى عوائل شهداء أو أسرى نفّذوا عمليات ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي

(شبكة قدس الإخبارية، 2023/5/23)

2023/5/25 فازت كتلة الوفاء الإسلامية، ممثلة حركة حماس، بانتخابات مجلس اتحاد الطلبة في جامعة بيرزيت في رام الله وسط الضفة الغربية، بحصولها على 25 مقعدًا (من أصل 51 عدد أعضاء مؤتمر المجلس)، أي بنسبة 49 في المئة، مقابل 20 مقعدًا لكتلة الشهيد ياسر عرفات (حركة فتح)، أي بنسبة 39.2 في المئة، و6 مقاعد لكتلة القطب الطلابي الديمقراطي التقدمي (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)، أي بنسبة 11.67 في المئة.

(العربي الجديد، 2023/5/25)

2023/5/25 أعلن جيش الاحتلال وجهاز الشاباك الإسرائيليان اعتقال المطارد ماهر تركمان في قرية اليامون شمال غرب جنين، بعد 9 أشهر من تنفيذه عملية إطلاق نار على جنود الاحتلال في الأغوار، برفقة نجله (استشهد لاحقًا)، وابن شقيقه.

(ألترا فلسطين، 2023/5/25)

2023/5/26 قال رئيس شعبة العمليات في جيش الاحتلال الإسرائيلي، الجنرال احتياط يسرائيل زيف إن: "إن سقوط السلطة الفلسطينية سيكون له عواقب كارثية، ولن يصبّ أبدًا في مصلحة إسرائيل، وسيجرّ مناطق الضفة إلى حالة فوضى لا تُحمد عقباها، وإلى نشوء سلطة ثانية بديلة، وهو الأمر الذي لا ترغب فيه إسرائيل".

(راديو حياة إف إم، 2023/5/26)

2023/5/27 جدّد "المؤتمر الشعبي الفلسطيني - 14 مليون"، مطالبته بإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية، وإجراء انتخابات للمجلس الوطني، تمثّل جميع الفلسطينيين في كافة أماكن وجودهم. وجاء ذلك خلال اعتصام نظّمه المؤتمر وسط رام الله، بمشاركة عدد من أعضائه وناشطين سياسيين، حملوا لافتات أكّدوا أن المنظمة هي الممثل الشرعي الفلسطيني، وفي الوقت نفسه طالبوا بإصلاحها وإجراء انتخابات لمجلسها الوطني. وقال منسّق المؤتمر عمر عساف لـ "ألترا فلسطين"، إن منظمة التحرير التي بُنيت على دماء الشعب الفلسطيني وتضحياته، يجب أن تعود إلى هذا الشعب وألا تبقى قلة قليلة مستأثرة بها، ومحصورة ومختزلة في شخص الرئيس محمود عباس. وأضاف أنّ "هذه المنظمة تمثّل كل الشعب الفلسطيني الذي يجب أن يشارك في انتخاب قيادته، وبالتالي نطالب اليوم بانتخاب مجلس وطني فلسطيني وبدوره ينتخب قيادة قادرة على أن تكون بمستوى التحديات والتضحيات التي يقدمها الشعب الفلسطيني".

(ألترا فلسطين، 2023/5/27)

2023/5/28 صدّقت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على أكثر من 3 آلاف وحدة استيطانية جديدة في الضفة الغربية والقدس المحتلتين، بحسب رصدٍ وتوثيقٍ من المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية.

(عرب 48، 2023/5/28)

2023/5/30 للمرة 217، أعاد جيش الاحتلال الإسرائيلي هدم قرية العراقيب العربية الواقعة في منطقة النقب.

(التلفزيون العربي، 2023/5/30)

2023/6/2 أعلنت اللجنة الوطنية الفلسطينية للمقاطعة BNC، أكبر تحالف في المجتمع المدني الفلسطيني الذي يقود حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS حول العالم، انتصار حملتها المستمرة منذ سنوات بالشراكة مع النقابات والمنظمات الحقوقية وحركات التضامن عالميًا ضد شركة G4S الأمنية العملاقة.

(النجاح الإخباري، 2023/6/2)

2023/6/5 ظهرت أول صورة للجندي المصري منفذ عملية الحدود بين مصر وإسرائيل التي أسفرت عن مقتل 3 جنود إسرائيليين وإصابة اثنين آخرين، بعد يومين. وتبيّن أنّ اسمه محمد صلاح إبراهيم ويبلغ من العمر 23 عامًا.

(العربية نت، 2023/6/5)

2023/6/5 استدعت النيابة العامة الفلسطينية مستشار الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة "أمان" لشؤون مكافحة الفساد، عزمي الشعيبي، والمدير التنفيذي للائتلاف، عصام حج حسين، للتحقيق، وذلك على خلفية تقرير حول "قضية تبييض تمور المستوطنات".

(العربي الجديد، 2023/6/5)

2023/6/7 حذّر مسؤول فلسطيني من تراجع شعبية حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) التي يترأسها الرئيس محمود عباس، وذلك نظرًا إلى عدم وفائها بالوعود التي قدّمتها للفلسطينيين. وقال نائب رئيس الحركة، محمود العالول، للصحافيين في مدينة رام الله وسط الضفة الغربية المحتلة "أستطيع أن أقرّ بتراجع حضور فتح بين الجماهير"، وأضاف أن "فتح تبنّت خيارات السلام ووعدت الشعب بها ولم تتمكن من تحقيقها، وهذا كان سببًا أساسيًا في تراجع شعبيتها".

(الجزيرة نت، 2023/6/7)

2023/6/14 أظهر استطلاع حديث للرأي، أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، في الفترة 7-11 حزيران/ يونيو 2023 في الضفة الغربية وقطاع غزة، أن 71 في المئة من المستطلعة آراؤهم يؤيدون تشكيل مجموعات مسلحة، مثل عرين الأسود وكتيبة جنين، لا تخضع لأوامر السلطة الفلسطينية وليست جزءًا من قوى الأمن الرسمية. وأبدى 80 في المئة من المستجيبين معارضتهم قيام أفراد المجموعات المسلحة هذه بتسليم أنفسهم وأسلحتهم للسلطة الفلسطينية بزعم حمايتهم من الاغتيالات الإسرائيلية، مقابل 16 في المئة قالوا إنهم يؤيدون ذلك.

(شبكة قدس الإخبارية، 2023/6/14)

2023/6/15 أوضح نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، صالح العاروري، في تصريحات نشرها موقع حركة حماس الرسمي، أن الزيارة الأخيرة التي قام بها وفد قيادي من الحركة للقاهرة جاءت في سياق المشاورات حول القضية الفلسطينية، ونفى أن يكون الطرف المصري قد عرض خلالها "اتفاق تهدئة"، ودعا حركة فتح لبناء استراتيجية وطنية موحدة تشمل كل مسارات المقاومة السياسية والشعبية والمسلحة. وأضاف أن "زيارة قيادة الحركة الأخيرة لمصر جاءت في إطار استمرار المشاورات حول القضية الفلسطينية والمنطقة"، مؤكدًا أن المسؤولين المصريين لم يعرضوا خلالها "اتفاق هدنة"، وقال: "كل ما يشاع عن ذلك لا أساس له من الصحة".

(القدس العربي، 2023/6/15)

2023/6/18 أكدت الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان "ديوان المظالم" أن الأجهزة الأمنية تعتقل حاليًا أكثر من 30 مواطنًا على خلفية سياسية، من بين عشرات المواطنين الذين جرى استدعاؤهم واعتقالهم مؤخرًا، وقد رافق ذلك إساءة معاملة عدد منهم، ومنعهم من الالتقاء بذويهم، إضافةً إلى منع الهيئة من زيارتهم.

(ألترا فلسطين، 2023/6/18)

2023/6/18 قالت مجموعة "محامون من أجل العدالة"، إنها تابعت منذ مطلع حزيران/ يونيو الحالي 20 حالة اعتقالٍ تعسفي نفّذها الأمن الوقائي والمخابرات العامة. وأعقب البيانَ اعتقالُ عناصر أمن بالزي المدني الطالب في جامعة بيرزيت، عبد المجيد ماجد حسن، من رام الله.

(ألترا فلسطين، 2023/6/18)

2023/6/19 أفادت إذاعة "كان ريشت بيت" الإسرائيلية، أن رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، قال ردًا على سؤال طُرح في جلسة مغلقة للجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، عُقدت في الآونة الأخيرة، إن 10 كتائب في جيش الاحتلال تتدرب على سيناريو يحاكي انضمام فلسطينيي الداخل إلى القتال ضد الاحتلال خلال حرب إسرائيلية على عدة جبهات.

(العربي الجديد، 2023/6/19)

2023/6/19 قال نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، صالح العاروري، إنّ المقاومة الفلسطينية في جنين قدّمت اليوم جوابًا واضحًا على "تهديدات العدو المتواصلة" باستهدافها. وأضاف أنّ على الاحتلال الإسرائيلي أن يحسب ألف حساب لأيّ حماقة يفكّر في ارتكابها. واعتبر أنّ التصدي البطولي الذي خاضته المقاومة في جنين ومخيمها هو جواب واضح على تهديدات العدو المتواصلة للضفة. وأشار إلى أنّ المقاومين من كل الفصائل هم محلّ فخر واعتزاز، وأن التضحيات لن تذهب هدرًا.

(ألترا فلسطين، 2023/6/19)

2023/6/20 أدّت عمليات المقاومة المتصاعدة في الضفة الغربية والقدس والداخل المحتل إلى 22 قتيلًا إسرائيليًا و216 جريحًا في صفوف قوات الاحتلال والمستوطنين، وذلك منذ بداية عام 2023. وأفاد مركز المعلومات الفلسطيني "معطى" أنّ 68 عملية وقعت في القدس، وأسفرت عن 12 قتيلًا و56 جريحًا، إضافة إلى 68 عملية أخرى وقعت في نابلس، وأسفرت عن 3 قتلى و65 جريحًا.

(فلسطين أون لاين، 2023/6/20)

2023/6/20 أعلنت الفعاليات الشعبية في الجولان السوري المحتل عن إضراب عام في قرى مجدل شمس وبقعاثا ومسعدة وعين قنيا، ردًا على ممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي "التعسفية والإجرامية"، بحسب ما جاء في بيان صادر عن الأهالي.

(عرب 48، 2023/6/20)

2023/6/26 كشفت وسائل إعلام إسرائيلية عن تصريحات أدلى بها رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، في جلسة مغلقة للجنة الخارجية والأمنية التابعة الكنيست، حول الوضع الفلسطيني وما يتعلق بمستقبل السلطة الفلسطينية، قال فيها إن "إسرائيل في حاجة إلى السلطة الفلسطينية"، في إشارة إلى الاحتياجات الأمنية والسياسية التي يوفرها وجود السلطة في الضفة المحتلة. وذكرت قناة "كان" العبرية أن نتنياهو قال إن دولة الاحتلال "مستعدة لمساعدة السلطة ماليًا"، في ظل الظروف التي تمرّ بها من جراء مصادرة حكومة الاحتلال مبالغ من أموال "المقاصة"، وتراجع حجم المساعدات الدولية والعربية لها. وشدد على مشروعه السياسي وهو "قطع الطريق على تطلعات الفلسطينيين بدولة مستقلة لهم"، من خلال تكثيف البناء الاستيطاني والانتشار العسكري والأمني في الضفة المحتلة. وقال إن دولة الاحتلال "تستعد لمرحلة ما بعد الرئيس محمود عباس".

(شبكة قدس الإخبارية، 2023/6/26)

2023/6/26 ردّ الناطق الرسمي باسم الرئاسة الفلسطينية، نبيل أبو ردينة، على تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بشأن قطع الطريق على الدولة الفلسطينية، مشددًا على أن قيام دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية هو الحل الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار. وتابع أن الدولة الفلسطينية قائمة ومعترفٌ بها من أكثر من 140 دولة، وهي في حاجة فقط إلى زوال الاحتلال لتجسيد استقلالها، وأن الاحتلال واهم إذا ظنّ أن في إمكانه تكريس هذا الاحتلال عبر مواصلة العدوان على الشعب الفلسطيني، وتصعيد سياسة القتل والاستيطان، وسرقة الأرض وغيرها من الأعمال العدوانية المخالفة لقرارات الشرعية الدولية، منها قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2334. وقد دانت وزارة الخارجية والمغتربين الفلسطينية تصريحات نتنياهو، واعتبرتها اعترافًا رسميًا بسياسة الحكومة الإسرائيلية المعادية للسلام، والرافضة لقرارات الشرعية الدولية ولتطبيق مبدأ حل الدولتين، وتأكيدًا جديدًا على غياب شريك السلام الإسرائيلي، واعترافًا بالتخريب الإسرائيلي المتعمّد لكل الاتفاقيات والتفاهمات والجهود الإقليمية والدولية والأميركية المبذولة لاستعادة الأفق السياسي لحلّ الصراع. في حين ردّت حركة حماس على تصريحات نتنياهو، واعتبرتها تأكيدًا مجددًا على وضوح أهداف "الكيان الفاشي القائم على فكرة الإبادة والتطهير العرقي، والاستيطان الإحلالي، بعيدًا عن شعارات السلام المزعوم والزائف".

(العربي الجديد، 2023/6/26)

صـدر حديـثًا

تـأليف: عزمي بشارة

مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **مسألة الدولة: أطروحة في الفلسفة والنظرية والسياقات**، وهو من تأليف الدكتور عزمي بشارة. يتضمن الكتاب أحد عشر فصلًا تتمحور موضوعاتها حول فلسفة الدولة الحديثة ونظريتها ونشأتها، والعقد الاجتماعي في الدول، وفلسفة القانون الهيغلية في ما يخص الدولة، والدولة كعقيدة (كارل شميت)، والعلاقة بين سيادة الدولة الحديثة والمواطَنة، ومسألة شرعية الدولة (ماكس ڤيبر وغيره)، والتفريق بين مفهومَي "الدولة" و"نظام الحكم"، إضافة إلى بحث تحول القومية إلى أمة داخل الدول. ويقع الكتاب في 456 صفحة، شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًا.

مراجعات الكتب

Book Reviews

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/QCMT6106

بسمة أحمد صدقي الدجاني | Basma Ahmad Sedki Dajani*

"التكوين: ترومان واليهود الأميركيون وأصول الصراع العربي – الإسرائيلي"

"Genesis: Truman, American Jews, and the Origins of the Arab/ Israeli Conflict"

عنوان الكتاب في لغته: *Genesis: Truman, American Jews, and the Origins of the Arab/ Israeli Conflict*.

عنوان الكتاب: التكوين: ترومان واليهود الأميركيون وأصول الصراع العربي - الإسرائيلي.

المؤلف: جون ب. جوديس John B. Judis.

سنة النشر: 2014.

الناشر: New York: Farrar, Straus and Giroux.

عدد الصفحات: 488.

* أستاذة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

Professor of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, University of Jordan.
Email: Basma.dajani@gmail.com

مقدمة

من خلال إقـرار مؤلف أميركي يهودي بأثر تمويه الكلمات في قرارات احتلال الأرض العربية وتهجير الفلسطينيين عبر وعد بلفور (2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917)، تبرز أسئلة محورية في خضمّ الأحداث الجارية على أرض فلسطين في هذه الأيام. وبعرض محاور من الفصل الأول لهذا الكتاب المنشور منذ قرابة عقد، تهدف هذه المناقشة إلى إعادة تسليط الضوء على تلك الحقائق التاريخية – المعروفة والمتغاضى عنها - وإبراز قوة سلاح الكلمة والمصطلح دائمًا وأبدًا.

تتناول هذه المناقشة عرض محاور واقتباسات فقرات من كتاب الصحافي الأميركي اليهودي جون ب. جوديس John B. Judis: **التكوين: ترومان واليهود الأميركيون وأصـول الصراع العربي - الإسرائيلي**، مترجمة إلى العربية. يشرح المؤلف في مقدمة كتابه سبب التأليف، ويسرد في الفصل الأول منه الخلفية التاريخية لتكوين الصهاينة، ويبيّن العوامل السياسية لاستيلائهم على الأرض العربية في فلسطين. فيبرز من خلال تلك الوقائع الدور الأساسي لأثر اختيار الكلمات والمصطلحات في تأسيس كيانٍ استعماري بفرض هيمنة عسكرية للحفاظ على مكاسب اقتصادية للقوى الإمبريالية. وينتج من ذاك وعدٌ غامض، يسمح للصهاينة القادمين من دول أوروبية مختلفة بارتكاب مجازر ضد الإنسانية، تؤدي إلى تهجير تعسفي لأبناء أرض فلسطين وأهلها العرب. وبقراءة الكتاب، تنكشف للقارئ الغربي حقائق تساعده في استيعاب دوافع دفاع أبناء الشعب الفلسطيني العربي عن وجودهم، وسعيهم لتحرير وطنهم، بعد ما يزيد على قرن على تلك الوقائع الصعبة التي واجهوها، ويعرضها المؤلف وهو ابن لغة العولمة والثقافة الغربية (أي الإنكليزية) في هذا الكتاب.

أولًا: الكلمة أصل التكوين: دور اللغة في الاستيلاء على فلسطين

1. نستهل العرض بتفسير معاني الكلمات التي اختارها المؤلف عنوانًا لكتابه في معاجم اللغة العربية والإنكليزية:

Genesis[1]:

- Genesis: A Beginning or origin of anything.
- Genesis/ noun: The first book of the old testament recounting the events from the creation of the world to the sojourning of the israelites in Egypt.
- Genesis: n combining form: indicating genesis, development, or generation: biogenesis; parthenogenesis.

2. تعني "تكوين": تركيب وبنية وإنشاء. وكون الشيء: ركبه بالتأليف بين أجزائه. والتكوين عند المتكلمين هو إخراج المعدوم مِن العدم إلى الوجود[2].

Origin[3]: The point or place where something begins, arises, or is derived.

3. معنى "أصول": أسسٌ يقام عليها، أول الشيء ومادته التي يتكون منها أصل الموضوع[4].

Conflict[5]:

- Noun: a fight, battle, or struggle, especially a prolonged struggle; strife. Controversy; quarrel: Conflicts between parties.
- Discord of action, feeling, or effect; antagonism or opposition, as of interests or principles: a conflict of ideas.
- A Striking together; collision. incompatibility or interference, as of one idea, desire, event, or activity with another: a conflict in the schedule.
- Psychiatry. A Mental struggle arising from opposing demands or impulses.

4. تعنى كلمة "صراع": خصومة ومنافسة، نزاع، مشادة. تضارب الأهداف، مما يؤدي إلى الخلاف أو التصارع بين قوتين أو جماعتين[6].

1 "Genesis," *Collins Online Dictionary*, accessed on 27/2/2023, at: https://shorturl.at/brJUW; "Genesis," *Dictionary.com*, accessed on 27/2/2023, at: https://shorturl.at/KXZ67

2 "تعريف ومعنى التكوين"، **معجم المعاني الجامع**، شوهد في 2023/2/27، في: https://t.ly/uAUOe

3 "Origin," *Merriam-Webster*, accessed on 27/3/2023, at: https://shorturl.at/rOR45

4 "تعريف ومعنى الأصل"، **معجم المعاني الجامع**، شوهد في 2023/2/27، في: https://t.ly/OF6O5

5 "Conflict," *Dictionary.com*, accessed on 27/3/2023, at: https://shorturl.at/adgF2

6 "تعريف ومعنى الصراع"، **معجم المعاني الجامع**، شوهد في 2023/7/25، في: https://t.ly/Ruu9X

ثانيًا: بعض محاور النقاش في الكتاب ودراستها

1. أسئلة نبحث عن جوابها في فقرات مقتبسة من الكتاب

هذا كتاب يستحق القراءة، موضوعه موضوع العصر الراهن، ومحتواه نتيجة بحث مستفيض، يبدو صاحبه، من خلاله، ملتزمًا بقواعد المهنة. فالصحافة قائمة على الكلمة وتأثيرها اللفظي وانعكاساتها على جمهورها القارئ والسامع. وبحسب تعريف الصحافة الذي أقره المعهد الأميركي للصحافة API، وأورده بيل كوفاتش Bill Kovach وتوم روزنستيل Tom Rosenstiel في كتابهما **عناصر الصحافة**، وبالنظر إلى غايتها، فإنها تتمثل في تقديم المعلومات التي يحتاج إليها المواطنون ليتمكنوا من اتخاذ أفضل القرارات المتعلقة بحياتهم، ومجموعاتهم ومجتمعاتهم وحكوماتهم[7].

أما صحيفة وعد بلفور، فقد كانت رسالة حملها وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور Arthur Balfour (1848-1930) الإسكتلندي المنبت، معلنًا تأييد بريطانيا لفلسطين يهودية، وجاء فيها: "إن الحكومة ستنظر بعين العطف إلى تأسيس وطنٍ قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وتتعهد بتسهيل تنفيذ الوعد" (ص 78). وعملًا بتحذير حاييم وايزمان (1874-1952)، زعيم الصهاينة البريطانيين، الذي نشأ في موتول وبنسك – وهما قريتان تقعان في ما هي اليوم بيلاروسيا (ص 65) - إلى أعضاء الاتحاد الصهيوني الإنكليزي، انتبهوا إلى عدم الإعلان الصريح فيها (أي صحيفة وعد بلفور) عن تأييدهم لدولة يهودية، على الرغم من أن ذلك هو "هدفهم المثالي الأخير" (ص 77)، "بينما قلق مسؤولون في وزارة الخارجية البريطانية، لأن التصريح لم يذكر الغالبية العربية في فلسطين" (ص 78)، وعندما وافق مجلس وزراء الحرب البريطاني على الوعد، أسرع العقيد سير مارك سايكس (1879-1919 Mark Sykes)، أحد أركان اتفاقية سايكس - بيكو (1916)، إلى تهنئة وايزمان، معلنًا: "دكتور وايزمان، المولود ذكرٌ!" (ص 80).

2. الخرائط ودلالاتها

استهل المؤلف كتابه بخرائط جغرافية لفلسطين؛ الأولى قبل خطة الأمم المتحدة لتقسيمها دولتين في عام 1947، والثانية بعد الخطة في تشرين الثاني/ نوفمبر 1947، والثالثة بعد حرب النكبة وتشريد غالبية أبناء الشعب الفلسطيني واحتلال الأرض العربية في عام 1948، وهدنة عام 1949.

3. أسئلة مناقشتنا تُبنى عليها إجابات وردت في الفصل الأول من الكتاب

السؤال الأول: بماذا أفصح المؤلف في حديثه المستفيض عن تكوين الصهيونية؟

السؤال الثاني: متى تكونت الصهيونية وانطلقت فكرة احتلال الأرض العربية؟

السؤال الثالث: كيف قامت الصهيونية على مزاعم مضللة للواقع؟

الخريطة (1)

فلسطين قبل خطة الأمم المتحدة للتقسيم في عام 1947

7 أيمن عبد الهادي، "عرض كتاب 'عناصر الصحافة: ما الذي ينبغي أن يعرفه الصحفيّون وما الذي ينبغي أن يتوقّعه الجمهور'، لبيل كوفتش وتوم روزنستيل، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2013"، **المجلة العلمية لبحوث الصحافة**، العدد 2 (2015)، ص 465.

الخريطة (2)
خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية/ فلسطينية في تشرين الثاني/ نوفمبر 1947

الخريطة (3)
دولة إسرائيل الجديدة بعد حرب عام 1948 وهدنة عام 1949

ثالثًا: مناقشة تحليلية لمحاور من الكتاب

1. أفصح المؤلف في حديثه المستفيض عن تكوين الصهيونية عن سبب تأليفه الكتاب، قائلًا: "عندما بدأت هذا المشروع، تساءل أصدقاء لماذا لم أكتب كتابًا ينتقد ما تفعله الحكومتان الأميركية والإسرائيلية الآن، وأقدم سياسات بديلة. لا أشك في أن مثل ذلك الكتاب سيكون مفيدًا، إلا أنني لست المؤلف الذي يكتبه، فتلك مهمةٌ لصحافي أو عالِم سياسي عارف تمامًا بالفاعلين المعاصرين الآن" (ص 15). ثم يبيّن الكاتب وجهة نظره، قائلًا: "لا أخط هذا الكتاب من وجهة نظر اليهود، ولا لمصلحتهم. لكنني سألت نفسي، لماذا يقوم شخصٌ كتب بشكلٍ أساسي عن التاريخ السياسي الأميركي والثقافي، وهو يهودي، لكن بلا انتماء ديني لليهودية، بقضاء وقتٍ طويل في الكتابة عن [الرئيس هاري] ترومان Harry S. Truman [1884-1972]، والصهاينة الأميركيين، والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني؟ أصبحت مهتمًا بإسرائيل انطلاقًا من خيبة أملي بوطني في الستينيات، وفي حرب فيتنام. وعندما بدأت حرب الأيام الستة في عام 1967، اتصلتُ

بالقنصلية الإسرائيلية في سان فرانسيسكو للتطوع (كان ذلك متأخرًا جدًّا). إلا أنني بدأتُ أتساءل عن توجه إسرائيل بعد أن احتلت الضفة الغربية وبدأت في استيطانها. كما بدأت أتساءل كذلك عن السياسة الأميركية بعيد سنوات، عندما عملتُ مراسلًا مسؤولًا عن تغطية أخبار الكونغرس، واكتشفتُ مدى خوف السياسيين من معارضة اللوبي الإسرائيلي القوي. هناك علاقات لا يمكن الابتعاد عنها بين كوني يهوديًا وكتابتي لهذا الكتاب. فلأنني يهودي، أهتم بالسياسة الأميركية تجاه إسرائيل، وبالكيفية التي يتصرف بها الإسرائيليون، أكثر مما أهتم أو أقلق بشأن السياسة الأميركية تجاه البرازيل، والكيفية التي يتصرف بها البرازيليون. كما أنني أغضب وأستاء من الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، أكثر من استيائي بشأن احتلال الصين للتيبت، على الرغم من أنني أعتقد أنهما مسألتان متساويتان تقريبًا في الميزان الموضوعي للعدالة" (ص 16).

2. يوضح المؤلف ما توصل إليه نتيجة البحث والدراسة التاريخية، قائلًا: "قبل كتابة هذا الكتاب، عرفتُ عن تاريخ البروتستانتية أكثر إلى حد بعيد من تاريخ اليهودية. لكن من خلال البحث لهذا الكِتاب، اكتشفتُ وجود إرثٍ يهودي سياسي أميركي أستطيع التوافق معه؛ وهو موقف اليهود التجديديين في أواخر القرن التاسع عشر. كان أولئك اليهود قريبين سياسيًا من أنصار بروتستانتيي الإنجيل الاجتماعي Social Gospel الذين كنتُ أعرف عنهم الكثير. أصبح بعضهم صهيونيًا، مثل ستيفن وايز، إلا أن آخرين عارضوا فكرة ثيودور هرتزل [1860–1904] حول الدولة اليهودية. آمن أولئك اليهود التجديديون، من إسحاق ماير وايز Isaac Mayer Wise، إلى جار [الرئيس باراك] أوباما [2009-2017] في شيكاغو، أرنولد وولف Arnold Wolf، بأن دور اليهود ليس في تفضيل اليهود على حساب شعوب أخرى، بل بإضفاء نور النبوءة الأخلاقية على مصلحة جميع الشعوب. ولا أدّعي أنني قد حققتُ دور المتنبئ الأخلاقي، إلا أن ما استلهمتُه من هذا الإرث التجديدي هو فكرة أن يهوديًا أميركيًا يجب أن يكون مهتمًا بحقوق عرب فلسطين، مثلما يهتم بحقوق اليهود الإسرائيليين. لا توجد هذه الفكرة الآن في الكثير مما تسمى المؤسسات المؤيدة لإسرائيل، أو في الكنائس الإنجيلية التي تطالب بالاحتلال اليهودي ليهودا والسامرة، غير أنها وجهة نظري، وهي التي تغذّي هذا التأريخ" (ص 17).

3. وعن أهمية الرؤية التاريخية لاستيعاب الحاضر، يقول المؤلف: "أعتقد أيضًا أن أحد أسباب فشل النقاش حول السياسة الأميركية هو أن الأميركيين تنقصهم الرؤية التاريخية في معالجة الصراع بين اليهود والعرب (ص 15). تغرق المناقشات حول الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني أحيانًا في حوارات 'قال وقالت' عن الوضع الحالي: هل أطلقت حماس الصاروخ قبل أن اغتالت إسرائيل واحدًا مِن قادتها أم بعد؟ هل أطلق آرئيل شارون أم ياسر عرفات الانتفاضة الثانية؟ إلا أن كثيرًا من المناقشات غالبًا ما يوضع في إطار تاريخٍ غير محدد، يبدأ في الماضي البعيد، ثم يقفز مباشرة إلى الحاضر. ويركز المدافعون عن إسرائيل مناقشاتهم إما على ما يذكره الكتاب المقدس من أمورٍ حدثت منذ آلاف السنين، وإما بتذكير المنتقدين بأهوال الهولوكوست. ويبدأ العرب الذين ينتقدون إسرائيل بالحملات الصليبية، أو بمذبحة دير ياسين في نيسان/ أبريل 1948. فمن المهم مقاربة الموضوع من حيث بدأ الصراع فعليًا، ومتابعته من ثم إلى الأمام من تلك اللحظة. فمن أجل فهم شعور عرب فلسطين آنذاك، ولمجرد تقدير ما يجب فعله الآن، يجب الرجوع إلى بدايات نشوء الصهيونية في أوروبـا، والقومية العربية في فلسطين، والصهيونية في الولايات المتحدة الأميركية" (ص 14-15).

4. يربط المؤلف بين الماضي والحاضر، قائلًا: "في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة، طغت اكتشافات - حول الإبادة الجماعية النازية ضد اليهود - كثيرًا على مناقشة إنشاء دولة يهودية، ما صعب على كثيرين مِن الأميركيين فهم الموقف العربي تجاه دولة إسرائيل، وأخذه جديًا في الحسبان، وكذلك مواجهة السياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين في ما بعد جدّيًا. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الحالة ما زالت مستمرةً، وربما على نحو أقوى" (ص 15).

5. وفي ما يخص وعد بلفور، علّق المؤلف على ما قامت عليه رسالة الوعد من وعد أوروبيين، وافق عليه أميركيون، لاستعمار أرض عربية وتهجير أبناء فلسطين ليسكن فيها مواطنو دول عديدة رغبوا فيها، قائلًا: "تأييد رئيس الوزراء البريطاني المحافظ آرثر بلفور وغيره من المسؤولين البريطانيين للصهيونية بديلًا من هجرة اليهود إلى بريطانيا. ففي عام 1905، عندما كان بلفور رئيسًا للوزراء، أيّد بشدة قانون الأجانب الذي كان يهدف إلى تحديد الهجرة اليهودية، بالسماح لمراقبي الموانئ البريطانية بإعادة 'الأجانب غير المرغوب فيهم'. وقد أظهرت مناقشة

بلفور الملتوية في تأييد هذا القانون، رفض معاداة السامية لتبرير معاداة السامية؛ إذ جادل بأنه إذا سُمح لمزيدٍ من اليهود بالدخول إلى بريطانيا، فربما تتبع بريطانيا 'النموذج الشرير من معاداة السامية الذي قدّمته دولٌ أخرى'. واستنكر 'الشرور المؤكدة التي حلّت ببعض أجزاء البلاد بسبب هجرة أجنبية كانت في معظمها يهودية'. 'يبدو أن بلفور قد تصوّر الصهيونية وسيلةً لتحويل تدفق اليهود القادمين إلى بريطانيا من شرق أوروبا إلى فلسطين'" (ص 74).

6. وفي حديثه التاريخي عن ذاك الوعد بالدولة اليهودية، شرح المؤلف كيف "كانت أميركا تغري كثيرين من يهود نطاق الاستيطان الروسي، لكنّ الصهاينة الروس وعدوا اليهود الذين يهاجرون إلى فلسطين، بدلًا من أميركا، بمزيدٍ من السعادة والازدهار. وعندما وجد المهاجرون الفقر والملاريا، رجعوا بخيبة أمل. فاعترض آحاد حعام (نشأ في أوكرانيا، واسمه الأصلي آشر غينسبرغ Asher Ginsberg) أنه كي ينجح الاستيطان، يجب أن يتوقف الصهيونيون عن مناشدة المصلحة الشخصية، بل يجب عليهم أن 'يجعلوا هدفنا الأول هو البعث والنهضة – تحفيز الرجال لارتباطٍ أعمق مع الحياة القومية، وخلق رغبةٍ أكثر حماسة لتحقيق مصلحة الأمة'" (ص 32). وقد عبّر آحاد حعام عن الروابط الروحية والعاطفية للصهيونية بفلسطين، بطريقةٍ أفضل من أيّ شخص آخر قبله أو بعده. وبعكس العديد من زملائه الصهاينة، أدرك مخاطر استيطان أرضٍ يعيش عليها شعبٌ من قومية مختلفة (ودينين مختلفين)" (ص 30).

7. يذكّر المؤلف بعرض العطاء والتخيير من الأراضي المستعمرة، قائلًا: "ذكر بلفور وعد حكومته بتقديم أوغندا للصهيونيين، قائلًا: إن حكومته قد عرضت على العرق اليهودي مساحةً كبيرة من أرض خصبة في ممتلكات بريطانية كي يتخذوها ملجأً من المضطهدين في بلادهم إذا أرادوا ذلك". وكان هرتزل - ابن تاجر أقمشة هنغاري - قد حاول إثارة اهتمام مؤتمر آب/ أغسطس 1903 لقبول عرض وزير المستعمرات البريطاني جوزيف تشمبرلين (1836-1914) بإنشاء وطن مؤقت لليهود في أوغندا، لكن وايزمان كان من أعلى المعارضين صوتًا للعرض، وبقدرته البارعة في الإقناع – بحسب اعتراف بلفور في ما بعد - أقنعه في محادثتهما الأولى بوجوب منح فلسطين لليهود وليس أوغندا (ص 66).

8. وحول المطالبة بأرضٍ لتكوين دولة، يستذكر المؤلف كيف "اقترح ليو بينسكر Leo Pinsker، أحد أول صهيونيّين روسيّين بارزَين (ص 25)[8]، أن على اليهود القضاء على الأشباح بتأسيس أمتهم الحقيقية: "أعطونا استقلالنا، واسمحوا لنا بأن نهتم بأنفسنا، امنحونا قطعة صغيرة من الأرض، مثل أرض الصرب والرومانيين، أعطونا فرصةً لنعيش وجودنا كأمة، ثم تشدّقوا عن افتقادنا لفضائل الرجال! كان حل بينسكر يكمن في عدم مقاومة الخوف من اليهودية. كتب "يجب أن نتخلى عن مواجهة هذه الدوافع العدوانية، كما نفعل في مقابل كل ميل موروثٍ آخر" (ص 26). فعندما وُصِم اليهود بأنهم أمة غريبة، بدلًا من كونهم جماعة دينية، دفعت معاداة السامية الجديدة اليهود إلى التفكير في أنهم إذا كانوا جماعة قومية، فهم يحتاجون إلى أرضهم القومية التي تخصهم. وجعلت المذابح هذه المهمة ضرورةً ملحة. وفي عام 1882 "نشر بينسكر كتاب **الانعتاق الذاتي** الذي ألهم الحركة الصهيونية في روسيا، حيث كانت ولادته في بولندا الروسية، وكان ابنًا لعالمٍ بارز في اللغة العبرية. تدرب طبيبًا في جامعة موسكو، ومارس الطب في أوديسا، وكرّمه القيصر نيقولاس الأول لأنه عالج الجنود في حرب القرم" (ص 25).

9. وفي حديثه عن الصهيونية ضمن إطار سياسات أوروبا الاستعمارية، يقول المؤلف: "احتاج الأمر إلى يهودي نمساوي (ص 34)[9]، هو ثيودور هرتزل، لوضع الصهيونية في أولويات السياسة الأوروبية، ففعل، ووضع الصهيونية ضمن الإطار السائد للسياسات الأوروبية الاستعمارية" (ص 34). وبمهارته في "كتابة مسرحيات ومقالات صحافية، اتّبع كثيرون من الصهاينة مذهبه في كتابه **الدولة اليهودية**، وعادوا إلى نوعية المنطق ذاته الذي قدّمته القوى العظمى في محاولاتها نشر سيطرتها على آسيا وأفريقيا، والذي استخدمته أوروبا المسيحية، والأصوليون المسيحيون، والصليبيون قبلهم، في تبرير احتلال فلسطين. وعدوا باسترجاعِ فلسطين إلى دين الكتاب المقدس وتمدِين العرب وإحياء الأرض التي ادّعوا أن العرب قد أهملوها حتى أصبحت أرضًا جرداء. يُرجع معظم زعماء الأميركيين الصهاينة أصول أفكارهم إلى هرتزل، وليس إلى آحاد حعام، وسيتبنّون فهمًا محرّفًا لفلسطين وسكانها العرب" (ص 22).

10. وعودة إلى مكانة الصحافة وتأثير كلمات من يشتغل فيها، فقد ذكر جون جوديس أن: "هرتزل اشتغل مراسلًا في باريس

8 "كان أوّل صهيونيّين روسيّين بارزين؛ موشيه ليب ليلينبلوم Mushe Leib Lilienblum وليو بينسكر، وأصبحا صهيونيين في بداية المذابح" (ص 25).

9 "كان هرتزل ابن تاجر أقمشة هنغاري ناجح، انتقل والداه إلى فيينا عندما كان في الثامنة عشرة من عمره" (ص 34).

لصالح أهم صحيفة ليبرالية في فيينا، **صحيفة الحرة الجديدة** *Neue Freie Presse* في عام 1891" (ص 34، 35).

11. وحول ميثاق الحركة الجديدة ودور الاقتصاد وشركات الأعمال والمال في تأسيس الدولة اليهودية، أشار المؤلف إلى ما كتبه المؤرخ كارل شورشكي Carl Schorske عن هرتزل أنه كان: "النموذج التام للمثقف الليبرالي، وقد توصل إلى مقاربته الإبداعية للمسألة اليهودية، ليس بالانغماس في التقاليد اليهودية، بل من خلال جهوده الضائعة في محاولة تركها" (ص 36)[10]. في عام 1895، كتب هرتزل خطابًا إلى مجلس عائلة روتشيلد Rothschilds يسألهم المساعدة في تأسيس دولة يهودية. في السنة التالية، طور الخطاب إلى كتاب صغير، بعنوان **الدولة اليهودية**، وقد أصبح ميثاق الحركة الصهيونية الجديدة. وباستخدام هذا الكتاب منطلقًا أساسيًا، جُمِع أول مؤتمر في السنة التالية للمنظمة الصهيونية العالمية في بازل" (ص 36).

12. وعن تكوّن الصهيونية وانطلاق فكرة احتلال الأرض العربية، يشير المؤلف إلى أن كتابه "يـروي قصة سنوات ترومان، إلّا أنه ينطلق من تسعينيات القرن التاسع عشر مع وصول الهجرات الصهيونية الأولى من نطاق الاستيطان الروسي Pale of Settlement (ص 15)[11] إلى فلسطين، ومع تأسيس اتحاد الصهيونيين الأميركيين في عام 1898. ويتابع الكتاب قصة الصهيونية الأوروبية والأميركية وقصة القومية العربية الفلسطينية حتى نيسان/ أبريل 1945 عندما وجد ترومان نفسه يستلم الرئاسة بعد وفاة فرانكلين روزفلت" (ص 15).

13. ثم يسلط المؤلف الضوء على ما يأمله من جهده في هذا الكتاب، قائلًا: "ويدور هذا الكتاب أساسًا حول ما يمكن الأميركيين تعلّمه من فشل إدارة ترومان في حل الصراع بين الصهيونية والقومية العربية" (ص 16).

14. ويستفتح المؤلف حديثه بتأثير مصالح السياسة الأميركية واللعب بورقة الانتخابات الرئاسية، مستذكرًا أنه "في الثامن من أيلول/ سبتمبر 1948، كان هاري ترومان غارقًا في بحرٍ من المتاعب. فهو يخوض غمار انتخاباتٍ رئاسية توقّع أن يخسرها؛ بينما الاتحاد السوفياتي يحاصر برلين. أما في الشرق الأوسط، فتدور حرب بين إسرائيل وخمس دول عربية من جيرانها. وفي ذلك الصباح، كان وفد من المحاربين القدماء الأميركيين اليهود برئاسة العميد الجنرال جوليوس كلاين Julius Klein، أول زوار ترومان في البيت الأبيض. وفاجأ كلاين الرئيس بتقديم لائحة طويلة من المطالب تتعلق بدولة إسرائيل الجديدة، شملت إنهاء حظر السلاح الذي فرضته الولايات المتحدة على جميع الأطراف المتحاربة، ومنح إسرائيل قرضًا قيمته مئة مليون دولار لمساعدتها على توطين مهاجرين من مخيمات النازحين في أوروبا، إضافة إلى مناصرة عضوية إسرائيل في الأمم المتحدة" (ص 9).

15. وعن الرئيس الأميركي الذي اختاره المؤلف في عنوان كتابه، قال: "لمح ترومان إلى توصيات اللجنة الأنكلو-أميركية التي صدرت في ربيع 1946، إضافة إلى الخطة التي تفاوض عليها الأميركي هنري غرادي Henry Grady والمسؤول البريطاني هربرت موريسون Herbert Morrison لتنفيذ التوصيات، حيث دعت اللجنة إلى السماح لمئة ألف يهودي مِن الناجين مِن خطة هتلر النهائية [الحل النهائي للقضاء على اليهود]، الذين تقطعت بهم السبل في مخيمات النازحين، بالهجرة إلى فلسطين. غير أن الخطة أوصت كذلك بتنظيم فلسطين دولةً فدرالية، حيث لا تكون عربية ولا يهودية. وقد انتمى ترومان إلى الحزب الديمقراطي على نسق الرئيس جيفرسون الذي رفض فكرة الدولة الدينية؛ إذ إن ديانات الدولة كانت سبب قرونٍ من الحروب في أوروبا. فلم يعتقد أن دولةً يجب أن تُعرف بشعبٍ معيّن أو عِرق أو دين. وعلى النقيض من كون ترومان صهيونيًا مسيحيًا، فقد كان له تحفظات جدية بشأن المشروع الصهيوني لتأسيس دولةٍ يهودية، مثلما ذكر لقادةٍ صهاينة مرارًا خلال السنة الأولى من رئاسته. وقد أشرف بنفسه على عمل غرادي في تطوير التوصيات بشأن فلسطين فدرالية. لم يكن ترومان غير متعاطف مع يهود أوروبا الذين فُقِد منهم ستة ملايين في حل هتلر النهائي، والذين مُنعوا آنذاك من الهجرة إلى أوروبا الغربية، أو إلى الولايات المتحدة عبر قوانين هجرة شديدة القسوة. أثار ترومان استياء البريطانيين وعرب فلسطين بإصراره على أنه يجب السماح للناجين من الهولوكوست بالهجرة إلى فلسطين. إلّا أنه أدرك كذلك أن الحركة الصهيونية الأوروبية التي بدأت في أواخر القرن التاسع

10 Carl E. Schorske, *Fin-de-Siècle Vienna: Politics and Culture* (New York: Vintage, 1981), p. 146.

11 أنشئ نطاق الاستيطان الروسي بموجب مرسوم إمبراطوري، وكان ذلك الجزء من الإمبراطورية الروسية الذي كان مطلوبًا من السكان اليهود الروس أن يعيشوا ويعملوا فيه أكثر من 130 عامًا بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن العشرين.

عشر، كانت تسعى لإنشاء دولة يهودية في أرضٍ عاش عليها شعبٌ آخر، شكّل فيها غالبية كبيرة على مدى 1400 عام. لم يعرف ترومان تفاصيل هذا التاريخ كلها، إلّا أنه عرف منه ما يكفي كي يخشى من أن إنشاء دولةٍ يسيطر فيها إما اليهود وإما العرب، ستؤدي بالضرورة إلى الحرب والظلم. لذا، سعى لإنشاء دولةٍ بترتيباتٍ فدرالية ربما تُرضي طموحات الشعبين. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1947، وفي حين كانت الأمم المتحدة تناقش التقسيم، انحاز ترومان إلى تقسيمٍ لفلسطين يمنح العرب الذين كانوا يشكّلون ثلثَي السكان آنذاك، حصة كبرى متناسبة من الأرض. وبعد حروب عام 1948، فضّل عقد اتفاقية سلامٍ بين إسرائيل والدول العربية تُعيد على الأقل الأربعين في المئة من فلسطين التي كانت الأمم المتحدة قد خصصتها للعرب، وتسمح لكثيرين من الـ 700000 لاجئ عربي أبعدتهم الحرب بالعودة إلى بيوتهم. إلّا أنه خسر كل مواجهة مع الحركة الصهيونية الأميركية القوية التي كانت تعمل جنبًا إلى جنب مع الوكالة اليهودية في فلسطين، ثم مع الحكومة الإسرائيلية في ما بعد. وفي نهاية الأمر، استولت الدولة اليهودية على نحو ثمانين في المئة من فلسطين، وتشتّت عرب فلسطين، وحُرموا من دولةٍ لهم. وحصل يهود أوروبا على حقوقٍ على حساب عرب فلسطين" (ص 9-12).

16. وعن قيام الصهيونية على مزاعم مضلّلة للواقع، يروي المؤلف الأحداث التاريخية، موضحًا: "في تشرين الأول/ أكتوبر 1915، كتب هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر – وبتعليماتٍ من لندن - إلى الشريف حسين بن علي، الزعيم الفخري للمنطقة العربية السعودية، بوعدٍ في حال قيام الثاني بتحريك القوى العربية لمصلحة البريطانيين، ستدعم بريطانيا استقلال العرب [من الحكم العثماني] في المناطق كلها ضمن الحدود التي طالب بها شريف مكة (رسالة مكماهون إلى شريف مكة في 24 تشرين الأول/ أكتوبر 1915). وقد اعتقد مكماهون أن كلماته كانت غامضة بدرجةٍ كافية لتحفيز العرب في الطريق الصحيحة [من وجهة نظره] 'من دون تقييد أيدينا'" (ص 72).

17. وبكلمات صريحة، يصوغ الكاتب خطط الصهاينة الأميركيين بنقل الفلسطينيين أصحاب الأرض إلى البلاد المحيطة بفلسطين، قائلًا: "على الرغم من دعوة الرئيس الأميركي الأسبق وودرو ويلسون Woodrow Wilson (1856-1924) إلى حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها، فإنهم تجاهلوا حقوق عرب فلسطين عندما تعلّق الأمر بفلسطين. وفي العقود الأولى للحركة، أكد الصهاينة الأميركيون أن اليهود كانوا يهاجرون إلى أرضٍ جرداء أو صحراء غير مأهولة، وفي ما بعد، عندما أصبح واضحًا أن عربًا كانوا يعيشون هناك من قبل، أصرّ الصهاينية على أن هؤلاء العرب الذين كانوا يستطيعون تتبع سلسلة أجدادهم في فلسطين حتى عام 638م، يمكن نقلهم بسهولة إلى الأردن أو العراق أو سورية" (ص 12-13).

18. وعن موقف الرئيس الأميركي ترومان والبعد الأخلاقي، يقول المؤلف: "كان ترومان ليبراليًا حقيقيًا يحمل هواجس أخلاقية بشأن الصهيونية. كما كان آخر رئيسٍ يعبّر عنها. ومنذ ترومان، حاول كل رئيسٍ أميركي تقريبًا إيجاد طريقة لتحسين أوضاع عرب فلسطين، من خلال الضغط على إسرائيل للسماح بعودة اللاجئين ومحاولة تشجيع الإسرائيليين في ما بعد على الانسحاب من الضفة الغربية المحتلة، والسماح لعرب فلسطين بإنشاء دولةٍ لهم. ومع ذلك، عانى خلفاء ترومان الفشل نفسه بوجه عام. وقد انطلقوا من قناعة أخلاقية واستراتيجية بأن شيئًا ما يجب أن يعمل لتصحيح وضع الفلسطينيين، إلّا أنهم استسلموا تحت ضغطٍ لا هوادة فيه من جهة مؤيدي إسرائيل (وبعد عام 1948، من الحكومة الإسرائيلية نفسها). وقد بدأ هذا النمط من الاستسلام لإسرائيل ومؤيديها في سنوات ترومان. تغيّر اللاعبون؛ إذ تُسمي الحركة الصهيونية نفسها الآن حركة 'تأييد إسرائيل'، ولم تعد القضية وجود دولة يهودية، إنما هل يجب أن توجد دولةٌ فلسطينية أيضًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل يجب أن تكون الدولة الفلسطينية أكثر من تلالٍ قليلة جرداء تتخللها نقاط تفتيشٍ وحواجز أمنية؟" (ص 13-14).

19. يُورد المؤلف إحصاءات تاريخية جغرافية عن واقع تلك الفترة، قائلًا: "في منتصف القرن التاسع عشر، كانت الضفة الغربية (لنهر الأردن) جزءًا من ولاية سورية، وكان شمال فلسطين جزءًا من ولاية بيروت، وكانت للقدس وما حولها منطقتها الخاصة. وبحسب أحد التقديرات، سكن في منطقة فلسطين نحو 340000 شخص، منهم 300000 مسلم أو درزي، أي 88 في المئة، و27000 مسيحي، أي 8 في المئة، و13000 يهودي، أي 4 في المئة (فقط)[12]. عاش كثيرون من أولئك اليهود في

12 Justin McCarthy, *The Population of Palestine: Population History and Statistics of the Late Ottoman Period and the Mandate* (New York: Columbia University Press, 1990).

القدس ونابلس والخليل. وكانت الأحوال المالية جيدة لدى قلة منهم من نسل مهاجرين السفارديم من إسبانيا، إلّا أن معظمهم كان مهاجرًا جديدًا من أوروبا، كرّس نفسه للدراسات الدينية والتعبّد، وعاش على تبرعاتٍ من الخارج" (ص 19). ولتقرأ المجتمعات الغربية الأوروبية والأميركية ما خطّه المؤلف، قائلًا: "ولم يكن هنالك ما يشبه موجة العداء للسامية التي ستكتسح أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر. فقد كتب المؤرخ يوسف غورني Yosef Gorny: "تمتع اليهود بوضعٍ أفضل في المجتمع المسلم، ونعموا بألفةٍ أكثر مع ثقافة بيئتهم، مقارنةً بيهود أوروبا الشرقية"[13] (ص 20).

20. يُكمل المؤلف في حديثه عن الصهيونية: هرتزل وآحاد حعام وغوردون، قائلًا: "كان هنالك وجودٌ غربي قليل أيضًا في المنطقة. وكان الأميركيون منشغلين بالحرب الأهلية وتوابعها، وكانت القوى الأوروبية العظمى قد بدأت بتقاسم آسيا وأفريقيا. اهتم البريطانيون بالتحالف مع الأتراك ضد الروس، وكانوا على وشك تأسيس وجودهم في مصر، وبدؤوا في الاهتمام بفلسطين وما حولها لتكون ممرًا نحو الشرق، إلّا أنهم لم يكونوا قد فعلوا أيّ شيء بهذا الشأن، ولن يفعلوا ذلك حتى نهاية ذلك القرن. وقد ساد اعتقاد في أوساط حاخامات وشخصيات مسيحية بارزة في أوروبا والولايات المتحدة بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين. وأُطلق على هؤلاء المسيحيين 'المجددون أو الإصلاحيون Restorationists'، وتمكّنوا من الحصول على تأييدٍ لآرائهم بين كبار المسؤولين في بريطانيا الذين فكّروا بفلسطين يهودية من وجهة نظر تجارية أو إمبريالية. إلّا أن معظم اليهود قبِلوا بالشتات حالةً مستدامة. فكّر اليهود الأرثوذكس في أن اليهود سيعودون إلى صهيون في النهاية، إنما بفعلٍ مسيحاني ربّاني، وليس بهجرةٍ جماعية منظمة. رفع اليهود شعار 'السنة القادمة في القدس' في أثناء عشاء عيد الفصح كل عام، إلّا أن قلةً منهم فقط كانت تقصد هذه الكلمات حرفيًا" (ص 20).

21. يستمر المؤلف أيضًا في سرد وقائع تاريخية، قائلًا: "وعلى مدى الأربعين سنة التالية - من ثمانينيات القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وأوائل عشرينيات القرن العشرين – تحولت المنطقة تمامًا. حُلّت الإمبراطورية العثمانية ضحيةً لتحالف تركيا مع ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. وسيطرت بريطانيا على فلسطين بفضل انتدابٍ من عصبة الأمم! وكانت فلسطين منطقةً ضمّت في البداية ما أصبح منطقة شرق الأردن، ثم الأردن في ما بعد، إلّا أن بريطانيا أدارت المنطقتين على نحو منفصل. ونتيجةً لذلك، أصبحت المنطقة الغربية من الانتداب، التي كانت تدار من القدس، تسمّى فلسطين من جديد، وهو الاسم الذي كان الرومان قد أطلقوه على المنطقة، وكانت له جذورٌ تاريخية أقدم في أهل البحر الذين كان اسمُهم الفلستيين Philistines الذين عاصروا يهود العهد القديم. وبحلول عام 1922، ازداد عدد سكان فلسطين إلى 752048 نسمة، بحسب إحصاءٍ بريطاني، كان منهم 83900 يهودي، أي 11 في المئة. وتضاعف عدد اليهود في فلسطين سبع مرات بدفعٍ لنشوء حركةٍ صهيونية في أوروبا وتطورها، خاصة في نطاق الاستيطان الروسي الذي نشأ استجابةً لنموٍ متزامن في المشاعر القومية والمعادية للسامية في أوروبا الوسطى والغربية. كانت الصهيونية حركةً قومية يهودية، غير أنها تختلف عن القومية الألمانية أو الرومانية، بأنها لم تتركز حول وطنٍ موجود، بل على أرضٍ سكنها اليهود من قبل، وأرادوا استرجاعها الآن" (ص 21).

22. يشرح المؤلّف، صراحةً، منطق الصهيونية في حل مشكلة اليهود على حساب العرب، قائلًا: "كان المنطق المعلن للصهيونية لا تشوبه شائبة. عاش اليهود مئات السنين مع الأمم الأوروبية التي كانت تُعاملهم كأمة تعيش بينهم. طالب السياسيون والمثقفون القوميون في أوروبا الوسطى والشرقية بتنظيف بلادهم من هذه الأمة الغريبة. وفي ردّ على ذلك، أراد اليهود وطنًا حقيقيًا لهم، يستطيعون العيش فيه بأمانٍ من الاضطهاد والقهر. ظهرت المشكلة عندما حدد الصهاينة المكان الذي يريدون إنشاء دولتهم فيه. فقبل ألفَي سنة، سكن معظم اليهود في فلسطين، وما زالت بضعة آلاف منهم تعيش فيها. إلّا أن أقوامًا آخرين عاشوا في فلسطين على مر تلك السنين، وعاش العرب فيها 1400 عام. إذا كان هدف الصهيونية تأسيس دولة يهودية في فلسطين، فهذا يعني السيطرة على العرب الذين كانوا يعيشون هناك، أو طردهم" (ص 21).

23. وفي استرجاع للخطوات المبكّرة والمُهيّئة للأسباب، يذكّر المؤلف أن "نابليون دعا إلى إنشاء دولة يهودية خلال حملته الشرقية

13 Yosef Gorny, *Zionism and the Arabs 1882-1948: A Study of Ideology* (New York: Oxford University Press, 1987).

في عام 1799. وفي أوائل القرن التاسع عشر، قام مسؤولون بريطانيون، بزعامة الإحيائي المسيحي اللورد شافتسبري Lord Shaftesbury [1801-1885]، بدعوة بريطانيا إلى تأييد عودة اليهود إلى الأرض المقدسة. ومع حلول منتصف القرن، كانت هنالك حركة بين المثقفين اليهود. ففي ستينيات القرن التاسع عشر، دعا الاشتراكي الألماني موسى هس Moses Hess [1812-1875]، وهو رفيق سابق لكارل ماركس، والحاخام البولوني زفي هيرش كاليشر Zvi Hirsch Kalischer، وقد أُعجب كلاهما بعمقٍ بحركة النهضة الإيطالية للوحدة القومية 'إيل ريزورجيمنتو Il Risorgimento'،إلى إنشاءٍ تدرّجي لدولةٍ يهودية. لكن كان على ولادة حركةٍ صهيونية وبدء الهجرة أن يتأخرا حتى ثمانينيات القرن التاسع عشر، وإلى ما بعد انفجار العداء للسامية في روسيا وأوروبا الشرقية، وانتشاره نحو الغرب. فحوّل ذلك اليهودية الصهيونية من حلمٍ ديني إلى حركةٍ سياسية" (ص 22).

24. ثم يتناول المؤلف ما أدت إليه حركات النضال والاستقلال والدعوة إلى القوميات، قائلًا: "في القرن التاسع عشر، ناضل الإيطاليون والهنغاريون لتحرير أنفسهم من الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية، وسعى الرومانيون وغيرهم من شعوب البلقان للتحرر من الإمبراطورية العثمانية، والبولنديون من الإمبراطورية الروسية، والألمان من آل هابسبرغ ومن إرثِ هزيمتهم في حروب نابليون، ورسموا مجال آمالهم القومية ضمن حدودٍ إثنية وشبه عرقية قادتهم إلى اعتبار اليهود أمةً غريبة. كتب يوهان غوتليب فيخته Johann Gottlieb Fichte، أبو القومية الألمانية، أن الألمان هم أفراد عِرقٍ 'ضمت الطبيعة بعضهم إلى بعض في مجموعةٍ من الروابط الخفية'، ووصف اليهود بأنهم 'دولة ضمن دولة'. وفي النمسا وروسيا، استند مدافعون عن الإمبراطورية إلى نسختهم الخاصة من القومية ضد الانفصاليين، وضد اليهود الذين وجّهوا إليهم اللوم في حدوث الاضطرابات؛ فأسّس جورج ريتر فون شونرر George Ritter von Schönerer في النمسا حركةً ألمانية شاملة، استندت إلى أنه يجب على النمسا أن تخلّص نفسها من النفوذ اليهودي[14]. وفي روسيا، أقسم المئات السود The Black Hundreds يمين الولاء للقيصر والحكم الروسي المطلق، بينما كانوا يقومون بهجومٍ عنيف على اليهود" (ص 23-24).

25. وحول التزمّت الديني والتعصب القومي في أوروبا، يوضح المؤلف أن "مزيج التزمت الديني، والتعصب القومي، مع الذي سمّاه الصهيوني الروسي بينسكر 'الشيطنة'، ألهم إصدار قوانين جديدة هددت معيشة اليهود، وأدت إلى سلسلة من المذابح العنيفة في روسيا، وفي النطاق الاستيطاني الروسي – الطرف الغربي من الإمبراطورية الروسية الذي حصر النظام القيصري اليهود فيه. وفي ربيع 1881، تفجرت أعمال شغبٍ هائلة ضد اليهود في ردة فعلٍ على إشاعاتٍ كاذبة بأن اليهود قد اغتالوا القيصر ألكسندر الثاني. فقُتِل يهودٌ في هذه الاضطرابات، ودُمرت بيوتٌ ودور عبادة، وانتشر الشغب في 160 مدينة وقرية في نطاقِ الاستيطان الروسي، وتكرر ذلك على مدى أربعة عقود. وفي شرق أوروبا وجنوبها، نشطت حركاتٌ قومية سعيًا للتحرر من الحكم النمساوي أو الحكم التركي، وتوجهت بعنفٍ ضد اليهود. وفي وسط أوروبا وغربها، حيث لم يعد اليهود محصورين في أحياء خاصة، نشأت حركات وأحزاب معادية للسامية، مثل الحزب النمساوي المسيحي الاشتراكي بزعامة كارل لوغر Karl Lueger، وحزب أدولف شتوكر Adolf Stoecker الذي حمل الاسم نفسه في ألمانيا. ووجهت هذه الأحزاب غضبها نحو اليهود الأقل والأوفر حظًا، وأثارت مخاوف من أن المهاجرين اليهود الفقراء من روسيا وشرق أوروبا ينشئون أحياء يهودية جديدة خاصة، وفي الوقت نفسه لامت اليهود الناجحين الأثرياء الذين عاشوا أجيالًا في ألمانيا والنمسا، وتمتعوا بمراتب عليا في المهن والحكومة ووسائل الإعلام. وطالبت تلك الأحزاب بتحديد الهجرة، وبوضع حصصٍ محددة لليهود في المهن والجامعات. وفي فرنسا، تصاعدت معاداة السامية في ثمانينيات القرن التاسع عشر وتسعينياته، حتى وصلت إلى أقصاها في تلفيق التّهم ومحاكمة وإدانة الضابط اليهودي ألفرد دريفوس Alfred Dreyfus بتهمة الخيانة" (ص 24-25).

"أيد بينسكر أولًا اندماج اليهود، أو 'جعلهم من الروس' من خلال استخدام اللغة الروسية وتعلّم الثقافة الروسية. وكان عضوًا قائدًا في جمعية نشر الثقافة بين اليهود في روسيا. إلّا أن المذابح دفعته في اتجاه الصهيونية، فاستقال من جمعية نشر

14 Robert S. Wistrich, "George von Schoenerer and the Genesis of Modern Austrian Anti- Semitism," in: Herbert Strauss Walter (ed.), *Hostages of Modernization: Studies on Modern Antisemitism, 1870-1933/ 39* (Berlin: Walter de Gruyter, 1993).

الثقافة. وبحسبه، فإن المشكلة اليهودية تكمن في 'الأمم التي يعيش بينها اليهود'، فقد كان اليهود 'شبح' أمة بدلًا من كونهم أمة حقيقية. حتى بعد أن غادروا فلسطين، فقد عاشوا روحيًا كأمة، لكنهم افتقدوا إلى الصفة القومية المميزة التي تكون متأصلة في الأمم كلها، وتتشكل هذه الصفة من خلال العيش المشترك في دولة واحدة" (ص 24، 25). وقد أدى ذلك إلى ما سماه بينسكر "الخوف مِن اليهودية Judeophobia". وإذا كان "الخوف من الأشباح أمرًا فطريًا، وله ما يبرره في حياة البشر النفسية، فليس من المستغرب بثّ مثل هذا التأثير عند مواجهة أمة ميّتة ما زالت على قيد الحياة" (ص 26).

اقتنع بينسكر بأن الخوف من اليهودية لا يمكن تجنّبه ما دام اليهود متفرّقين أجسامًا غريبة وسط أمم أخرى. وكتب أن "هذا أمر موروث مثل حالة نفسية شاذة، ومثل مرض انتقل على مرّ ألفَي سنة، ولا علاج له". وكتب موشيه ليب ليلينبلوم Moshe Leib Lilienblum في عام 1883 بتشاؤمٍ مماثل: "الحضارة التي تستطيع إخراجنا فعلًا من هذا الاضطهاد القائم على أسسٍ دينية، لا تستطيع أن تفعل لنا شيئًا أمام الاضطهاد القائم على أسس قومية" (ص 26).

26. وعمّا ترتب على أحداث أوروبا نقرأ في الكتاب الذي بين أيدينا أن "فون شونرر Von Schönerer دعا إلى تحديد هجرة اليهود من روسيا وبولندا إلى النمسا. وتبعه في ذلك حزب لوغر Lueger النمساوي المسيحي الاشتراكي باتخاذ موقفٍ معادٍ للسامية في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر. ويذكر هرتزل في مذكراته أنه انزعج من كتاب يوجين دهرينغ Eugen Duehring المعادي للسامية، الذي صدر في عام 1881". ويقول المؤلف: "كتب هرتزل 'وخزني السؤال وشدّني على مرّ السنين التالية'"[15]. لكن عندما انتقل هرتزل إلى باريس في عام 1891، ظن أنه لن يواجه معاداة السامية التي بدأت تشتدّ في وسط أوروبا. نظر اليهود الأوروبيون إلى فرنسا باعتبارها رائدة التحرير. توقع موسى هس في كتابه **روما والقدس** أن "فرنسا هي الصديق المحبوب والمنقذ الذي سيعيد شعبنا إلى مكانته في تاريخ العالم" (ص 35، 36). إلّا أن هرتزل اكتشف أن فرنسا لم تكن منيعة ضد عدوى معاداة السامية. وبعد مدة وجيزة من وصول هرتزل لاستلام عمله، بدأت الصحف الفرنسية تكتب في عناوينها الرئيسة عن فضيحة فسادٍ تحيط بإنشاء قناة بنما. تورط فيها يهوديان ألمانيان تورطًا هامشيًا، إلّا أنهما حملا العبء الأكبر من اللوم. ثم تبع ذلك قضية دريفوس التي شهد خلالها هرتزل مظاهرات في الشوارع تصرخ "الموت لليهود" (ص 36).

27. وباستخدام الكلمات الدالة على المواقف السياسية ووصف المطالبة بفرصة على أساس كونها مغامرة، نقرأ في الكتاب كيف: "فكّر بينسكر في أن فلسطين هي المكان المناسب لإنشاء دولة يهودية، غير أنه لم يستدعِ الملكية اليهودية على أساسٍ توراتي". وأضاف: "الهدف من مغامرتنا الحالية يجب ألّا يكون 'الأرض المقدسة'، بل أرضًا لنا" (ص 194).

"كان ليلينبلوم أكثر ميلًا إلى ادّعاء ملكية قديمة، وتساءل: "لماذا نكون غرباء في دولٍ غريبة، بينما أرض آبائنا لم تختفِ عن سطح الأرض، وما زالت مهجورة، وتستطيع مع ما حولها من جِوار أن تستوعب شعبنا؟"[16]. ويفسر المؤلف السؤال: "سؤال ليلينبلوم، وهو في حقيقته تأكيدٌ، يقع في قلب المناقشات الصهيونية الأولى. وفي حين تجنبت قلةٌ من اليهود العلمانيين، مثل بينسكر، الادعاءات التلمودية في ملكية فلسطين، فإن معظم الصهاينة لم يفعلوا ذلك – وشمل ذلك صهاينة علمانيين، مثل الشاب البولندي ديفيد بن غوريون. اعتبر الصهاينة فلسطين أرض اليهود التي طردهم الرومان منها ظلمًا في القرنين الأول والثاني، والتي لهم الحق الكامل في العودة إليها ليؤكدوا ملكيتهم لها. واستند مفهوم الصهيونية هذا، المترسخ في العهد القديم، إلى صورةٍ متخيلة عن فلسطين" (ص 27).

28. ومما ورد في الكتاب، تأكيدًا على أهمية اختيار المصطلحات المعلنة: "افترض ليلينبلوم الذي لم ترَ عيناه يومًا فلسطين، أنه إذا كان على اليهود استعادة فلسطين، فسيكتشفون أرضًا 'قاحلة' تم 'هجرها'. وللمفردة 'قاحلة' معنيان: فلسطين غير المسكونة (ومن ثم مفتوحة للاستيطان)، وأن من سكنوها قد أهملوها وهجروها (ومن ثم لا يستحقون سكناها أو امتلاكها). يبدو أن ليلينبلوم استخدم اصطلاح 'مهجورة' على نحو أساسي كي يوحي بعدم وجود سكان، على الرغم من أنه في عام 1880، كان في فلسطين 500000 من السكان" (ص 28). وتخللت فكرة

15 Theodor Herzl, *The Diaries of Theodor Herzl*, Marvin Lowenthal (ed.) (New York: Grosset & Dunlop, 1962), p. 4.

16 Moshe Leib Lilienblum, "The Path to Repentance," in: Anita Shapira, *Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881 - 1948* (Palo Alto, CA: Stanford University Press, 1999), p. 40.

فلسطين المهجورة هذه الفكر الصهيوني الأولي. وفي هذا الصدد، كتب المؤرخة أنيتا شابيرا Anita Shapira: "ارتبط مفهوم العودة ارتباطًا وثيقًا بمفهوم آخر هو أن الأرض كانت مهجورة تتلهف بانتظار عودة اليهود واستقرارهم فيها" (ص 28). و"تبقى الحقيقة هي أن فلسطين صغيرة، وليست فارغة"[17] (ص 18). ونقرأ أمثلة يستحضرها المؤلف عن اتّباع القوى الاستعمارية أسلوبًا متكررًا في اختيار كلمات واصفة للأرض الهدف مغايرة للواقع، قائلًا: "أسلوب التفكير هذا كان شائعًا بين الأوروبيين الذين انطلقوا لاستعمار أراضٍ لم يكن سكانها مسيحيين، وكانوا على مستوى أقل في التطور الاقتصادي. في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وصف المستعمِرون البريطانيون أميركا الشمالية بأنها 'أرضٌ يـبـاب'"[18] (ص 28). وفي عام 1702، وصف التطهيري كوتن ماثر Cotton Mather الهجرة إلى إنكلترا الجديدة New England بأنها "آلافٌ من التجديديين يُبحرون للسكنى في صحراء أميركية"[19]. اعتبر البريطانيون أفريقيا وجزر الإنديز الغربية "فارِغة"، ومن ثم مفتوحة للاستغلال الغربي" (ص 28-29).

29. يستحضر المؤلف حقيقة تطبيق ذاك الأسلوب على احتلال أرض فلسطين العربية، قائلًا: "عند تطبيق مبدأ الفراغ أو اليباب على 'الأرض المقدسة' في فلسطين، جعل ذلك الفهم السكان العرب غير مرئيين فعليًا. وكان هذا المفهوم وراء قوة الدفع في كتابات المسيحيين الصهاينة، وعلماء الكتاب المقدّس، وكتاب الرحلات عن فلسطين في أوائل القرن التاسع عشر. فمثلًا، كتب أحد العلماء البريطانيين عن فلسطين في عام 1838 أنها "كأس الغضب والخراب التي صبّتها يد الله على فلسطين حتى الثمالة، وهي تقبع حزينةً وحيدةً في الظلام والغبار"[20]. وبعد خمسين سنة، ستكرر حركةٌ صهيونيةٌ صاعدة هذه المفاهيم، وتعِد بأنها ستجلب السعادة والنور إلى أرضٍ مهجورة مهملة. فبدأ البارون إدموند جيمس دى روتشيلد Baron Edmund James de Rothschild في الاستثمار – نحو ستة ملايين دولار بين عامي 1884 و1890 – في مستوطنات في فلسطين. وفي عام 1890، تمكنت جمعية أحباء صهيون من كسب اعتراف السلطات الروسية بتقديم نفسها بوصفها جماعة دعمٍ لعائلات المهاجرين. كانت السلطات الروسية سعيدة بترخيص جماعةٍ تشجّع على هجرة اليهود. وفي عامي 1890 و1891، غادر ثلاثة آلاف يهودي روسي وروماني إلى فلسطين" (ص 29).

30. لا يزال اتباع الطريق الخطأ خطأً بعد خمسة وسبعين عامًا، حيث يذكر المؤلف ما يوضّح إدراك حعام المشكلة التي سيواجهها اليهود بدايةً: "كتب آحاد حعام أولى مقالاته الرئيسة في عام 1888، تحت عنوان 'الطريق الخطأ'، منتقدًا الاستراتيجية الاستيطانية لجمعية أحباء صهيون. وتمسّك بآراء قوية ومثيرة للجدل، عبّر عنها بلغة عبرية واضحة، سرعان ما جعلته مشهورًا بين الصهاينة الروس. وكان تشبيه مفهوم آحاد حعام عن المركز الروحي بنوعٍ مِن الفاتيكان اليهودي، غير أن مركزه الروحي ليس دينيًا محضًا أو ثيوقراطيًا، بل كان ثقافيًا وإثنيًا. كانت إشارات آحاد حعام إلى الدولة اليهودية قليلة، ويطغى عليها دائمًا تقديمه لفلسطين بوصفها مركزًا روحيًا. وأحد أسباب ذلك هو أنه اعتقد أن تأسيس مركز روحي هو ضرورة تسبق تأسيس دولة يهودية. فإذا أنشأ اليهود دولةً من دون أن يشكّلوا قاعدةً روحية لها، فإنهم سيخلقون ببساطة مشكلة لهم في بلدٍ لم يتكون حتى تاريخه، في أرض أجدادنا" (ص 30-32).

31. وعن الرحلة الاستكشافية التي كشفت مغايرة الافتراضات الشائعة، يحكي المؤلف: "في عام 1891، أرسلت جمعية أحباء صهيون آحاد حعام لدراسة الوضع هناك. وكان ما اكتشفه مغايرًا للافتراضات الشائعة عن فلسطين. فكتب عن رحلتِه: اعتدنا في الخارج أن نعتقد أن أرض إسرائيل مهجورة تمامًا الآن، صحراء قاحلة، وأن أيّ شخص يريد شراء أرضٍ هناك يستطيع أن يأتي ويشتري ما يشاء. إنما الحقيقة ليست كذلك. في كامل البلاد، من الصعب أن تجد أرضًا قابلة للفلاحة غير محروثة [...] إذا جاء الوقت الذي تتطور فيه معيشة شعبنا، إلى درجة التعدي على السكان المحليين، فلن يسلّموا أرضهم بسهولة" (ص 33). وكان "إدراك آحاد حعام أن العرب كانوا

17 Judah L. Magnes, "Toward Peace in Palestine," *Foreign Affairs*, vol. 21, no. 2 (1943).

18 Patricia Seed, "Imagining a Waste Land; or Why Indians Vanish," in: Patricia Seed, *American Pentimento: The Invention of Indians and the Pursuit of Riches* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2001).

19 Cotton Mather, *Magnalia Christi Americana; or The Ecclesiastical History of New England* (Hartford, CT: Silas Andrus & Son, 1858), نقلًا عن:
Giles B. Gunn, *New World Metaphysics: Readings on the Religious Meaning of the American Experience* (New York: Oxford University Press, 1981), p. 84.

20 E. Robinson & E. Smith, *Biblical Researches in Palestine, and in the Adjacent Regions: A Journal of Travels in the Year 1838*, vol. II (London: John Murray, 1841), p. 81.

يعيشون في فلسطين – ويطمحون إلى تكوين أمتهم – ساهم في تأكيده ضرورة إنشاء مركزٍ روحي، وليس دولة. وفي حين نمت المستوطنات اليهودية – وردّ عرب فلسطين بغضبٍ، ثم بعنفٍ، على أن دولة يهودية ربما تضطهدهم – حاول آحاد حعام خلق صهيونيةٍ تستوعب القومية العربية، ودعا إلى دولة تستطيع فيها كلتا القوميتين، اليهودية والعربية، العيش جنبًا إلى جنب" (ص 33-34). "وفي عام 1893، زار آحاد حعام فلسطين مرة ثانية. وتبنّى هذا الموقف أول مندوبٍ سامٍ في فلسطين، هربرت صاموئيل، كما تبنّته فئة صغيرة من المهاجرين البارزين، مثل مارتن بوبر Martin Buber وجودا ماغنس Judah Magnes وغيرهما، التي هاجرت إلى فلسطين وأسست في ما بعد الجامعة العبرية. إلّا أن معظم زعماء الصهاينة رفضوا هذا الموقف أصلًا" (ص 33-34). وفي هذا السياق، تُبرز أهمية البدء في تأسيس جامعة عبرية في فلسطين العربية دور التعليم العالي في نشر الأفكار الأيديولوجية.

خاتمة

نختم الحديث عن محاور من كتاب **التكوين: ترومان واليهود الأميركيون وأصول الصراع العربي – الإسرائيلي**، بربط الحاضر بالماضي، بكلمات المؤلف جوديس جون نفسه، حيث يتحدّث عن الاستثمار السياسي الإمبريالي: "مارك سايكس نائب في وزارة الدفاع، مسؤوليته السياسة في الشرق الأوسط، هو اللاعب الثالث المهم في المسرحية مع بلفور ولويد جورج رئيس الوزراء البريطاني في وزارة الائتلاف في كانون الأول/ ديسمبر 1916" (ص 74). وحول قدرته على الإقناع، ذكر مساعده ليوبولد آمري Leolold Amery ذلك، قائلًا: "سرعان ما أقنعني سايكس بأنه من أجل وجهة النظر البريطانية الخالصة، فإن وجود مجتمع يهودي مزدهر في فلسطين، يعتمد في ولادته وفرصته في التطور على السياسة البريطانية، ربما يكون استثمارًا لا يقدّر بثمنٍ في الدفاع عن قناة السويس ضد هجمات من الشمال، ومحطةً على الطرق الجوية نحو الشرق في المستقبل" (ص 75).

المراجع

العربية

عبد الهادي، أيمن. "عرض كتاب 'عناصر الصحافة: ما الذي ينبغي أن يعرفه الصحفيّون وما الذي ينبغي أن يتوقّعه الجمهور'، لبيل كوفتش وتوم روزنستيل، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2013". **المجلة العلمية لبحوث الصحافة**. العدد 2 (2015).

الأجنبية

Gorny, Yosef. *Zionism and the Arabs 1882-1948: A Study of Ideology*. New York: Oxford University Press, 1987.

Gunn, Giles B. *New World Metaphysics: Readings on the Religious Meaning of the American Experience*. New York: Oxford University Press, 1981.

Herzl, Theodor. *The Diaries of Theodor Herzl*. Marvin Lowenthal (ed.). New York: Grosset & Dunlop, 1962.

Magnes, Judah L. "Toward Peace in Palestine." *Foreign Affairs*. vol. 21, no. 2 (1943).

Mather, Cotton. *Magnalia Christi Americana; or The Ecclesiastical History of New England*. Hartford, CT: Silas Andrus & Son, 1858.

McCarthy, Justin. *The Population of Palestine: Population History and Statistics of the Late Ottoman Period and the Mandate*. New York: Columbia University Press, 1990.

Robinson, E. & E. Smith. *Biblical Researches in Palestine and in the Adjacent Regions: A Journal of Travels in the Year 1838*. London: John Murray, 1841.

Schorske, Carl E. *Fin-de-Siècle Vienna: Politics and Culture*. New York: Vintage, 1981.

Seed, Patricia. *American Pentimento: The Invention of Indians and the Pursuit of Riches*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 2001.

Shapira, Anita. *Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881 - 19*48. Palo Alto, CA: Stanford University Press, 1999.

Walter, Herbert Strauss (ed.). *Hostages of Modernization: Studies on Modern Antisemitism, 1870-1933/ 39*. Berlin: Walter de Gruyter, 1993.

صـدر حديـثًا

تـأليف: إيف سينتومير
تـرجمة: جورج كتورة
مراجعة: جان جبور

الديمقراطية المستحيلة؟ السياسة والحداثة عند فيبر وهبرماس

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن سلسلة "ترجمان"، كتاب **الديمقراطية المستحيلة؟ السياسة والحداثة عند فيبر وهبرماس** *La démocratie impossible? Politique et modernité chez Weber et Habermas*، وهو من تأليف إيف سينتومير. ترجم الكتاب إلى العربية جورج كتورة وراجعه جان جبور، وهو يقع في 544 صفحة، شاملةً ببليوغرافيا وفهرسًا عامًّا.

المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/ILRC9229

أسماء بن مشيرح | Asma Benmechirah*

"صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك: إعادة تخيل الخريطة الاستراتيجية لآسيا"

"The Struggle between Great Power in the Indo-Pacific: Reimagining the Strategic Map of Asia" by Abdelkader Dendenne

عنوان الكتاب: صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك: إعادة تخيل الخريطة الاستراتيجية لآسيا.

المؤلف: عبد القادر دندن.

سنة النشر: 2023.

الناشر: الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات.

عدد الصفحات: 306.

* أستاذة العلاقات الدولية وباحثة في الشؤون الآسيوية، قسم العلوم السياسية، جامعة تيزي وزو، الجزائر.
Professor of International Relations and Researcher in Asian Affairs, Department of Political Science, Tizi-ouzou University, Algeria.
Email : asmabenmechirah@gmail.com

مقدمة

يعرف النظام الدولي دينامية كبيرة تشكّلها قضايا التعاون والتنافس بين الدول، التي من خلالها تظهر المصالح المختلفة والمتناقضة، وفق ما طرحه هانز مورغنثاو Hans Morgenthau، في أشكال المصلحة الوطنية للدول، التي تُعدّ المحرك الرئيس لسياساتها الخارجية. وتظهر هذه الدينامية في محاولات القوى كسب نفوذ في الفضاءات الجيوستراتيجية المختلفة، التي أصبحت غير مرتبطة بما نظّرت له النظريات الجيوبوليتيكية خلال القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، وانتقل الاهتمام الاستراتيجي للقوى الكبرى من مناطق المركز والقلب - كما أشار إلى ذلك رواد النظريات الماكيندرية والأرضية - إلى مناطق صُنّفت على أنها هوامش وأطراف. ورافق هذا الاهتمام انتقال مركز القوة/ التنافس من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، وظهرت منطقة آسيا والمحيط الهادي "آسيا الباسيفيك" Asia Pacific ثم بعدها منطقة "الهندوباسيفيك" التي أصبح فيها التنافس بين القوى الكبرى مفتوحًا على المحيطين الهندي والهادي.

يطرح كتاب **صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك: إعادة تخيل الخريطة الاستراتيجية لآسيا**، لمؤلفه عبد القادر دندن، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة عنابة في الجزائر، والباحث المتخصص في الشؤون الآسيوية، فكرة إعادة تخيّل الفضاءات الجغرافية، التي تتعدى الحدود والخصائص الطبيعية للخرائط، لتخضع لديناميات معقّدة مرتبطة بمصالح القوى الكبرى واستراتيجياتها، وأيضًا بالتفاعل الجيوستراتيجي بينها بما يشكّل ترتيبات أمنية واقتصادية جديدة، وهو الطرح الذي يتماشى تمامًا مع مستجدات التحولات في خريطة التفاعلات العالمية.

أهمية الكتاب

تنطلق أهمية الكتاب من حيوية النطاق الجيوستراتيجي الذي يدرسه، وهو منطقة الهندوباسيفيك، الناجمة عن عملية إعادة تخيّل الفضاءات الجغرافية ومنحها صبغة استراتيجية تتناسب ومساهماتها في التفاعلات الدولية، وكذلك من الفرص التي يقدّمها هذا التخيّل لنطاقات جغرافية معيّنة، والتي تطرح أشكالًا متعددة، ومتغيّرة في الوقت ذاته، للخريطة الجيوبوليتيكية في آسيا، ما يمكّن من معرفة كيفية توزيع القوة وإعادة توزيعها، نتيجة التفاعلات التي ستكون بين الرباعي الاستراتيجي كما يسميه المؤلف، ويقصد به الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأستراليا والهند من جهة، وهي الدول المؤيدة لهذا التوجه الجيوستراتيجي الجديد، والصين من جهة أخرى بوصفها قوة معارضة لهذا التوجه ومنافِسة لذلك التحالف.

أضف إلى ذلك إلى ذلك الأهمية الجيوبوليتيكية للمنطقة التي من الممكن أن تحدّد مستقبل توزيع القوة العالمي عمومًا؛ ذلك أن الثقل الاستراتيجي للفواعل المتنافسة هناك سيجعل هذه التفاعلات الإقليمية أكثر تأثيرًا في بنية النظام الدولي.

وبهذا، يهدف الكتاب إلى الإحاطة بمفهوم الهندوباسيفيك وتطوره وعلاقته بالخرائط الذهنية والمتخيلة، واستراتيجيات القوى الكبرى في المنطقة، وكيفية تفاعلها والآليات التي تستعملها للوصول إلى مصالحها المتعارضة، إضافةً إلى رصد التحولات التي يشهدها هذا الفضاء في ظل العبور التجاري والطاقوي الكثيف، وكيفية استجابات هذه القوى للتغيرات الجيوستراتيجية الإقليمية والدولية الراهنة. ولعل أهم هدف أراد المؤلف الوصول إليه من خلال موضوع الكتاب هو سدّ الثغرة المعرفية في الدراسات الاستراتيجية العربية، التي يحتاج فيها هذا الموضوع إلى دراسات أكاديمية أكثر تفصيلًا وتحليلًا وعمقًا. فقد انكفأت الدراسات العربية أساسًا في التحليل الاستراتيجي والأمني على دراسة منطقة الشرق الأوسط وفق اعتبارات جغرافية، وارتباط هذه المنطقة بتفاعلات الدول العربية.

ولأن التجاذبات الحالية في النظام الدولي تفرض نوعًا من الاصطفاف، الذي لا يكون إلا بحساب المزايا والفرص التي يمكن تحقيقها نتيجةً لصراع القوى الكبرى، تنطلق إشكالية الكتاب من مدى تأثير استحداث مفهوم الهندوباسيفيك وتبنّيه في الأمن والاستقرار الإقليميَين والدوليَين، حيث يأتي هذا المفهوم في سياق استراتيجي يؤسس لعلاقات تنافسٍ بين القوى التي تبنّته والدول الأخرى التي ترى نفسها معرّضة للاحتواء، خاصة الصين، في ظل الاستراتيجيات الأميركية التي خُصّصت لمنطقة الهندوباسيفيك، بما فيها استقطاب القوى الصغرى في المنطقة.

أطروحات الكتاب وفصوله

توزّع مضمون الكتاب على ستة فصول متسلسلة ومترابطة، انطلاقًا من الإشكاليات المفاهيمية والتطور التاريخي، وصولًا إلى السيناريوهات المستقبلية، على النحو التالي:

يحاول الفصل الأول ضبط مفهوم الهندوباسيفيك وخلفياته المعرفية والتاريخية، حيث يطرح صعوبة تحديد المناطق الجغرافية التي تصنّف ضمن الخرائط الذهنية Mental Maps، أو الفضاءات المتخيلة Imagined Spaces، ومن بينها منطقة الهندوباسيفيك، التي يجري إدراكها بوصفها منطقة جيوستراتيجية من خلال عملية التخيّل (ص 17) بعيدًا عن الإدراك الجغرافي الجيولوجي المحض

والإدراك السياسي الذي يقسّم العالم إلى قارات ودول. ويُستشهد هنا بتعريف توماس ويلكين Thomas Wilkins وجاي كيم Jiye Kim للهندوباسيفيك بأنه "تشكيل لخريطة ذهنية جديدة، عبر عوامل دافعة سياسية وأيديولوجية، للوصول إلى رؤية مشتركة حول نظام الأمن الإقليمي" (ص 18). وفي هذا السياق، جرى توضيح العلاقة بين الجغرافيا والقوة، حيث ارتبطت جغرافيا العالم بكيفية توزيع القوة ونتائج الحروب وتقسيماتها الجديدة للفضاءات الجغرافية.

ومن حيث المسار الجينيالوجي للمفهوم، فقد أشار المؤلف إلى بدء استخدام مصطلح الهندوباسيفيك أول مرة مع رائد المدرسة الألمانية للجيوبوليتيك كارل هاوسهوفر Karl Haushofer في عام 1920، الذي أكد أفضلية وحدة المحيطَين الهندي والهادي على فصلهما في تحليل التفاعلات الإقليمية في كل فضاء على حدة، ووضع الصين والهند بوصفهما قوتين تعطيان الثقل الاستراتيجي للمنطقة (ص 23). إلى جانب إسهامات نيكولاس سبيكمان Nicholas Speakman وألفريد ماهان Alfred Mahan التي ركّزت على القوة البحرية، وضرورة التحكم في المحيطين الهندي والهادي من خلال تعزيز القدرات البحرية والانتشار فيهما، وصولًا إلى توظيف المفهوم في الخطابات السياسية المعاصرة، انطلاقًا من خطاب رئيس وزراء اليابان الراحل شينزو آبي أمام البرلمان الهندي في عام 2007، وانتهاءً بتبنّي هذا المفهوم في تقرير استراتيجية الأمن القومي الأميركية في عام 2017 (ص 23-29).

ثم ينتقل المؤلف إلى عوامل تبلور الهوية والبنية الجيوبوليتيكيتين والجيو-اقتصادية للهندوباسيفيك (ص 30-55)، حيث أشار إلى كيفية تبلور المصطلح الذي سبقه مصطلح آخر هو "آسيا الباسيفيك"، وذكر الفوارق الموجودة بين مصطلحَي آسيا الباسيفيك والهندوباسيفيك من حيث الامتداد الجغرافي، والطبيعة الاقتصادية للمفهوم الأول مقابل الأبعاد الثلاثة الاقتصادية والأمنية والاستراتيجية للمفهوم الثاني، إضافة إلى اختلاف ثانٍ يتمثل في دور الهند التي لا تعتبر قوة ضمن فضاء آسيا الباسيفيك، لكنها مكوّن استراتيجي مهم في تفاعلات منطقة الهندوباسيفيك. ليخلص إلى كون التحول من آسيا الباسيفيك إلى الهندوباسيفيك علامة فارقة في التطورات الجيوستراتيجية العالمية، خاصة مع أهمية المنطقة وميزاتها الفريدة طبيعيًا وتجاريًا واستراتيجيًا.

ينتقل الفصل الثاني إلى تحليل مقاربة الرباعي الاستراتيجي لمنطقة الهندوباسيفيك، التي ترتكز على زيادة النفوذ البحري، وتأمين خطوط النقل الدولية في مواجهة الصعود الصيني في المحيطين. وينطلق من تحليل المقاربة الأميركية التي بدأت مع سياسة "التحول إلى آسيا" (ص59) مع جورج بوش الابن على نحو حذر، لتكون نقطة التحول في المقاربة الأميركية للهندوباسيفيك مع مجيء الرئيس دونالد ترامب، الذي كانت إدارته أول من استعمل مصطلح الهندوباسيفيك في الوثائق الرسمية في عام 2017، مع وضع استراتيجية للأمن القومي الأميركي في المنطقة (ص63)، ترتكز على مواجهة النفوذ الصيني، وتعزيز الشراكات مع حلفائها في آسيا. وتعزّزت هذه الاستراتيجية أكثر مع إدارة جو بايدن، بحسب المؤلف، من خلال تفعيل المنتدى الرباعي الأمني (كواد) The Quadrilateral Security Dialogue, QUAD، واتفاق أوكوس AUKUS الذي يجمعها مع بريطانيا وأستراليا.

في هذا السياق، أكد روبرت كابلان Robert Kaplan أن الولايات المتحدة ستعطي الأولوية لمنطقة آسيا والمحيطين الهندي والهادي بوصفهما منطقتين مهمتين منذ عام 2010، إذ بعد أن كان التركيز على البحر الأبيض المتوسط باعتباره مركز ثقلٍ للقوى الأوروبية خلال القرن العشرين، سيصبح المحيط الهندي مركزًا للتنافس الاستراتيجي بين القوى الإقليمية والعالمية: الولايات المتحدة، والصين الهند واليابان التي تزيد من استعراض قدراتها البحرية العسكرية في المنطقة[1].

ثم يشير المؤلف في هذا الفصل إلى استراتيجية اليابان التي انطلقت من تصور شينزو آبي، الذي يُعدّ أول من أحيا هذا المفهوم في الوقت الحاضر، في خطابه التاريخي أمام البرلمان الهندي في عام 2007، بدعوته إلى توسيع آسيا بما يضمن مشاركة أوسع للولايات المتحدة وأستراليا في منطقة الهندوباسيفيك، التي تتشكّل من هويات متقاربة تؤسّس لأنظمة ديمقراطية (الهند واليابان)، إضافة إلى أمننة التهديدات وتأمين خطوط النقل البحري والممرات البحرية، وضبط الاستقرار الإقليمي (ص 71-73).

ثم ينتقل إلى القوة الثالثة ضمن الرباعي الاستراتيجي وهي أستراليا، التي تعتبر أول متبنٍّ لمفهوم الهندوباسيفيك في وثائقها الرسمية في التاريخ المعاصر، من خلال توظيفها في ورقة الدفاع الأسترالية لعام 2013، التي دعت إلى إقامة "منطقة هندوباسيفيك مفتوحة ومزدهرة" (ص80)، مع اعتبار كل من الولايات المتحدة والهند واليابان وكوريا الجنوبية وإندونيسيا شركاء وحلفاء إقليميين، والموازنة بين البعدين الجيو-اقتصادي والجيوبوليتيكي.

أما الهند، فقد تناول المؤلف استراتيجيتها انطلاقًا من موقعها الجغرافي المنفتح على المحيط الهندي، وقد ظهرت على نحو أوضح في عهد رئيس وزرائها نارندرا مودي، صاحب المبادئ السبعة لتصور الهند

1 Muhammad Saeed, "From the Asia-Pacific to the Indo-Pacific: Expanding Sino-US Strategic Competition," *China Quarterly of International Strategic Studies*, vol. 3, no. 4 (2017), p. 502.

لمنطقة الهندوباسيفيك (ص 91)، ومن أهمها الانفتاح الاقتصادي، وأهمية الشراكة مع رابطة دول جنوب شرق آسيا "آسيان" ASEAN. وقد توازى ذلك مع تغيير الهند لعقيدتها البحرية لتبلغ غرب المحيط الهادي، ولتصطدم مباشرة بالمصالح المتعارضة مع الصين.

أما الفصل الثالث فيناقش الرؤية المضادة، وهي رؤية الصين للهندوباسيفيك، ويبدأ بالتغيّر الحاصل في تصورها الاستراتيجي للمفهوم، الذي انتقل من اللامبالاة إلى التوجّس والحذر؛ فقد أصرت الصين على مواصلة استعمال مصطلح آسيا الباسيفيك، وترى أن وجودها في هذه المنطقة عقلاني، وأن الوجود الأميركي هو سبب كل التوترات في المنطقة، وأن زيادة توظيف مفهوم الهندوباسيفيك يدخل ضمن استراتيجية أميركية كبرى لاحتوائها (ص 105-108).

ويبرز المؤلف في هذا الفصل بإسهاب أهم الرهانات والتحديات الرئيسة للصين في منطقة الهندوباسيفيك، التي تأتي تايوان في مقدمتها، إضافة إلى كيفية بسط سيطرتها على بحر الصين الجنوبي، واستمرار نزاعاتها مع اليابان حول جزرٍ في بحر الصين الشرقي. وتواجه الصين أيضًا "مأزق ملقا" (ص 125) الذي يعتبر أهم الممرات البحرية لإمدادات النفط، والذي تحاول تأمينه منعًا لأيّ اضطرابات، ومحاولتها حماية مصالحها البحرية في المحيط الهندي، مع التوسع البحري للهند خارج خليج البنغال، واستمرار حضور القوات الأميركية في المنطقة.

خُصص الفصل الرابع لتحليل الترتيبات الأمنية والاقتصادية للرباعي الاستراتيجي، وكان أولها الجانب الاقتصادي الذي ميّزته الدعوة إلى جعل هذه المنطقة حرة ومفتوحة، لحماية حركة التجارة العالمية وواردات النفط، والتنسيق بينها في المشاريع الاقتصادية في المنطقة. وثانيها تبني إطار العمل الاقتصادي للهندوباسيفيك من أجل الازدهـار، الـذي يضم دولًا أخـرى إلى جانب الحلفاء الأربعة، وعلى رأسها دول آسيان، إلى جانب المبادرات التنموية الاقتصادية الأخـرى كرابطة الـدول المطلة على المحيط الهندي Indian Ocean Rim Association, IORA، واتفاق الشراكة الإقليمية الاقتصادية الشاملة Regional Comprehensive Economic Partnership, RCEP (ص 170). وفي الجانب الأمني، يطرح الفصل المشاريع المشتركة بين الـدول الأربـع، كالحوارات والمنتديات الأمنية، مثل منتدى الحوار الأمني الرباعي (كواد)، وحوار شنغريلا المتعدد الأطراف، والتدريبات والمناورات العسكرية المشتركة مثل مناورات مالابار. وترى الصين في منتدى كواد تحديًا كبيرًا أمام توسيع نفوذها في الهندوباسيفيك، في ظل رغبة دول أخرى في الانضمام إليه (كواد بلس) (ص 173)؛ وهو المنتدى الأمني الذي يراه كثيرون خطوة نحو تأسيس "ناتو آسيوي"، إضافة إلى اتفاق أوكوس الثلاثي، ويتضمن شراكة أمنية وتزويد أستراليا بغواصات نووية، لأن واشنطن ترى أن لكانبيرا دورًا مركزيًا في استراتيجيتها لاحتواء الصين.

يحلل الفصل الخامس استجابة الـصين لترتيبات دول الرباعي الاستراتيجي، التي تتضمن في شقها الاقتصادي مبادرة الحزام والطريق، التي توفر لها طريقًا بحريًا مهمًا عبر موانئ ومضائق بحرية في الهندوباسيفيك، من خلال طريق الحرير البحري للقرن الحادي والعشرين.

أما أمنيًا، فيناقش الفصل باستفاضة استراتيجية الصين في تحديث قدراتها العسكرية، خاصة البحرية، وأهمية ذلك في تأمين طرق نقل السلع ومصادر الطاقة من المحيطين الهندي والهادي إليها، وضمان الوجود في مضيقي تايوان وملقا، إضافة إلى التخوّف من نشاط القوى الأربع ضمن منتدى كواد. وفي هذا الإطار، تستمر الصين في تتبع "استراتيجية سلسلة الجزر" (ص 237) التي تضمن وجودها البحري في العديد من الجزر في بحر الصين الجنوبي وبحر الفلبين والمحيط الهادي.

أما النقطة الثالثة ضمن الاستراتيجية الكبرى للصين في الهندوباسيفيك فهي "الاستجابة الدبلوماسية"، فيتناول الفصل الأدوات الدبلوماسية التي تنتهجها الصين لتحسين صورتها وكسب حلفاء جدد في المنطقة، وتوطيد علاقاتها بحلفائها التقليديين هناك، التي تحركها المصالح المشتركة والسلمية التي تروج لها، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، ودعوتها "لمصير مشترك للبشرية" (ص 252).

في الختام، يحاول المؤلف تقديم تصورات مستقبلية لصراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك، فيقدّم في السيناريو الصراعي مجموعةً من المـؤشرات الدافعة نحو التصادم، من بينها تنامي القوة الاقتصادية والعسكرية الصينية، وتزايد التوترات والنزاعات في بحر الصين الجنوبي، وتنامي احتمالات الصدام مع الولايات المتحدة التي أصبحت منطقة الهندوباسيفيك ذات أهمية استراتيجية لها، ومركز ثقلٍ في تفاعلاتها، مستعينة بأدوار التحالفات والشراكات العسكرية والسباق نحو التسلح والعسكرة (ص 273).

في حين يطرح في السيناريو التعاوني مؤشرات تفاؤلية تجعل من منطقة الهندوباسيفيك منطقة تجارية واقتصادية مهمة في النظام العالمي، في ظل انتماء قوى اقتصادية كبيرة إليها، وتزايد الاعتماد المتبادل الذي يجعل من المكاسب الاقتصادية أولى من القضايا الخلافية والنزاعات، وفداحة تكلفة الحرب لجميع الأطراف (ص 276).

يصل المؤلف إلى مجموعة من النتائج من خلال فصول الكتاب الستة، من بينها أن مصالح القوى الكبرى دفعت إلى إعادة تصور

خرائط الفضاءات الحيوية، التي من بينها منطقة الهندوباسيفيك، حيث يصبح إدراك القوى لمصالحها موجِّهًا لاستراتيجيتها الاقتصادية والعسكرية في مواجهة القوى الأخرى في هذا الفضاء، ما يجعل النظر إليه ينتقل من الرؤية الجغرافية إلى الرؤية الجيوبوليتيكية الاستراتيجية، إضافة إلى أن دور الهند أصبح أكثر محورية في ظل تحالفها مع الولايات المتحدة، ومحاولة خروجها من مأزق جنوب آسيا الأمني، وبيئتها المضطربة. وكذلك تدفع التفاعلات الجديدة في المنطقة جيران الصين إلى تبنّي تصوّر أكثر حذرًا؛ فاليابان تسعى لقيادة إقليمية مواجهة للتوسّع البحري الصيني في مناطق النزاع في بحرَي الصين الشرقي والجنوبي. أما أستراليا فتريد أن تكون الحليف الأول للولايات المتحدة، والداعم الرئيس لها في المحيط الهندي وغرب المحيط الهادي.

في سياق آخر، يخلص المؤلف إلى أن البيئة الأمنية في الهندوباسيفيك مرتبطة بتفاعلات الرباعي الاستراتيجي مع الصين، على اعتبار أن استراتيجيات القوى الأربع في المنطقة موجّهة ضدها، وأن الهدف الأهم هو احتواؤها، على الرغم من خطاباتها السائدة عن ازدهار المنطقة وانفتاحها. وما يعزّز هذا الطرح هو محاولة استقطاب قوى المنطقة، مثل كوريا الجنوبية ونيوزيلندا ودول آسيان والدول الجزرية الصغيرة (ص 283)، في المقابل تسعى الصين لزيادة شراكتها مع روسيا وكوريا الشمالية. وهو ما يجعل الترتيبات الأمنية والاقتصادية أشد تعقيدًا.

وقد ينتقل الأمر رفقة روسيا إلى السعي لتشكيل نظام دولي جديد متعدد الأقطاب، تستغل فيه الصين شراكاتها الاقتصادية مع دول العالم وعضويتها في منظمات إقليمية كـ "بريكس" BRICS وشنغهاي (ص 285)، لتكون التهديد الأول لزعامة الولايات المتحدة للمحيطين الهندي والهادي. ويوصي المؤلف بعد كل ذلك بتفادي سياسات حافة الهاوية (ص 286)، وبضرورة وضع حدود لهذا التنافس، بحيث تكون هناك مصالح متبادلة، تؤدي إلى تقاسم المكاسب، لأن أيّ حرب في منطقة بمثل هذا التعقيد ستكون عواقبها وخيمة إقليميًا وعالميًا.

نظرة حول الأدبيات السابقة

اتجهت الدراسات نحو موضوع الهندوباسيفيك بعد بدء ظهور استخدام المصطلح في الخطابات الرسمية، خاصة مع الولايات المتحدة، حيث انتقل الاهتمام من آسيا الباسيفيك إلى الهندوباسيفيك، ونستعرض فيما يلي بعض الأدبيات التي تناولت موضوع التنافس في هذه المنطقة:

في البداية يأتي فصل أستا تشادا بعنوان "المنافسات الاستراتيجية في الهندوباسيفيك"[2]، الذي يتناول أهمية المنطقة كونها تجذب نفوذ القوى الإقليمية في ظل إعادة تشكيل نظام دولي متعدد الأقطاب، مع التركيز على حالة القوى الصغرى وكيفية استقطاب القوى الكبرى لها، وهي النقطة التي لم يتطرّق إليها دندن على نحو أكثر تفصيلًا. ويناقش فصل تشادا تطور المنافسات الاستراتيجية في المحيطين الهندي والهادي منذ الحرب العالمية الثانية، انطلاقًا من هزيمة اليابان فيها وبداية التنافس الصيني - الياباني، ثم الحرب الباردة بين القطبين؛ ما زاد من التنافس الاستراتيجي في آسيا والنزاعات كالحرب الكورية وحرب فيتنام، والاشتباكات الهندية - الصينية، والنزاع في كشمير، وغزو الاتحاد السوفياتي لأفغانستان. وبدأت هذه المنافسات تتشكل في الهندوباسيفيك مع الإعلان عن اجتماع الرباعي (اليابان والهند والولايات المتحدة وأستراليا) في عام 2008، لكن تشكّل مفهوم الهندوباسيفيك تأخر حتى عام 2017. ويظهر أن رؤية الفصل لهذا المفهوم لم تكن شاملة، ولم تأتِ بدراسة تؤصل للمفهوم كما جاء في كتاب دندن، الذي قدّم ضبطًا منهجيًا وبراغماتيًا له بصفة تجعل من تحليل التنافس في المنطقة أعمق، في ظل تصور كل قوة له تصورًا مختلفًا. وفي الأخير تناول فصل تشادا استراتيجيات الولايات المتحدة في المنطقة، مع ربطها بصعود الصين الاقتصادي، وظهور تجمع أوكوس الثلاثي في عام 2021، ضد توسع الحضور البحري الصيني في المحيطين الهندي والهادي، وهو ما يؤجّج المخاوف الأمنية لدول آسيان وتايوان واليابان. ويشير الفصل أيضًا إلى دور الهند وأستراليا في موازنة التنافس وضبط الترتيبات الأمنية. وهو المحور الذي جرى فيه شرح استراتيجية الهند انطلاقًا من جنوب آسيا نحو الهندوباسيفيك، وتأثير تنافسها مع الصين في ذلك، ورغبتها في القيام بدور قوة إقليمية في المنطقة، ثم تحليل استراتيجية اليابان في تفاعلات الهندوباسيفيك واعتبار روسيا والصين أكبر المنافسين الاستراتيجيين لها، مقابل تقارب استراتيجي لها مع أستراليا. وهذه المقاربة تلتقي مع طرح دندن في كتابه. وثمة أيضًا طرح مختلف لتشادا في فكرة شبكات الشراكة والتحالف/ التنافس عن طرح كتاب دندن، فقد فصّل في استراتيجيات الرباعي في ظل ظهور مراكز قوة بديلة، لكن من خلال وصف التفاعلات داخل الشبكة، حيث تتداخل الأوضاع بين التنافس والشراكة، وهو التحليل الذي يعتبر أكثر شمولية؛ ذلك أن العلاقات بين القوى الكبرى والقوى الإقليمية في الهندوباسيفيك تتنوع بين الشراكة والتنافس، ولا يمكن طرح التنافس فقط بوصفه متغيرًا يحرك تفاعلات المنطقة.

2 Astha Chadha, "Strategic Rivalries in the Indo-Pacific: Contest, Claims, and Conflicts," in: Barbara Kratiuk et al. (eds.), *Handbook of Indo-Pacific Studies* (New York/ London: Routledge, 2023).

يطرح مايكل راسكا موضوع التنافس في الهندوباسيفيك في دراسة بعنوان "التنافس الاستراتيجي ومستقبل النزاعات في منطقة الهندوباسيفيك"[3]، ربط فيها أمن المنطقة بأربعة تطورات، هي صعود الصين وكيفية تعامل الولايات المتحدة معه بطريقة حكيمة، وإعادة تقييم المصالح الاستراتيجية عبر التحالفات الأميركية مع دول المنطقة، ثم التوجهات الأمنية الإقليمية، وانتشار المأزق الأمني في ظل النزاعات المنتشرة هناك. ويلتقي تحليل راسكا مع طرح دندن في أهمية النفوذ البحري الصيني، حيث يرى أن سيطرة الصين البحرية في البحار الثلاثة (البحر الأصفر، وبحر الصين الشرقي، وبحر الصين الجنوبي)، تقوض حركة الولايات المتحدة البحرية، ثم تطرق إلى التحديث العسكري الصيني بإسهاب، ثم انتقل إلى تحليل التفاعلات في المنطقة، ورأى أنها متضاربة بين الشراكات التجارية لدول المنطقة مع الصين، خاصة دول آسيان وكوريا الجنوبية وأستراليا، وحفاظها على تعاونها الأمني مع الولايات المتحدة، على اعتبار أن اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا لا يمكنها توفير حماية ذاتية بعيدًا عن المساعدات الأميركية. فالدخول إلى تحليل العلاقات التنافسية لا يكون بمعزل عن استقطاب القوى الإقليمية من طرف القوى الكبرى، وهو الأمر الذي تناوله فصل تشادا في رؤية شراكة/تنافس، والذي اختلف عن طرح كتاب دندن.

في نقطة إضافية تناولت دراسة راسكا التنافس السيبراني، الذي لم يتناوله دندن في كتابه، على اعتبار أن الفضاء السيبراني يتداخل مع باقي أوجه التنافس الاستراتيجي، إلا أنها يغلب فيها التحليل الاستراتيجي في بعده العسكري مع إهمال البعد الاقتصادي في منطقة الهندوباسيفيك.

وفي التقرير السنوي الذي يصدر عن المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، لعام 2023 بعنوان "تقييم الأمن في آسيا الباسيفيك"، جرى فيه تقييم حالة الأمن الإقليمي في منطقة آسيا الباسيفيك في ستة فصول من خلال الحرب في أوكرانيا، وتوازن القوى في آسيا الباسيفيك، وفهم العلاقات الأميركية – الصينية، ونمو التهديدات في تايوان، والقدرات البحرية لآسيا الباسيفيك، والديناميات العملياتية الجديدة، ومبادرة الحزام والطريق الصينية، والسياسة الأمنية اليابانية مع رئيس الوزراء فوميو كيشيدا، وأخيرًا النزاع في ميانمار والاستجابة الدولية[4]. وقد ركّز التقرير على التحوّل الذي طرأ في مستوى التنافس بين القوى الإقليمية والكبرى في منطقة آسيا الباسيفيك، والذي يعود إلى التغير في الاستراتيجية البحرية الصينية، وتزايد النفوذ البحري للصين في المنطقة، والذي فرض استجابات أكثر جدّية للتصدي له. وهو الأمر الذي يلتقي فيه مع طرح دندن، الذي يتعدى منطقة آسيا الباسيفيك إلى فضاء أوسع هو الهندوباسيفيك.

رؤية نقدية لأطروحات الكتاب

كأيّ عمل أكاديمي، جاء كتاب دندن بإضافات معرفية قيّمة، وشابته أيضًا، من وجهة نظرنا، بعض المؤاخذات والثغرات التحليلية. نشير في البداية إلى الإضافات التي تعتبر حقيقية، في مقدمتها فتح الكتاب تصورات جديدة لمستقبل التفاعلات الجيوستراتيجية، على نحو يقدّم فهمًا لتفاعل القوة مع الجغرافيا إقليميًا من جهة، ولكلتيهما مع بنية النظام الدولي من جهة أخرى. وهنا يجري الربط بين تصورات القوى لمصالحها من جهة، وشكل الخريطة كما تشكّلها هذه التصورات من جهة أخرى، إضافة إلى الجغرافيا، وهذا التحليل يُعدّ إضافة منهجية لتفسير الظواهر في العلاقات الدولية، بعيدًا عن الرؤية التقليدية التي ترى الخرائط بشكلها الجغرافي فحسب. ثم يأتي تحليل المشاريع الاقتصادية والأمنية للقوى الكبرى في الهندوباسيفيك مقابل المشاريع الخاصة بالصين، إضافةً مهمةً لفهم العديد من الترتيبات الاقتصادية والأمنية التي لها امتداد عالمي، والتي تتسّع فيها استراتيجيات هذه القوى خارج المنطقة. فالإحاطة بهذه المشاريع تعطي رؤية شاملة حول رغبة القوى الكبرى في تعظيم قوتها، وحول الدينامية التي تسير بها تفاعلاتها الإقليمية والدولية بما فيها منطقة الهندوباسيفيك.

إضافة إلى ذلك، يركّز الكتاب في تحليله القوى الإقليمية في المنطقة على دور الهند، التي كانت إلى وقت قريب غائبة عن التحليل الاستراتيجي الخاص بمنطقة آسيا الباسيفيك، وهو الأمر الذي أبعدها عن التصورات الاستراتيجية لآسيا حتى مجيء ناريندرا مودي، الذي اتّبع استراتيجية العمل والتحرك شرقًا، والانفتاح على المحيط الإقليمي المجاور في مسطحات المحيط الهادي، وزيادة التحالف مع الولايات المتحدة لتصبح الحليف الأول لها في المحيط الهندي. ويعطي هذا التركيز فهمًا لاستراتيجية الولايات المتحدة في الاعتماد على الحلفاء، وهو الأمر الذي يحدث في عدة أنظمة إقليمية أخرى.

وكذلك يواكب الكتاب مرحلة مهمة من إعادة تشكيل النظام الدولي، وفق ما يحدث من تنافس بين القوى الكبرى في منطقة هي الأهم حاليًا في الاستراتيجية الكبرى الأميركية. وهي مرحلة ظهر

3 Michael Raska, "Strategic Competition and Future of Conflict in the Indo-Pacific Region," *Journal of Indo-Pacific Affairs*, vol. 2, no. 2 (2019).

4 The International Institute for Strategic Studies (IISS), *Asia-Pacific Security Assessment 2023: Key Developments and Trends* (London: IISS Publishing, 2023).

فيها توسع الصين في بحر الصين الجنوبي، وتوغلها في جزر جنوب المحيط الهادي من بينها جزر سليمان، التي وقّعت اتفاقية أمنية معها، وما أثاره ذلك من استنفار استراتيجي لدى الولايات المتحدة وأستراليا ونيوزيلندا[5].

ومن أهم النقاط التي يضيفها الكتاب أيضًا أنه يوظّف أطرًا نظرية ومقاربات منهجية في التحليل، كالمنظورات الواقعية والليبرالية والبنائية، ومنهج تحليل النظم وتقنية تحليل المضمون، ما يساعد في فهم التنافس الدولي بمنهجية أكاديمية، ووضع تفسيرات تساهم في قراءة الأحداث على نحو أشمل وأدق. ويساهم هذا التوظيف أيضًا في وضع أسس منهجية للباحثين في العلاقات الدولية، على نحو يجعل في الإمكان التعامل مع زئبقية الظواهر فيها، وتغير الأحداث وفُجائيتها. فتحليل التنافس في منطقة بتلك الأهمية في النظام الدولي يُعد إثراءً مهمًا للمكتبة العربية، ويفتح المجال لكتابات أخرى قد تتخذ منه مرجعًا أساسيًا لها، بالنظر إلى شموليته مختلف تفاعلات الهندوباسيفيك ومنطلقات التأسيس لها مفاهيمًا ونظريًا وتاريخيًا.

ولكن كل ذلك لا يمنع من ذكر مجموعة من النقاط التي تؤسس لرؤية نقدية لهذا الكتاب، نعتقد أنها كانت ستدعم قيمته أكثر في حال لو تبناها وضمها إلى محتواه. في البداية، نعتقد بضرورة وضع جسور تربط مستويات التحليل الإقليمي بالتحليل الدولي International Level Analysis، وهو ما يسمح بفهم تفاعلات التأثر والتأثير في منطقة الهندوباسيفيك، التي تُعدّ نظامًا فرعيًا Subsystem ضمن النظام الدولي. وتأتي استفسارات كثيرة في هذا السياق: هل نحلّل ظواهر التنافس والتعاون والتحالفات والشراكات في هذا النظام من منظور تجميعي أو تفكيكي؟ أنحلل الأنظمة الإقليمية في إطار توزيع القوى الإقليمي إلى جانب "نظام التغلغل"[6]، أم ننظر إلى القوى المؤثرة فيه وفق ترتيبها في سلّم القوى العالمي؟ ولا تكون الإجابة عن مثل هذه الأسئلة إلا من خلال الربط بين المستويين.

وإضافة إلى ذلك، لا يكون فهم استراتيجيات القوى في المنطقة بمعزل عن استراتيجياتها في الفضاءات الحيوية الأخرى، وكل فعل لقوةٍ في الهندوباسيفيك يقابله رد فعل في المنطقة ذاتها أو في منطقة أخرى بعيدة جغرافيًا، وهو ما يؤسس لنسق واضح من الفعل ورد الفعل في علاقات القوى الكبرى. فمثلًا ما يحدث في أفريقيا من انقلابات عسكرية أو تبعات الحرب الروسية - الأوكرانية أظهر لجوء هذه القوى إلى نقل النزاعات، ما يؤدي إلى "تشتيت الصراع"، فضلًا عن أن استراتيجياتها مرتبطة بقدراتها العسكرية والاقتصادية التي تتأثر بتكاليف الحروب والنزاعات الأخرى. وهو ما يجعل لجوؤها إلى استخدام القوة العسكرية في مواقف كثيرة، غيرَ مرهون فحسب بتقديرات ذلك الموقف وحساب المكاسب المقدّرة منه، وإنّما مرهون بسلوكها الخارجي تجاه موقف آخر وقضية أخرى. وفي هذا السياق، هناك من يرى أنه لا توجد منطقة أكثر تأثرًا بالتطورات العالمية والتنافس على اكتساب القوة مثل منطقة الهندوباسيفيك، في ظل تورّط القوى الكبرى في هذا التنافس؛ ما يطرح علاقات أمنية واقتصادية تنافسية وتعاونية معقدة[7].

إضافة إلى ذلك، فإنّ الاعتماد على دراسة سيناريوَي التعاون والصراع يجب أن يؤسس له بمؤشرات أكثر دقة، والانطلاق من قياس قوة كل طرف، خاصة أن القوة من مميزاتها أنها "نسبية"، ومعرفة إمكانية تفوق طرف على آخر من خلال قياس قوته بالنسبة إلى الآخر. فعلى الرغم مما تملكه الصين من قدرات عسكرية، وما قامت به من تحديث لقدراتها التقليدية وغير التقليدية، فإنها في المجال البحري ما زالت لا تضاهي القدرات البحرية الأميركية، ما يجعل جنوحها لحرب طويلة في المحيطين الهندي والهادي غير ممكن في المدى القريب.

خاتمة

هكذا يكون كتاب **صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك**، قد قدّم تصورات جديدة لفهم ما يحدث من تفاعلات في هذا الفضاء، مستعينًا بالخرائط الذهنية، وأظهر دينامية التفاعلات فيه المدفوعة بمصالح القوى الكبرى استراتيجيًا، بحريًا واقتصاديًا، والتي حوّلت المنطقة إلى "قلب جديد للعالم" كما جاء في التصور الماكيندري للأقاليم الجيوبوليتيكية. إن هذا الثقل الجديد للمنطقة يتأثر بالتنافس في الفضاءات التقليدية، التي إن كانت المنافسة فيها

5 "اتفاقية جزر سليمان: تمدد عسكري صيني في المحيط الهادي، يواجه بمعارضة غربية"، **تقديرات المستقبل**، العدد 1529، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، (نيسان/ أبريل 2022)، شوهد في 2023/6/18، في: https://2u.pw/6U2GX1n

6 ينظر إسهامات لويس كانتوري وستيفن سبيغل لتحليل النظام الإقليمي حيث قسّماه إلى ثلاثة أجزاء: 1. قطاع محوري: فيه عدة أطراف؛ المهيمن الإقليمي Regional Dominant والمساوم Bargainer والموازن Balancer، 2. قطاع طرفي: فيه الأطراف الأقل قوة من المساوم والموازن، 3. نظام التغلغل Intrusive System: ويضم الدول الخارجية التي تؤدي دورًا مركزيًا في قضايا النظام الاقتصادية والأمنية والسياسية. ينظر:
Louis Cantori & Steven Spiegel, "The International Relations of the Regions," *Polity*, vol. 2, no. 4 (1970).

7 Natajee Abhinandan, "The Changing Power-Relations in the Indo-Pacific: Decoding New Delhi's Strategic Outlook," *Focus Asia: Perspective and Analysis* (Institute for Security and Development Policy) (2021), p. 2.

تأخذ بعدًا عسكريًا على غرار حرب أوكرانيا والتدخل في ليبيا ومالي، والتطورات الخطيرة التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط في ظل أخذ الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي منحنيات حرجة، إلا أن التنافس في الهندوباسيفيك، وإن بدا أكثر ليونة، والمناورات البحرية والاشتباكات العسكرية بين الصين والقوى الإقليمية والكبرى يمكن أن يكونا مؤشرًا على تصعيد خطير هناك، قد لا يتحوّل إلى حرب طويلة، لكنه يُبقي البيئة الأمنية مضطربة وغير مستقرة، ويجعل السباق نحو زيادة القوة والعسكرة والنفوذ أكثر احتدامًا وتوقعًا.

المراجع

العربية

"اتفاقية جزر سليمان: تمدد عسكري صيني في المحيط الهادي، يواجه بمعارضة غربية". **تقديرات المستقبل**. العدد 1529. مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة (نيسان/ أبريل 2022). في: https://2u.pw/6U2GX1n

الأجنبية

Abhinandan, Natajee. "The Changing Power-Relations in the Indo-Pacific: Decoding New Delhi's Strategic Outlook." *Focus Asia: Perspective and Analysis* (Institute for Security and Development Policy) (2021).

Cantori, Louis & Steven Spiegel. "The International Relations of the Regions." *Polity*. vol. 2, no. 4 (1970).

Kratiuk, Barbara et al. (eds.). *Handbook of Indo-Pacific Studies*. New York/ London: Routledge, 2023.

Raska, Michael. "Strategic Competition and Future of Conflict in the Indo-Pacific Region." *Journal of Indo-Pacific Affairs*. vol. 2, no. 2 (2019).

Saeed, Muhammad. "From the Asia-Pacific to the Indo-Pacific: Expanding Sino-US Strategic Competition." *China Quarterly of International Strategic Studies*. vol. 3, no. 4 (2017).

The International Institute for Strategic Studies (IISS). *Asia-Pacific Security Assessment 2023: Key Developments and Trends*. London: IISS Publishing, 2023.

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

مجلة **سياسات عربية** مجلة محكّمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. تحمل الرقم الدولي المعياري (ISSN: 2307-1583). وقد صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. وهي مجلة محكّمة تصدر مرة واحدة كلّ شهرين، ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. وبعد ثلاث سنوات من الخبرة، والتفاعل مع المختصين والمهتمين، صدر خلالها من المجلة ثمانية عشر عددًا، أعادت المجلة هيكلة نفسها بما يتوافق مع المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

تُعنى المجلة بالمقالات والدراسات والبحوث وبالأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والسياسات المقارنة، والنظم المؤسسية الوطنية أو الإقليمية والدولية، بما في ذلك دراسات الحالات والسياسات، وعمل النظم السياسية والسلوك السياسي للحكومات والقوى السياسية والاجتماعية والحزبية وسائر الفاعلين الاجتماعيين - السياسيين، واتجاهات المجتمع المدني والمشاركة السياسية والاجتماعية. ويندرج في هذا السياق اهتمامها بالسياسات العمومية وبالدراسات الأمنية والإستراتيجية وقضايا الديبلوماسية والتعاون الدولي، ودراسات الرأي العام وقضايا الهجرة والتهجير والحروب والصراعات الأهلية وقضايا حقوق الإنسان. وتهتم بصورة خاصة بمرحلة الانتقال السياسي العامة الجارية في الوطن العربي، ولا سيما منها مراحل الانتقال الديمقراطي على المستويات السياسية كافة، وما يتعلق بها من جوانب قانونية دستورية ومؤسسية.

إضافةً إلى الهيئتين التحريرية والاستشارية، تستند المجلة في عملها إلى وحدتين نشطتين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، هما "وحدة الدراسات السياسية" ووحدة "المؤشر العربي" الذي يصدر تقريره كلّ عام. وتتكامل في عملها مع برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا، ومع برنامج "التحوّل الديمقراطي" في المركز.

تعتمد مجلة "**سياسات عربية**" المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة، وفقًا لما يلي:

- **أولًا:** أن يكون البحث أصيلًا معدًا خصيصًا للمجلة، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أيّ جهة أخرى.
- **ثانيًا:** أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- **ثالثًا:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.
- الملخّص التنفيذي باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (100-125) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية (Keywords) بعد الملخص، ويقدّم الملخص بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة إشكالية البحث الرئيسة، والطرق المستخدمة في بحثها، والنتائج التي توصّل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق وكُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، ووضع التصوّر المفاهيمي وتحديد مؤشّراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات. على أن يكون البحث مذيّلًا بقائمة بيبليوغرافية تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث إضافةً إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش. وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).
- لا تنشر المجلة مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية أقرّت إلّا بشكل استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في المجلة، وفي هذه الحالة على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدّم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- تهتم المجلة بنشر مراجعات نقدية للكتب المهمة التي صدرت حديثًا في مجالات اختصاصها بأيّ لغة من اللغات، شرط ألّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من ثلاث سنوات. يتراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك المراجع في الإحالات المرجعية والهوامش الإيضاحية، والقائمة البيبليوغرافية وكلمات الجداول في حال وجودها، والملحقات في حال وجودها، بين 6000-8000 كلمة، وللمجلة أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي استغلت بها في الأصل بحسب برنامجَي اكسل (Excel) أو وورد (Word)، ولا تقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسَل صورًا.

– **رابعًا:** يخضع كلّ بحث إلى تحكيم سري تام، يقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القرّاء في المركز. وفي حال تباين تقارير المحكّمَين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم المجلة موافاة الباحث بقرارها الأخير؛ النشر/ النشر بعد إجراء تعديلات محددة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرين من استلام البحث.

– **خامسًا:** تلتزم المجلة ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم المجلة جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية التي تقدّمها للبحث... إلخ.
- يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع المجلة مكافآت ماليّة عن الموادّ - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى المجلة أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1:
أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

الكتب

اسم المؤلّف، **عنوان الكتاب**، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.

- نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة 265 (الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، 2001)، ص 227.
- كيت ناش، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النّحو التالي مثلًا: ناش، ص 117.

أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلّف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصرًا: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النّحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.

أمّا في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النّحو التالي:

- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.

وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة "وآخرون". مثال:

- السيد ياسين وآخرون، **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.

ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين وآخرون، ص 109.

أمّا في قائمة المراجع فيكون كالتالي:

- ياسين، السّيد وآخرون. **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

الدوريات

اسم المؤلّف، "عنوان الدّراسة أو المقالة"، **اسم المجلّة**، المجلّد و/أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال:

- محمد حسن، "الأمن القوميّ العربيّ"، **إستراتيجيات**، المجلد 15، العدد 1 (2009)، ص 129.

أمّا في قائمة المراجع، فنكتب:

- حسن، محمد. "الأمن القوميّ العربي". **إستراتيجيات**. المجلد 15. العدد 1 (2009).

مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- إيان بلاك، "الأسد يحثّ الولايات المتحدة لإعادة فتح الطّرق الدبلوماسية مع دمشق"، **الغارديان**، 2009/2/17.

المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، **اسم السلسلة** (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: .....http://www

ويتعين ذكر الرابط كاملًا، أو يكتب مختصرًا بالاعتماد على مُختصِر الروابط (Bitly) أو (Google Shortner). مثل:

"ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، الجزيرة نت، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: http://bit.ly/2bAw2OB

- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: http://bit.ly/2b3FLeD

ملحق 2

أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- تعتمد مجلات المركز قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم، بالنسبة إلى الباحث والمحكّمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم على محكّمين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكّمين، تُحيل المجلة البحث على قارئ مرجّح آخر.
- تعتمد مجلات المركز محّكمين موثوقين ومجرّبين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
- تعتمد مجلات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
- لا يجوز للمحرّرين والمحكّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه) أن يبحث الورقة مع أيّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلّف. وينبغي الإبقاء على أيّ معلومةٍ متميّزة أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
- تقدّم المجلة في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فنّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
- تلتزم المجلة إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
- تلتزم مجلات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
- احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرّرون والمراجعون المادّة البحثية بحسب محتواها الفكري، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.

- قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ مؤلّف من المؤلّفين، أو الشركات، أو المؤسّسات ذات الصّلة بالبحث.
- تتقيد المجلات بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال على المجلة في بحوثهم الخاصة.
- النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض المجلة النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمّة أو إضافات على البحث، إلّا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة المجلة إلى الباحث.
- حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في مجلاته العلمية المحكّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًّا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
- تتقيد مجلات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
- المجانية. تلتزم مجلّات المركز العربي بمجّانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلّفين من جميع رسوم النشر.

9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or connections with any of the authors, companies, or institutions connected to the papers.

10. Confidentiality: Unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.

11. Intellectual property and copyright: The ACRPS retains copyright to all articles published in its peer-reviewed journals. The articles may not be published elsewhere fully or partially, in Arabic or in another language, without an explicit written authorization from the ACRPS.

12. Siyasat Arabiya's editorial board fully respects intellectual property when translating and publishing an article published in a foreign journal, and will not proceed before getting the authorization from the journal in question.

13. Siyasat Arabiya does not make payments for manuscripts published in the journal, and all authors and researchers are exempt from publication fees.

John Vidal, "Middle East faces water shortages for the next 25 years, study says, " *The Guardian,* 27/8/2015, accessed on 31/10/2015, at: http://bit.ly/2k97Wxw

Policy Analysis Unit-ACRPS, "President Trump: An Attempt to Understand the Background, " *Assessment Report,* The Arab Center for Research and Policy Studies, accessed on 10/11/2016, at: http://bit.ly/2j36v5S

Annex II

Ethical Guidelines for Publication in Siyasat Arabiya

1. Siyasat Arabiya's editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects the appropriate reviewer to assess paper's suitability for publication, according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third peer-reviewer will be selected.
2. Siyasat Arabiya relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. Siyasat Arabiya adopts a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. Disclosure: With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.
5. When needed, based on the reviewer report, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. Siyasat Arabiya's editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing quality professional *copy editing*, *proof reading and online publishing service.*
8. Fairness: The editors and the reviewers evaluate manuscripts for their intellectual and scientific merit, without regard to race, ethnicity, gender, religious beliefs or political views of the authors.

.In quotes immediately following the reference: Ibid., p. 32

The corresponding bibliographical entry:

Pollan, Michael. *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals*. New York: Penguin, 2006.

For books by three or more authors, in the note, list only the first author, followed by et al.:

Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies* (London: Sage, 1994), pp. 220-221.

In later quotes: Gibbons et al., p. 35.

The corresponding bibliographical entry:

Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Periodicals

Author's name, "article title, " *journal title*, volume number, issue number (Month/season Year), page numbers.

Joshua I. Weinstein, "The Market in Plato's Republic, " *Classical Philology*, no. 104 (2009), p. 440.

The corresponding bibliographical entry:

Weinstein, Joshua I. "The Market in Plato's Republic. " *Classical Philology*. no. 104 (2009),.

Articles in a Newspaper or Popular Magazine

N. B. Cited only in footnotes, not in the references/bibliography. Example:

Ellen Barry, "Insisting on Assad's Exit Will Cost More Lives, Russian Says, " *The New York Times*, 29/12/2012.

Electronic Resources

When quoting electronic resources on websites, please include all the following: Author's name (if available), "The article or report title, " series name (if available), website's name, date of publication (if available), accessed on 9/8/2016, at: http://www...

The full link to the exact page should be included. Please use an URL Shortener (Bitly) or (Google Shortner). Example:

i. Book reviews will be considered for submission to the journal provided that the book covers a topic which falls within the scope of the journal and within the reviewer's academic specialization and/or main areas of research. Reviews are accepted for books written in any language, provided they have been published in the previous 3 years. Book reviews are subject to the same standards of rigorous scrutiny which apply to research papers. Book reviews must be between 4,500 and 5,000 words in length.

4. The peer review process for *Siyasat Arabiya* and for all journals published by the ACRPS is conducted in the strictest confidence. Two preliminary reviewers are selected from a short list of approved reader-reviewers. In cases where there is a major discrepancy between the first two reviewers in their assessment of the paper, the paper will be referred to a third reviewer. The editors will notify all authors of a decision either to publish, publish with modifications, or to decline to publish, within two months of the receipt of the first draft.

5. *Siyasat Arabiya's* editorial board adheres to a strict code of ethical conduct, which has the clearest respect for the privacy and the confidentiality of authors. The journal does not make payments for articles published in the journal, nor does it accept payment in exchange for publication. In the final production stages, the order of articles published in specific editions is decided on purely technical grounds.

Annex I

Footnotes and Bibliography

Books

.Author's name, *Book Title*, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number

Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), .pp. 99 - 100

Gabriel García Márquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), .pp. 242 - 55

.In quotes not immediately following the reference: Pollan, p. 31

Where there are several references by the same author, add a short title: Pollan, *Omnivore's Dilemma*, .p. 31

electronic form, or submitted to a conference other than the conferences held by the ACRPS will be considered for publication.

2. Submissions must be accompanied by a curriculum vitae (CV) of the author, in both Arabic and English.

3. All submissions must include the following elements:

   a. A title in both Arabic and English together with the author's institutional affiliation.

   b. An abstract, ranging between 250 and 300 words in length as well as a list of keywords. The abstract must explicitly and clearly spell out the research problematic, the methodologies used, and the main conclusions arrived at. These must be provided in one English, and one Arabic version.

   c. The research paper must include the following: a specification of the research problematic; an explanation of the significance of the topic; specification of thesis or arguments; review of literature emphasizing gaps or limitations in previous analysis; description of research methodology; hypothesis and conceptual framework; bibliography.

   d. All research papers submitted for consideration must include a complete bibliography covering all references, regardless of whether or not these appear in the footnotes. References must be cited in the original language in which the source was written. Authors must follow the referencing guidelines adopted by the Arab Center for Research and Policy Studies (See Appendix I for a complete guide to the reference style used across all of our journals).

   e. Research papers must normally be between 6,000 and 8,000 words in length, inclusive of references, charts and tables, and appendices. The editors reserve the right to publish articles of longer length in exceptional circumstances.

   f. All diagrams, charts, figures and tables must be provided in a format compatible with either Microsoft Office's spreadsheet software (Excel) or Microsoft Office's word processing suite (Word), alongside high resolution images. Charts will not be accepted without the accompanying data from which they were produced.

   g. Submitted research must fall within the aims and research interests of the journal.

   h. Extracts or chapters from doctoral theses and other student projects are only published in exceptional circumstances. In such cases, the researcher should point this out clearly, and provide full information about the thesis, including the title, the awarding institution and date of award.

SIYASAT ARABIYA سياسات عربية

Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies (ISSN 2307-1583) dedicated to political science, international relations, strategic affairs and public policy. First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science including international relations, comparative politics, and national, regional, and international institutional systems. The journal publishes critical insights into the operation of political systems, the behavior of governments and political parties as well as the trends in civil society and social and political participation more broadly. This is complemented with publications covering public opinion, issues of migration and forced migration, war, civil war, conflict and human rights issues. Particular attention is paid to the present-day political transition in the Arab world, especially democratization at all political levels and its legal-constitutional and institutional aspects.

In addition to the editorial and advisory boards, the journal relies on two units active within the Arab Center of Research and Policy Studies (ACRPS): the Policy Analysis Unit and the Arab Opinion Index, which produces an annual report on public opinion across the Arab world. The journal's work is also closely linked to the political science program at the Doha Institute for Graduate Studies and the Program for the Study of Arab Democratization within the ACRPS.

Publication in *Siyasat Arabiya* is governed by a strict code of ethics guiding the relationship between the editorial staff and contributors. With three years of experience and interaction with specialists and contributors the journal was recently (Spring, 2016) restructured to bring it in line with international standards of academic publishing. Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must therefore adhere to the following guidelines:

1. Original work which is submitted exclusively for publication within the journal. No work which has been previously published fully or in part will be considered for publication in *Siyasat Arabiya*. Similarly, no work which substantially resembles any other work published in either print or

دعوة للكتابة

تدعو دورية "سياسات عربية" الأكاديميين والباحثين وسائر الكتّاب المهتمين بشؤون السياسات للكتابة على صفحاتها. تقبل الدورية الأبحاث النظرية والتطبيقية المكتوبة باللغة العربية، كما تفتح صفحاتها أيضًا لمراجعات الكتب، وللحوار الجاد حول ما ينشر فيها من موضوعات. تخضع كل المواد التي تصل إلى "سياسات عربية" للتحكيم من جانب مختصين من الأكاديميين. ولذلك تتوقع هذه الدورية ممن يكتبون إليها الالتزام بمعاييرها، وبما يبديه المحكّمون من ملاحظات. فاتباع التقاليد العلمية المؤسّسيّة، على محدوديتها، هو الذي يسمح بتراكم التّجربة واحترام المعايير العلميّة، وضمان جودة المادة التي تصل إلى القراء. تهدف هذه الدورية إلى أن تكون طيّعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحيةِ برصانة المضمون.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة

siyasat.arabia@dohainstitute.org

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

قسيمة الاشتراك

الاسم _____

العنوان البريدي _____

البريد الإلكتروني _____

عدد النسخ المطلوبة _____

طريقة الدفع ☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز

Invitation to submit papers

The editors of *Siyasat Arabia* invite scholars to submit papers for consideration in future editions of the journal. *Siyasat Arabia*, published bi-monthly in Arabic, covers the range of specialisms within political science and strategic studies, including international relations, geopolitics and geostrategic studies. The journal also carries critical, incisive essays and book reviews as well as primary source materials. All submitted manuscripts will be subject to the same rigorous peer review process. The journal aims to further and deepen debate around these topics for diverse audiences of professional scholars and non-specialists alike while continuing to uphold its high academic standards.

All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.org

Address all correspondence to the Editor-in-Chief

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

35	دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان.
55	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان.
55	دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا.
75	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا.
95	دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا.
120	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا.
120	دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية.
140	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية.

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون

ص.ب: 11-4965 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

Qatar National Bank

Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)

IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)

SWIFT code: QNBA LB BE

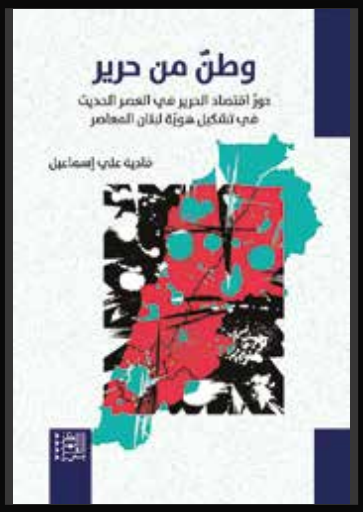

من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- للحصول على منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،
يرجى الاطلاع على قائمة موزّعي الكتب والمجلات على موقعنا الإلكتروني: www.dohainstitute.org
- بالنسبة إلى البلاد التي لا يوجد فيها موزعون إلى الآن، يرجى الاتصال مباشرة بقسم التوزيع في مكتب بيروت:
هاتف: 009611991837 أو على البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

في هذا العدد

دراسات

حسن احجيج
تحديات الشبكات الاجتماعية الرقمية لنظرية الثقافة السياسية الكلاسيكية

مروة فكري
عمرو عثمان
شبكة الإنترنت والثقافة السياسية ومفارقة الذاكرة الجمعيّة: حالة ثورة 25 يناير 2011 المصرية

هاني موسى
القبلية والجهوية وتعثّر بناء الدولة الحديثة في ليبيا

وديع العرابيد
نهج دول الخليج المانحة عبر الرابطة الثلاثية في السياقات الهشة والمتضررة من الصراع: الواقع والتحديات والآفاق

عمـاد قــدورة
موقع دول الخليج العربية في مبادرة الحزام والطريق الصينية

مراجعات الكتب

بسمة أحمد صدقي الدجاني
"التكوين: ترومان واليهود الأميركيون وأصول الصراع العربي – الإسرائيلي" لجون ب. جوديس

أسماء بن مشيرح
"صراع القوى الكبرى في الهندوباسيفيك: إعادة تخيل الخريطة الاستراتيجية لآسيا" لعبد القادر دندن

التوثيق

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 5/1 - 2023/6/30

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 5/1 - 2023/6/30

الوقائع الفلسطينية في المدة 5/1 - 2023/6/30

سعر النسخة

قطر	18 ريالًا	العـــراق	3500 دينار	الجزائر	150 دينارًا
السعودية	18 ريالًا	تونس	3 دنانير	المغرب	18 درهمًا
الإمارات	18 درهمًا	سوريـــا	150 ليرة	موريتانيا	500 أوقية
البحرين	ديناران	لبنان	100,000 ليرة	ليبيا	3 دنانير
الكويت	1,5 دينار	الأردن	1,5 دينار	فلسطين	3 دولارات
عُمان	ريالان	اليمن	300 ريال	الصومال	2500 شلن
مصـــر	20 جنيهات	السودان	10 جنيهات		

ISSN 2307-1583

جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies
DOHA INSTITUTE FOR GRADUATE STUDIES